القراءة الراشدة

لتعليم اللغة العربية في المدارس الإسلامية

الجز الاوّل

تأليف

ابو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله

مجلس نشریات اسلام

۱.کے.۳۰ ناظم آباد مینشن. ناظم آباد ۱ کراچی ۷۴۶۰۰

القراءة الراشدة

لتعليم اللغة العربية في المدارس الإسلامية

تأليف

أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله

الجزء الأول

مجلس نشریات اسلام

۱۔کے۔۳ ناظم آباد مینشن۔ ناظم آباد ۱۔ کراچی ۷۴۶۰۰

مفکر اسلام مولانا سیّد ابوالحسن علی ندوی رحؒ

اپنی حیات میں مندرجہ ذیل اداروں کے ذمہ دار رہے

- ناظم دارالعلوم ندوۃ العلماء لکھنؤ
- رکن مجلس شوریٰ دارالعلوم دیوبند
- صدر مجلس تحقیقات ونشریات اسلام لکھنؤ
- صدر مجلس انتظامی ومجلس عاملہ دارالمصنفین اعظم گڑھ
- رکن عربی اکادمی دمشق
- رکن مجلس شوریٰ جامعہ اسلامیہ مدینہ منورہ
- رکن مجلس تاسیس رابطۂ عالم اسلامی مکہ معظمہ
- رکن مجلس عاملہ موتمر عالم اسلامی بیروت
- صدر آل انڈیا مسلم پرسنل لا بورڈ
- صدر رابطۃ الادب الاسلامی العالمیۃ
- رکن مجلس انتظامی اسلامک سینٹر جنیوا
- سابق وزیٹنگ پروفیسر دمشق یونیورسٹی ومدینہ یونیورسٹی
- صدر آکسفورڈ سینٹر فار اسلامک اسٹڈیز آکسفورڈ یونیورسٹی آکسفورڈ۔

نام کتاب ——— القراۃ الراشدہ (اوّل)
تصنیف ——— مفکر اسلام مولانا سید ابوالحسن علی ندوی رحؒ
طباعت ——— احمد برادرز پرنٹنگ پریس۔ کراچی
ضخامت ——— ۹۶ صفحات
ٹیلیفون : ۶۶۰۱۸۱۷-۱۰

اسٹاکسٹ : مکتبہ ندوہ قاسم سینٹر اردو بازار کراچی

ناشر

فضل ربی ندوی

مجلس نشریاتِ اسلام ۱۔کے۔۳ ناظم آباد مینشن۔ ناظم آباد ۱ کراچی ۷۴۶۰۰

فهرست الجزء الأول من القراءة الراشدة

فهرست الجزء الثانى من القراءة الراشدة

فهرست الجزء الثالث من القراءة الراشدة

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة عن الكتاب

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد : فإن الهند منذ فتحها الإسلام لا تزال تدين بتدريس اللغة العربية، وتعتقد أنها لغة الإسلام، ومفتاح كنوز الكتاب والسنة، ونبغ فيها أدباء و مؤلفون في اللغة العربية يتجمل تاريخ الإسلام بذكرهم، وتزدان بمؤلفاتهم مكتبة الإسلام العامرة .

انقرضت من الهند دولة المسلمين ولم يطو بساط المدارس الإسلامية، فلا تزال مصابيحها تضيئ بين عواصف ورياح هوجاء، وهي الآن تعد بالآلاف، والمتعلمون فيها يربو عددهم على إحصاء بعض البلاد الإسلامية .

ولم يزل للهند منهاج خاص في العلوم العقلية والرياضية والعلوم الآلية من وضع علماء الهند أو من اختيارهم، ونال قبولا عظيما في الأقطار الإسلامية البعيدة، فكانت مؤلفاتهم وشروحهم تدرس، ويتمجد العلماء بتدريسها والاقتدار على شرحها، ويتظرف الطلبة بدرسها وفهمها حتى كان منهاج الدرس النظامي من اختيار العلامة نظام الدين اللكنوي(١١٦١ هـ)من وضع نجباء تلاميذه وتلاميذهم، فكان له دوي في العالم الإسلامي، ونفوذ عجيب في الأوساط العلمية .

بجانب هذه الثروة العلمية الضخمة والغنى الوافر في ناحية علوم الحكمة - كما يسميها القوم - ترى عوزا شائنا وتفريطا عظيما في ناحية اللغة العربية، فإذا أسقطنا من منهاج الدرس

قسط الشعر وصرفنا النظر عن كتاب الحماسة والسبع المعلقات و ديوان المتنبي ـ فإن كل ذلك لا يعلم اللغة ولا يمرن على الكتابة والخطابة، بل يروض الفكر ويفتح القريحة ويبعث الذوق - لم نجد في منهاج درسنا القديم ما يتعلم به الطالب اللغة و يتعرف بها غير مقامات الحريري، والمقامات - كما يعرف القارئ - مثال للنثر الفني والأدب الصناعي، وإذا شئت قلت : مثال لفن البيان والبديع لا للنثر العربي الطبعي السلسال، ولا يمكن أن يتعلم بها الطالب مبادئ اللغة العربية، ويتدرب على الكتابة والخطابة ويقضي حاجة في نفسه، ومن ثم كان من حظ الأدباء والمنشئين في العربية في هذه البلاد النثر المقيد المغلول، والأدب السقيم المسلول، والقلم المنثلم المفلول، واللسان المتلجلج الخذول .

درج على ذلك أجيال خلف أجيال. وانسلخت قرون، ولا ندري كيف كان ذلك إلا أنا لا نرى كتابا في النثر العربي يدرس في المدارس غير المقامات إلى القرن الثالث عشر الهجري، حتى جاء الشيخ أحمد الشيرواني من اليمن وألف كتابا صغيرا يشتمل على قصص وحكايات فكاهية، و نوادر و ملح وأبيات، وسماه " نفحة اليمن" فاهتبله علماء الهند كأنما هبط من علياء لما هم فيه من فاقة إلى كتاب يدرسه الطلبة قبل المقامات، وعضوا عليه بالنواجذ ، وهم منذ ذلك اليوم عكوف عليه لا يرون منه محيصا .

وشعر بعض الأوساط بما فيه من خلل و خطل، وسوء تمثيل للحضارة الإسلامية وسيرة المسلمين السلف، وعبث بعقلية الأطفال الأبرياء بما فيه من مجون وهزل، فاستعاروا كتبا مؤلفة من البلاد العربية، ولكن سرعان ما علموا أنها على نقاء لغتها وحسن وضعها

واحتوائها على مادة علمية نافعة لا توافق ذوق المسلمين في الهند وباكستان وما جاورها من البلاد ، ولا تقضى حاجة رجال التعليم في هذه البلاد، وتشتمل على مادة في تاريخ البلاد التي ألفت فيها، وتراجم رجالها البلديين، وجغرافية تلك البلاد، إن أبناء هذه البلاد في غنى عن معرفتها فضلاً عن حفظها، وإن أبناء الهند وغيرها من الأقطار الاسلامية في حاجة إلى معرفة المهم والممتع من جنسها مما يخص بلادهم ، أومما يعم المسلمين جميعاً .

فترى مثلا في الجزء الأول من القراءة الرشيدة التي وضعتها وزارة المعارف العمومية في مصر، والتي تدرس في بعض المدارس العربية في الهند، درسا عن جزيرة الروضة في القاهرة، ونشيدا عن مصر العزيزة، ودرسا عن عيد وفاء النيل، وفي الجزء الثاني حوارا بين مصر والأسكندرية، ودرسا عن الأهرام والقناطيرالخيرية، وعن محمد علي باشا، وقس على ذلك بقية الأجزاء، وقس عليها السلاسل الأخرى .

ماذا يهم الطالب الهندي أو الباكستاني أو الحجازي أو الأفغاني، من معرفة هذه الموضوعات المصرية، ولماذا يحفظ نشيد الفخر المصري ويتغنى :

مصر العزيزة لي وطن وهي الحمى وهي السكن
وهي الفريدة في الزمن وجميع ما فيها حسن

ولماذا يتعرف وهو في مرحلة التعليم الأولى بعظيم مصر محمد علي باشا، وهو أحق بمعرفة من هو أعظم من خديو وأهم في التاريخ الإسلامي، كذلك يعز على الطالب الصغير الذي لم ينشأ في مصر أن يفهم..... الدروس الخاصة بمصر، لبعده عن الديار

المصرية ، وجهله للعوائد والتقاليد المصرية كما ترى في درس عيد وفاء النيل.

أفلا يحسن بنا أن نبدل منها درسا في السيرة النبوية المطهرة، وفي تاريخ الإسلام، وعن رجال الإسلام و أئمته، وإذا كان لابد من موضوعات بلدية، وإنها لاشك منشطة لذهن الطالب الصغير. فلماذا لا نضع دروسا عن الأمكنة و الآثار والأبنية الوطنية التي شادها المسلمون في البلاد، وعن أعياد ومواسم إسلامية، فإذا كان ذلك في الهند أو باكستان مثلا ، نضع للطالب درسا خاصا ببلاده أو عاما للمسلمين، كدروس عن آثار الملوك الإسلاميين في هذه البلاد أو في العالم الإسلامي .

وكذلك في الرجال هو أحق بمعرفة فاتحي الهند والغزاة المنتصرين والملوك الصالحين ، ورجال العلم والدين الذين أنجبتهم أرض الهند.

زد على ذلك كله أن هذه الكتب المؤلفة في البلاد العربية عارية عن الروح الديني لمصالح تعليمية وسياسية في تلك البلاد، أو لثقافة ابنائها الحديثة، ولا يرضى المسلم في شبه قاره الهند أن يجرد اللغة العربية و أدبها من الروح الديني، ودرس اللغة العربية كلغة بشرية عامة لها أدبها و جمالها، لأن صلة العجم باللغة العربية إنما هي عن طريق الدين والكتاب المبين، وسنة سيدالمرسلين - عليه الصلاة و السلام - و إنما يعنيه أمر اللغة العربية لأنها لغة لا يتوصل بغيرها إلى منابع الدين و مشارعه الصافية ، فيجب أن يستعان بها على دراسة الكتاب والسنة بغير واسطة، ويتقرب إلى تلك البيئة التي نبع منها الأدب الإسلامي بأوسع معنى الكلمة،

فإذا انقطعت الصلة بين اللغة والدين والأدب الإسلامي كان للهندي ولكل عجمي قليل رغبة في هذه اللغة الكريمة .

كل ذلك كان يطالب بأن يكون للمسلمين في بلاد العجم منهاج درس خاص بهم، يضعونه وفقا لشئونهم الخاصة وتبعا لطبيعتهم الدينية .

إن عارا على المسلمين الهنديين والباكستانيين - وقد ظفروا بالاستقلال السياسي - أن لا يكون لهم استقلال في مناهج التعليم، مع أن الاستقلال العلمي والفكري مقدمان على الاستقلال السياسي ، وكل استقلال سياسي لا يسبقه أو لا يدعمه استقلال علمي فكري، تطرق إليه الوهن سريعا، وتسرب فيه الرق الفكري أو العلمي ، ثم تبعه الرق السياسي :

كان من أهم الواجبات في هذه الأيام أن يعني العلماء ورجال التعليم الديني بوضع منهاج تعليمي رشيد حكيم يفوق مناهج التعليم اللادينية في السهولة وتوفير الوقت ومراعاة نفسية الصغار، و يمتاز عنها في التربية الخلقية والدينية و تهذيب النفس، مع إفادة الطالب بكل ما تهم معرفته من الشئون الكونية والتاريخية والمواد العامة، مبنيا على أحدث مبادئ التعليم واختياراته .

وكان من حق هذه المهمة العلمية الدينية الجليلة - ولها خطرها وأثرها في حياة المسلمين وفي مستقبل التعليم الديني - أن تتألف لها لجان من العلماء والمعلمين الكبار وأصحاب المعاهد الجليلة، وأن يبذلوا في سبيلها قسطا صالحا من أوقاتهم وجهودهم، وأن يقدموها على كثير من أشغالهم العلمية والسياسية، فإن هذه المهمة الواسعة المعقدة لا يستقل بها الأفراد، وإنها لتنوء بالعصبة

أولي القوة، ولكن العلماء - مع الأسف - في شغل شاغل عن هذا العمل الجدي الذي يقتضي صبرا طويلا وعناءا شديدا و اختيارا واسعا وتعاضدا قويا، ثم إنه كثير الخطر بطئ الإثمار قليل الاشتهار.

إن خطر هذه المهمة و جلالتها و أن الأخطار المحدقة بنظام التعليم الديني التي تهدد حياة المسلمين الدينية، و اشتغال الأكفاء عنه بما هو اهم لديهم منه، حث مؤلف هذه الكتب على أن يكون جنديا مغامرا في سبيل هذا الجهاد، وأن يكون عاملا صغيرا في مهمة التعليم الديني ، وأن يؤدى من حقوق هذه اللغة الكريمة، ومن حقوق المعلمين الذين حببوا إليه هذه اللغة و سهلوها له ما يستطيع ، و أن يقوم باذن الله بجزء من أجزاء هذا العمل الجليل رغم ضعف صحته و تشتت باله، وانشعاب فكره وتزاحم اشغاله وكثرة أسفاره .

قام المؤلف أولا بوضع مجموعة المختارات في الأدب العربي ، فجاءت باذن الله تعالى مجموعة تمثل الأدب الإسلامي في جميع مظاهره و مناحيه الأدبية والتاريخية والتهذيبية من العصر الإسلامي الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري، تجمع بين الوان الأدب العربي المختلفة و بدائعه من وحي سماوي وبلاغة نبوية، و خطب لأشهر خطباء العرب في أزهر عصور العربية ، و روايات و قصص و رسائل و كتب ، و مناقشات و محاورات و رحلات و أحاديث منزلية منبسطة ، وجد و هزل و حكمة و لهو، تلقاها بعض الدوائر العلمية و المعاهد - على بطء - بالقبول ، و أدخلتها في مناهج الدرس .

ثم رأى المؤلف كتبا صغيرة لبعض أدباء مصر في حكايات الأسد والذئاب، والقردة والذئاب، حتى الخنازير والكلاب، فصيحة العبارة قليلة المغزى، عربية الوضع أفرنجية الروح، إسلامية اللغة جاهلية السبك، فيها صور الحيوانات في اللباس الغربي، فساءه أن لايقرأ أبناء المسلمين في العربية أيضا إلا قصص الحيوانات و الأساطير والخرافات، فكتب لهم قصص الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - بأسلوب سهل يحاكي أسلوب الأطفال و طبيعتهم من تكرار الكلمات والجمل، و سهولة الألفاظ و بسط القصة، و زين الكتاب بصور مناظر الطبيعة و الأبنية المقدسة، وقد وصفها المرحوم الأستاذ مسعود عالم الندوي بأنها تعلم مبادئ الدين أولا والأدب ثانيا .

ثم رأى المؤلف أن كل ذلك لا يسد مسد سلسلة القراءة التي تحتوى على مواد في اللغة والأدب متنوعة بأسلوب تدريجي ملائم لذوق الناشئة المسلمة الهندية، ونشء البلاد الإسلامية عامة، فوضعها في أجزاء و اجتهد في :

١. أن تكون اللغة أدبية دينية عليها مسحة من جمال أدب الكتاب والسنة .

٢. استعمال الكلمات المستحدثة التي لها أصل عربي و اشتقاق صحيح لموضوعات عصرية قد عول المؤلف فيها في الغالب على قرارات مجمع فؤاد الأول للغة العربية، حتى لا يلجأ الطالب في استعمال الكلمات العجمية أو الداخلية، أو يكون له لسان أخرس في المناسبات العصرية .

٣. تكرار المفردات العربية حتى يتمرن عليها الطالب .

٤. تنوع الموضوعات والمواد لينشط الطالب و ينتقل فيها من فائدة علمية إلى حديث ممتع وحوار لذيذ، ومن درس علمي إلى حكاية تاريخية ، ومن نثر إلى شعر أو نشيد .

٥. نقل الحكايات الواردة في الحديث إلى لغة سهلة على أسلوب الحكايات الموضوعة للأطفال .

٦. دروس خلقية تهذيبية تعلم الآداب الإسلامية في مختلف نواحي الحياة .

٧. تضمين الدروس الأدعية المأثورة والآداب الدينية بحيث لا يشعر الطالب بأنها تلقى عليه إلقاءً بل يحفظها عفوا في ثنايا الدروس والحكايات .

٨. الروح الديني الساري في الكتاب بحيث لا يمكن تجريد الكتاب منه ، ويعم ذلك الدروس الدينية و دروس المعلومات الكونية و الطبيعية و الحيوانية و النباتية و عن الاختراعات الحديثة .

وإلى القراء ، أصحاب المدارس و أولياء الأطفال الجزء الأول من هذه السلسة، و سيتلوه ـ إن شاء الله تعالى ـ الأجزاء الأخرى ؛ والله المسئول أن ينفع بهذا الكتاب و بيده العصمة والتوفيق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

أبو الحسن علي الحسني الندوي

لخمس بقين من رجب ١٣٦٥ هـ

دارالعلوم ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

كَيفَ أقْضِي يَومِي

أَنَام مُبَكّراً فِي اللَّيْلِ وَأَقُومُ مُبَكّراً فِي الصَّبَاحِ ، أَسْتَيْقِظُ عَلَىٰ اسْمِ اللهِ وَ ذِكْرِهِ ، أَسْتَعِدُّ لِلصَّلاَةِ ثُمَّ أَذْهَبُ مَعَ وَالِدِيْ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَ الْمَسْجِدُ قَرِيبٌ مِّنْ بَيْتِي ، فَأَتَوَضَّأُ وَ أُصَلِّيْ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَ أَرْجِعُ إِلَى الْبَيْتِ وَأَتْلُوْ شَيْئاً مِّنَ الْقُرآنِ الْكَرِيْمِ ، ثُمَّ أَخْرُجُ إِلَى الْبُسْتَانِ وَأَجْرِيْ ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى الْبَيْتِ فَأَشْرَبُ اللَّبَنَ وَأَسْتَعِدُّ لِلذَّهَابِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ ، وَ أُفْطِرُ إِذَا كَانَتْ أَيَّامُ الصَّيْفِ ، وَ أَتَغَدَّى إِذَا كَانَتْ أَيَّامُ الشِّتَاء، وَأَصِلُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ فِي الْمِيْعَادِ .

وَ أَمْكُثُ فِي الْمَدْرَسَةِ سِتَّ سَاعَاتٍ ، وَ أَسْمَعُ الدُّرُوْسَ بِنَشَاطٍ وَّ رَغْبَةٍ، وَ أَجْلِسُ بِأَدَبٍ وَّ سَكِيْنَةٍ ، حَتَّىٰ إِذَا انْتَهَى الْوَقْتُ وَ ضُرِبَ الْجَرَسُ خَرَجْتُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ وَ رَجَعْتُ إِلَى الْبَيْتِ.

وَ لاَ أَقْرَأُ بَعْدَ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَ فِيْ بَعْضِ الْأَيَّامِ أَمْكُثُ فِي الْبَيْتِ ، وَ فِيْ بَعْضِ الْأَيَّامِ أَذْهَبُ إِلَى السُّوْقِ وَ أَشْتَرِيْ حَوَائِجَ الْبَيْتِ ، وَ فِيْ بَعْضِ الْأَيَّامِ

أَخْرُجُ مَعَ أَبِيْ أَوْ أَخِيْ إِلَىٰ بَعْضِ الْأَقَارِبِ ، أَوْ أَلْعَبُ مَعَ إِخْوَتِيْ وَ أَصْدِقَائِيْ .

وَ أَتَعَشَّىٰ مَعَ وَالِدِيْ وَ إِخْوَتِيْ وَ أَحْفَظُ دُرُوْسِيْ ، وَ أُطَالِعُ لِلْغَدِ وَ أَسْتَعِدُّ لِلدَّرْسِ ، وَ أَكْتُبُ مَا يَأْمُرُ بِهِ الْمُعَلِّمُ ، وَ أُصَلِّي الْعِشَاءَ وَ أَقْرَأُ قَلِيْلاً ، ثُمَّ أَنَامُ عَلَى اسْمِ اللهِ وَ ذِكْرِه.

تِلْكَ عَادَتِيْ كُلَّ يَوْمٍ لاَ أُخَالِفُهَا، وَ أَقُوْمُ مُبَكِّراً يَوْمَ الْعُطْلَةِ أَيْضاً ،وَ أُصَلِّيْ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَ أَتْلُو الْقُرْآنَ ، وَأَقْضِي الْيَوْمَ فِيْ مُطَالَعَةِ كِتَابٍ وَمُحَادَثَةٍ مَعَ أَبِيْ وَ أُمِّيْ وَ إِخْوَتِيْ ، وَ فِيْ زِيَارَةِ قَرِيْبٍ أَوْ عِيَادَةِ مَرِيْضٍ ، وَ أَمْكُثُ أَحْيَاناً فِي الْبَيْتِ ، وَ أَخْرُجُ أَحْيَاناً إِلَى الْخَارِجِ .

❖ الأسئلة :

(١) ماذا تفعل عندما تستيقظ من نومك ؟

(٢) لماذا تستيقظ باكراً ؟

(٣) هل تساعد اباك في شراء الحاجيات من السوق ؟

(٤) كيف تقضي يوم العطلة ؟

(٥) ما الأذكار التي تقولها حين تريد أن تنام ؟

❖ اختر الإجابة الصحيحة مما يلي :

أين تتعلم ؟

(في المسجد ، في المدرسة ، في المنزل).
أين تتلقى الدروس ؟
(في الشارع ،في الحديقة ، في حجرة الدراسة).

(٢)

لَمَّا بَلَغتُ السَّابِعَةَ مِن عُمْرِي

لَمَّا بَلَغْتُ السَّابِعَةَ مِنْ عُمْرِيْ أَمَرَنِيْ أَبِيْ بِالصَّلاَةِ ، وَ كُنْتُ تَعَلَّمْتُ كَثِيْراً مِّنَ الْأَدْعِيَةِ وَ حَفِظْتُ سُوَراً مِّنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ مِنْ أُمِّيْ ، وَ كَانَتْ أُمِّيْ تَتَكَلَّمُ مَعِيْ كُلَّ لَيْلَةٍ عِنْدَ الْمَنَامِ فَتَقُصُّ عَلَيَّ قِصَصَ الأَنْبِيَاءِ ، وَ كُنْتُ أَسْمَعُ هٰذِهِ الْقِصَصَ بِنَشَاطٍ وَّ رَغْبَةٍ .

وَ بَدَأْتُ أَذْهَبُ مَعَ أَبِيْ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَ أَقُوْمُ فِيْ صَفِّ الْأَطْفَالِ خَلْفَ صَفِّ الرِّجَالِ ، وَ لَمَّا بَلَغْتُ الْعَاشِرَةَ مِنْ عُمْرِيْ قَالَ لِيْ مَرَّةً ، قَدْ أَكْمَلْتَ الْآنَ مِنْ عُمُرِكَ تِسْعَ سِنِيْنَ ، وَالآنَ أَنْتَ ابْنُ عَشْرِ سِنِيْنَ ، فَإِذَا تَرَكْتَ صَلاَةً ضَرَبْتُكَ، لِأَنَّ النَّبِيَّ قَالَ : مُرُوْا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِيْنَ ، وَ اضْرِبُوْهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ.

وَ قَصَّ عَلَيَّ أَبِي قِصَصَ الْأَطْفَالِ الَّذِيْنَ حَافَظُوْا عَلَى الصَّلاَةِ فِي الصِّغَرِ، وَ كَانَ لَهُمْ شَأْنٌ فِي الْكِبَرِ ٠

قُلْتُ يَا أَبِيْ ! إِنَّكَ لاَ تَحْتَاجُ إِلىٰ أَنْ تَضْرِبَنِيْ وَ سَأُحَافِظُ عَلَى الصَّلَوَاتِ ، وَكَذٰلِكَ فَعَلْتُ ، فَقَدْ كُنْتُ أُصَلِّيْ أَيْنَمَا كُنْتُ ، كُنْتُ إِذَا ذَهَبْتُ إِلَى السُّوْقِ أَوْ كُنْتُ فِيْ شُغْلٍ وَّ أَدْرَكَتْنِيْ الصَّلاَةُ فِيْ مَكَانٍ صَلَّيْتُ ، لِأَنِّيْ أَرَى النَّاسَ لاَ يَخْجَلُوْنَ مِنَ الْأَكْلِ إِذَا جَاعُوْا، وَاللَّعِبِ إِذَا أَرَادُوْا ، فَلِمَاذَا أَخْجَلُ مِنَ الصَّلاَةِ؟ وَ إِنَّ الصَّلاَةَ لَفَرِيْضَةٌ ، وَ إِنَّ الصَّلاَةَ لَشَرَفٌ لِلْمُسْلِمِ .

وَ خَرَجْتُ مَرَّةً إِلىٰ مُبَارَاةٍ وَّ كَانَ الزِّحَامِ شَدِيْداً، وَ أَدْرَكَتْنِيْ صَلاَةُ الْعَصْرِ وَكُنْتُ عَلىٰ وُضُوْءٍ، فَقُمْتُ أُصَلِّيْ وَجَعَلَ النَّاسُ يَنْظُرُوْنَ إِلَيَّ وَيَتَعَجَّبُوْنَ ، وَ أَكْمَلْتُ صَلاَتِيْ بِسَكِيْنَةٍ وَّ اعْتِدَالٍ وَّ رَجَعْتُ إِلَى الْمُبَارَاةِ٠

وَ لَمَّا انْتَهَتِ الْمُبَارَاةُ جَاءَ إِلَيَّ رَجُلٌ وَّ سَأَلَنِيْ عَنِ اسْمِيْ وَ اسْمِ وَالِدِيْ، وَ سَأَلَنِيْ عَنْ سِنِّيْ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَأَثْنَى عَلىٰ أَبِيْ خَيْراً ، وَ دَعَا لِيْ بِالْبَرَكَةِ ، وَقَالَ : مَا رَأَيْتُ وَلَداً يُّصَلِّيْ فِيْ الْمُبَارَاةِ وَ يَتْرُكُ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّلاَةَ فِيْ هٰذَا الْوَقْتِ ، فَحَمِدْتُ اللّٰهَ وَ شَكَرْتُ أَبِيْ ٠

وَ لاَ أَتْرُكُ الصَّلاَةَ إِذَا كُنْتُ مُسَافِراً، وَ أَرَى كثيراً مِّنَ النَّاسِ يُصَلُّوْنَ فِيْ الْحَضَرِ وَ يَتْرُكُوْنَ الصَّلاَةَ فِي السَّفَرِ ، وَ يُصَلُّوْنَ فِي الصِّحَةِ وَلاَ يُصَلُّوْنَ فِي الْمَرَضِ ، مَعَ أَنَّ الصَّلاَةَ لاَ تَسْقُطُ عَنْ أَحَدٍ .

وَ أَرَى كَثِيْراً مِّنَ النَّاسِ لاَ يُصَلُّونَ بِاعْتِدَالٍ وَ سَكِيْنَةٍ وَّ يُسْرِعُوْنَ كَثِيْراً ، وَلاَ أَذْكُرُ أَنِّيْ تَرَكْتُ صَلاَةً فِيْ هٰذِهِ السَّنَوَاتِ الْأَرْبَعِ ، وَ إِذَا نِمْتُ عَنْهَا أَوْ نَسِيْتُهَا صَلَّيْتُهَا إِذَا تَذَكَّرْتُ .

وَ إِنِّيْ أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى التَّوْفِيْقَ وَالثَّبَاتَ .

❖ الأسئلة :

(١) متى يؤمر الطفل بأداء الصلاة ؟

(٢) كم سورة تحفظ من القرآن الكريم ؟

(٣) لو كنت تشاهد مباراة وأدركتك صلاة العصر ، ماذا تفعل ؟

(٤) ماذا تقول إذا أصابك خير ؟

(٥) رأيت صديقك يسرع في صلاته ، بماذا تنصحه ؟

❖ ضع كلمة (صحيح) أو (خطأ) أمام كل جملة :

- لما بلغت الثانية عشرة من عمري أمرني أبي بالصلاة .
- الصلاة فريضة على كل مسلم ومسلمة .
- أسأل الله التوفيق والثبات .

٣

النَّمْلَةُ

طَابَ سَعْيِيْ بِالْأَمَلْ لَسْتُ أَرْضَى بِالْكَسَلْ
غَايَتِيْ نَيْلُ الطَّلَبْ لَا أُبَالِيْ بِالتَّعَبْ
أَبْتَنِي الْبَيْتَ الْحَسَنْ بِنِظَامٍ لِلسَّكَنْ
وَلِقُوتِيْ أَذْهَبُ لَسْتُ يَوْماً أَلْعَبُ
كُلَّ صَيْفٍ أَجْمَعُ لِيْ طَعَاماً يُشْبِعُ
فَإِذَا جَاءَ الْمَطَرْ كَانَ لِيْ بَيْتِي الْمَقَرْ
ذَاكَ شَأْنِيْ فِي الصِّغَرْ وَنِظَامِيْ فِي الْكِبَرْ
إِنَّنِيْ نِعْمَ الْمَثَلْ بِاجْتِهَادِيْ فِي الْعَمَلْ

(مَبَادِئُ الْقِرَاءَةِ الرَّشِيْدَةِ)

❖ الأسئلة :

(١) ما غاية النملة من سعيها وبذلها للجهد ؟
(٢) عدد بعض الأعمال التي تقوم بها النملة .
(٣) ماذا نتعلم من النملة ؟
(٤) لماذا تجمع النملة طعامها في الصيف ؟
(٥)هل تستطيع أن تحكي لاخوتك قصة تحث على الاجتهاد وترك الكسل ؟

❖ **ضع كلمة مناسبة مما يلي مكان النقط :**

(أرضى ، العمل ، بالأمل ، نعم)

طاب سعيي .....   لست ..... بالكسل

إنني ..... المثل   باجتهادي في .....

④

فِـــي السُّــوقِ



عُمَــرُ : هَلْ زُرْتَ سُوْقَ هٰذَا الْبَلَدِ يَا صَدِيْقِيْ ؟

خَالِدٌ : لاَ يَا أَخِيْ ، فَإِنِّيْ غَرِيْبٌ جَدِيْدٌ فِيْ هٰذَا الْبَلَدِ لاَ أَعْرِفُ الطَّرِيْقَ.

عُمَـرُ : تَعَالَ مَعِيْ فَإِنِّيْ ذَاهِبٌ إِلَى السُّوْقِ لِأَشْتَرِيَ بَعْضَ الْحَوَائِجِ وَنَرْجِعُ قَبْلَ الْمَغْرِبِ إِنْ شَاءَ اللهُ ، فَإِنَّ السُّوْقَ غَيْرُ بَعِيْدَةٍ.

خَالِدٌ : مَا شَاءَ اللهُ ! هٰذِهِ سُوْقٌ كَبِيْرَةٌ وَّالدَّكَاكِيْنُ نَظِيْفَةٌ جَمِيْلَةٌ ، وَمَا هٰذَا الدُّكَّانُ الْجَمِيْلُ إِلَى الْيَمِيْنِ يَا عُمَرُ؟

عُمَـرُ : هٰذَا دُكَّانُ فَاكِهَانِيٍّ ، أَلاَ تَرَىٰ إِلَى الْفَوَاكِهِ وَتَرَى النَّاسَ يُسَاوِمُوْنَ الْفَاكِهَانِيَّ فِيْهَا.

خَالِدٌ : أَنَا أُرِيْدُ أَنْ أَشْتَرِيَ شَيْئاً مِّنَ الْفَوَاكِهِ ، الْمَوْزَ وَالْجَوَّافَةَ وَالْبُرْتُقَالَ ، فَإِنِّيْ أُرِيْدُ أَنْ أَدْعُوَ بَعْضَ الْإِخْوَانِ إِلَى الْفُطُورِ بُكْرَةً.

عُمَـرُ : اَلْجَوَّافَةُ غَالِيَةٌ جِدّاً فِيْ هٰذِهِ الْأَيَّامِ ، وَالْبُرْتُقَالُ حَامِضٌ وَلاَ بَأْسَ بِالْمَوْزِ.

خَالِدٌ : تَفَضَّلْ يَا أَخِيْ نُسَاوِمِ الْفَاكِهَانِيَّ .

عُمَـرُ : أَحْسَنُ أَنْ نَشْتَرِيَ الْفَوَاكِهَ مِنْ سُوْقِ الْخُضَرِ بُكْرَةً ، فَإِنَّ الْفَوَاكِهَ وَ الثِّمَارَ فِيْهَا كَثِيْرَةٌ وَّ رَخِيْصَةٌ.

خَالِدٌ: هٰذَا هُوَ الرَّأْيُ ، وَمَا هٰذِهِ الدَّكَاكِيْنُ يَا عُمَرُ؟

عُمــرُ : هٰذِهِ دَكَاكِينُ الْقُمَاشِ ، أَلاَ تَرَى! كَيْفَ بَسَطُوْا أَنْوَاعاً مِّنَ الْقُمَاشِ وَ كَيْفَ يَلْمَسُهَا النَّاسُ وَ يُسَاوِمُوْنَ فِيْهَا التُّجَّارَ ، تَعَالَ ! فَإِنِّيْ أُرِيْدُ أَنْ أَشْتَرِيَ حِذَاءاً.

خَالِدٌ : تَفَضَّلْ فَإِنِّيْ صَاحِبُكَ .

عُمــرُ : مِنْ فَضْلِكَ أَخْرِجْ لِيْ حِذَاءاً مُّطَابِقاً.

صَاحِبُ الدُّكَّانِ : هٰذَا حِذَاءٌ جَمِيْلٌ وَّمَتِيْنٌ.

عُمــرُ : نَعَمْ! وَلٰكِنَّهُ وَاسِعٌ قَلِيْلاً .

صَاحِبُ الدُّكَّانِ : وَ هٰذَا الآخَرُ مُطَابِقٌ تَمَاماً .

عُمــرُ : بِكَمْ هُوَ؟

صَاحِبُ الدُّكَّانِ : بِسِتِّ رُبِّيَّاتٍ .

عُمــرُ : أَلاَ تَنْزِلُ فِي الثَّمَنِ ؟

صَاحِبُ الدُّكَّانِ : لَنْ تَجِدَ يَا سَيِّدِيْ أَرْخَصَ مِنْ هٰذَا فِيْ السُّوْقِ .

عُمــرُ : أُصَدِّقُكَ لأَنَّكَ مُسْلِمٌ وَّالْمُسْلِمُ لاَيَكْذِبُ وَلاَيَغُشُّ .

خَالِدٌ : وَمَا هٰذَا الْمَكَانُ الَّذِيْ يَأْكُلُ فِيْهِ النَّاسُ ؟

عُمَـرُ : هٰذَا مَطْعَمٌ يَأْكُلُ فِيْهِ النَّاسُ ، وَالْمَطَاعِمُ فِي الْبَلَدِ كَثِيْرَةٌ .

خَالِدٌ : مَالِيْ لَمْ أَرَ مَطْعَماً فِي الْقَرْيَةِ ؟

عُمَـرُ : لأَنَّ الْبَلَدَ فِيْهِ غُرَبَاءُ وَ مُسَافِرُوْنَ لَيْسَ لَهُمْ بُيُوْتٌ يُقِيْمُوْنَ فِيْهَا وَ يَأْكُلُوْنَ فِيْهَا ، فَيَأْكُلُوْنَ فِي الْمَطَاعِمِ ، أَمَّا الْقَرْيَةُ فَالْغَرِيْبُ فِيْهَا قَلِيْلٌ فَلاَ حَاجَةَ فِي الْقَرْيَةِ إِلَى الْمَطْعَمِ .

خَالِدٌ : وَأَيْنَ نَجِدُ الْوَرَقَ وَالْحِبْرَ وَ الْقَلَمَ وَ الْمِرْسَمَ وَالنَّشَّافَةَ وَأَدَوَاتِ الْكِتَابَةِ؟

عُمَـرُ : هٰذَا دُكَّانُ وَرَّاقٍ تَجِدُ فِيْهِ جَمِيْعَ حَوَائِجِ الْمَدْرَسَةِ .

خَالِدٌ : أَشْكُرُكَ يَا صَدِيْقِي الْكَرِيْمَ فَقَدْ أَفَدتَّنِيْ كَثِيْراً ، وَأَرَىْ أَنْ نَرْجِعَ الآنَ إِلَى الْبَيْتِ وَنُصَلِّي الْمَغْرِبَ هُنَا .

عُمَـرُ : نَعَمْ ! وَمَا بَقِيَ لِيْ شُغْلٌ .

❖ الأسئلة :

(١) ماذا تشترى من السوق ؟

(٢) عدد ثلاثة أنواع من الفواكه ؟

(٣) ما صفات الحذاء الذي يشتريه لك ابوك ؟

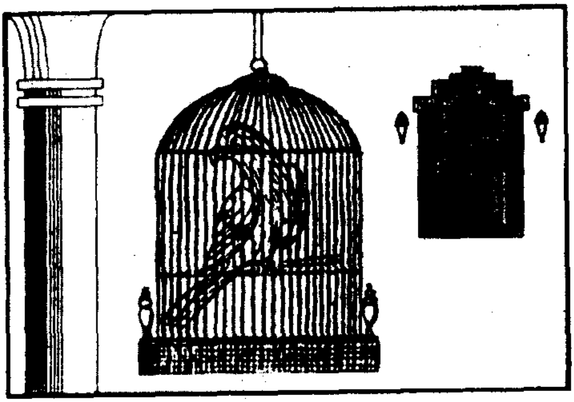
(٤) بم يتصف البائع المسلم ؟

❖ صحح الخطأ في الجمل التالية :

- يشتري سعيد الموز من عند تاجر الأقمشة .
- نتلقى الدروس في المدرسة من الآباء .
- المطاعم في المدينة قليلة .

(٥)

الطَّائِرُ



الْحَبْسُ لَيْسَ مَذْهَبِيْ وَلَيْسَ فِيْهِ طَرَبِيْ
فَلَسْتُ أَرْضَى قَفَصاً وَ إِنْ يَكُنْ مِنْ ذَهَبِ
غَابَاتُ رَبِّيْ غَايَتِي وَالْعَيْشُ فِيْهَا مَطْلَبِيْ
قَدْ طَابَ فِيْهَا مَطْعَمِيْ وَ رَاقَ فِيْهَا مَشْرَبِيْ
أَذْهَبُ فِيْهَا أَسْتَقِي مِنْ مَّاءِ نَبْعٍ أَعْذَبِ
أَصْدَحُ فِيْهَا مُطْلَقاً فَالْحَبْسُ لَيْسَ مَذْهَبِيْ

((مَدَارِجُ الْقِرَاءَةِ))

❖ الأسئلة :

(١) هل يحب الطائر البقاء محبوسا في القفص ؟

(٢) ما غاية الطائر و ما مطلبه ؟

(٣) أين يطيب العيش للطائر ؟

(٤) ضع عنوانا للنص .

(٥) ما الحكمة التي نطق بها الطائر ؟

❖ من أنا ؟

- أطير في الفضاء ، وأحب العيش في الغابات والبساتين ، وصوتي جميل .

- تتلقون مني الدروس المفيدة ، فتزدادون علما وفهما .

- تحضرون إليّ كل صباح لتأخذوا العلم ، وتتزودوا بالثقافة النافعة .

٦

نُزْهَـــةٌ وَّطَبْــخٌ



كَانَ يَوْمُ الثُّلاَثَاءِ الْمَاضِيْ يَوْمَ عُطْلَةٍ فِي الْمَدْرَسَةِ. جَاءَ إِلَيَّ دَاودُ صَبَاحاً وَّقَالَ : الْيَوْمُ يَوْمُ الْعُطْلَةِ ، أَلاَ نَخْرُجُ إِلَىٰ بُسْتَانٍ ، أَوْ مَكَانٍ فِيْ ضَوَاحِي الْمَدِيْنَةِ نَرْتَعُ وَنَلْعَبُ ، وَنَطْبُخُ مِنَ الطَّعَامِ مَا نَشْتَهِيْ وَنَأْكُلُ ، وَنَرْجِعُ فِي الْمَسَاءِ ، قُلْتُ : هُوَ كَذٰلِكَ! وَأَنَا كُنْتُ أُفَكِّرُ أَيْضاً كَيْفَ أَقْضِيْ هٰذَا الْيَوْمَ ، وَلٰكِنْ كَلِّمْ أَخَاكَ سُلَيْمَانَ وَالْأَخَ هَاشِماً وَّالسَّيِّدَ عُمَرَ لَعَلَّهُمْ يَخْرُجُوْنَ مَعَنَا .

وَافَقَ دَاوُدُ عَلَىٰ ذٰلِكَ وَكَلَّمَهُمْ ، وَفَرِحُوْا جِدّاً وَجَاؤُوْا إِلَىٰ بَيْتِيْ مِنْ سَاعَتِهِمْ، وَجَاءَ صَدِيْقُنَا خَالِدٌ فَفَرِحْنَا بِهِ وَقُلْنَا : مَرْحَباً .

اجْتَمَعْنَا وَقُلْنَا : هَلْ نَقْصِدُ بُسْتَاناً مِّنْ بَسَاتِيْنِ الْمَدِيْنَةِ أَوْ نَتَوَجَّهُ إِلَىٰ ضَاحِيَةٍ مِّنْ ضَوَاحِي الْمَدِيْنَةِ.

قَالَ دَاوُدُ وَعُمَرُ : بَلْ نَقْصِدُ الْبُسْتَانَ الْكَبِيْرَ فِيْ وَسَطِ الْمَدِيْنَةِ ، فَإِنَّ الْبُسْتَانَ قَرِيْبٌ فَلاَ يَضِيْعُ وَقْتُنَا فِيْ الذَّهَابِ إِلَىٰ ضَاحِيَةٍ مِّنْ ضَوَاحِيْ الْبَلَدِ .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ وَهَاشِمٌ وَأَنَا مَعَهُمَا : بَلْ نَتَوَجَّهُ إِلَىٰ بَعْضِ الضَّوَاحِيْ لِأَنَّا نُرِيْدُ أَنْ نَطْبُخَ الطَّعَامَ وَنَقْضِيَ النَّهَارَ فِيْ النُّزْهَةِ وَالطَّبْخِ .

فَاسْتَقَرَّ رَأْيُنَا عَلَى الذَّهَابِ إِلَى الضَّاحِيَةِ فَاكْتَرَيْنَا مَرْكَبَةً وَّ وَصَلْنَا مِنْ سَاعَتِنَا إِلَى الضَّاحِيَةِ .

وَكُنَّا أَخَذْنَا مَعَنَا الرُّزَّ وَاللَّحْمَ وَالتَّوَابِلَ وَالسَّمْنَ وَالْخُضَرَ وَأَخَذْنَا قِدْرَيْنِ وَأَوَانِيَ ، وَكُنَّا عَلِمْنَا أَنَّ فِيْ الْمَحَلِّ خَبَّازاً، فَقُلْنَا نَشْتَرِي الرَّغِيْفَ فَإِنَّ الرَّغِيْفَ فِيْهِ تَعَبٌ .

اِخْتَرْنَا مَكَاناً ظَلِيلاً وَكَانَ السَّيِّدُ عُمَرُ وَالسَّيِّدُ هَاشِمٌ يُحْسِنَانِ الطَّبْخَ فَتَوَلَّيَا أَمْرَ الطَّبْخِ وَسَاعَدَهُمَا دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ .

وَتَوَلَّيْتُ أَمْرَ الْحَطَبِ فَذَهَبْتُ إِلَى الْغَابَةِ الْقَرِيبَةِ وجِئْتُ بِالْحَطَبِ مِنْ سَاعَتِيْ ، وَدَقَّ خَالِدٌ التَّوَابِلَ وَ ذَهَبْتُ أَنَا إِلَى الْخَبَّازِ فَاشْتَرَيْتُ الْأَرْغِفَةَ .

وَأَدْرَكَ الطَّعَامُ فِي السَّاعَةِ الْحَادِيَةَ عَشَرَةَ ، وَقَدْ غَلَبَنَا الْجُوْعُ وَاشْتَهَيْنَا الطَّعَامَ فَأَكَلْنَا بِرَغْبَةٍ ، وَكَانَ الطَّعَامُ شَهِيّاً لَذِيْذاً .

وَجَلَسْنَا نَتَحَدَّثُ حَتَّىٰ كَانَ وَقْتُ الظُّهْرِ فَأَذَّنْتُ وَصَلَّيْنَا جَمَاعَةً .

وَخَرَجْنَا بَعْدَ الصَّلَاةِ نَزُوْرُ بَعْضَ الآثَارِ ، وَفِي الْعَصْرِ رَجَعْنَا إِلَى الْبَلَدِ مَسْرُوْرِيْنَ .

الأسئلة :

(١) ما اسم يوم العطلة في المكان الذي تتعلم فيه؟

(٢) ماذا تفعل في النزهة ؟

(٣) اذكر بعض الحاجيات التي يأخذها الناس معهم في نزهتهم .

(٤) لماذا يتنزه الناس ؟

(٥) يتعاون الناس في النزهة .ماذا تحب أن تعمل في نزهتك مع أهلك؟

❖ اخترع من العمود الأيسر ما يناسب كل عبارة من العمود الأيمن :

نخرج إلى البستان	فأكلنا برغبة
أخذنا معنا	نزور بعض الآثار
اشتهينا الطعام	من أجل النزهة
خرجنا بعد الصلاة	الرز واللحم والخضراوات

⑦

مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟

خَرَجَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فِيْ غَزْوَةٍ ! هَلْ تَعْرِفُوْنَ مَا هِيَ الْغَزْوَةُ؟

لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُوْنَ أَنَّ الْمُسْلِمِيْنَ كَانُوْا يَخْرُجُوْنَ لِلْجِهَادِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ وَكَانُوْا يُقَاتِلُوْنَ الْمُشْرِكِيْنَ وَالْكُفَّارَ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ ، وَلَعَلَّكُمْ تَعْلَمُوْنَ فَضِيْلَةَ الْجِهَادِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ ؟ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْرُجُ أَحْيَاناً مَعَ الْمُسْلِمِيْنَ وَأَحْيَاناً يَمْكُثُ فِي الْمَدِيْنَةِ لِشُغْلٍ أَوْ مَصْلَحَةٍ وَيَبْعَثُ جُنْداً مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ .

فَالْغَزْوَةُ مَا خَرَجَ فِيهَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فِيْ جُنْدٍ مِّنْ الْمُسْلِمِيْنَ لِلْجِهَادِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ .

نَعَمْ فَخَرَجَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فِيْ غَزْوَةٍ وَّرَجَعَ عَنْهَا فِي الظَّهِيْرَةِ وَكَانَتْ أَيَّامُ الصَّيفِ فَأَرَادَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ أَنْ يَسْتَرِيْحَ .

وَلَيْسَ فِي الْبَرِّيَّةِ مَكَانٌ يَّسْتَرِيْحُ فِيْهِ الإِنْسَانُ إِلاَّ الشَّجَرُ.

وَلَيْسَ فِي الْبَرِّيَّةِ فِيْ بِلاَدِ الْعَرَبِ شَجَرٌ كَثِيْرٌ، وَلَيْسَ فِيهَا إِلاَّ السَّمُرُ.

فَنَزَلَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ وَّعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَنَامُوْا ، وَنَامَ رَسُوْلُ اللهِ تَحْتَ السَّمُرَةِ.

وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنَ الْمُشْرِكِيْنَ وَسَيْفُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ مُعَلَّقٌ بِالسَّمُرَةِ وَهُوَ فِيْ غِمْدِهِ.

فَأَخَذَ الْمُشْرِكُ السَّيْفَ وَسَلَّهُ مِنْ غِمْدِهِ وَاسْتَيْقَظَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ الْمُشْرِكُ ... وَالسَّيْفُ مَسْلُوْلٌ فِيْ يَدِهِ... لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ : تَخَافُنِيْ ؟

قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ لاَ!

قَالَ الْمُشْرِكُ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّيْ؟

قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: اللهُ!

فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِ الْمُشْرِكِ فَأَخَذَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ السَّيْفَ فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ لِلْمُشْرِكِ : مَّنْ يَّمْنَعُكَ مِنِّيْ؟

فَقَالَ الْمُشْرِكُ :كُنْ خَيْرَ آخِذٍ!

فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ : أَتَشْهَدُ أَنْ لاَّ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّيْ رَسُوْلُ اللهِ .

قَالَ الْمُشْرِكُ :لاَ! وَلكِنِّيْ أُعَاهِدُكَ عَلَىٰ أَن لاَّ أُقَاتِلَكَ وَ لاَ أَكُوْنَ مَعَ قَوْمٍ يُّقَاتِلُوْنَكَ !

فَخَلَّى رَسُوْلُ اللهِ ﷺ سَبِيْلَهُ .

فَأَتَى الْمُشْرِكُ أَصْحَابَهُ فَقَالَ : جِئْتُكُمْ مِّنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ [١] .

❖ الأسئلة :

(١) عرف الغزوة .

(٢) اين نام رسول الله ﷺ ؟

(٣) ماذا فعل المشرك ؟

(٤) علام تدل إجابة النبي للمشرك ؟

(٥) بعد صفح رسول الله ﷺ عن المشرك ، ماذا قال ذاك الرجل؟

---

(١) مُلْتَقَطٌ مِّنَ الصَّحِيْحَيْنِ وَصَحِيْحِ أَبِيْ بَكْرٍ الْإِسْمَاعِيْلِيِّ .

❖ **أكمل الجمل التالية بكلمات من النص:**

- ليس في .... مكان يستريح فيه الإنسان إلا الشجر.
- قال المشرك :أعاهدك على أن لا ....
- أتى المشرك أصحابه فقال: جئتكم من عند ....الناس.

⑧

سَفَرُ القِطَارِ



لاَ أَنسى سَفَرِي الْأَوَّلَ ، عَلِمْتُ أَنِّيْ مُسَافِرٌ بُكْرَةً مَّعَ أُمِّيْ وَ إِخْوَتِيْ ، فَاستَيْقَظْتُ قَبْلَ السَّحَرِ وَبَقِيْتُ أَنْتَظِرُ سَاعَةَ السَّفَرِ ، وَاستَيقَظَ أَهْلُ الْبَيْتِ مُبَكِّرِيْنَ ، وَصَلَّيْنَا

الصُّبْحَ ، وَجَاءَ عَمِّيْ وَبَدَأَتْ فِيْ الْبَيْتِ حَرَكَةٌ وَأَصْوَاتٌ ، هذَا يَجْرِيْ وَذلِكَ يَلُفُّ الْفِرَاشَ، وَ هذَا يُنَادِيْ وَذلِكَ يُجِيْبُ ، وَالْعَمُّ يَغْضَبُ وَيَسْتَعْجِلُ ، وَالْوَالِدُ قَائِمٌ يَأْمُرُ وَيَنْهَى ، وَيَغْضَبُ وَيُرْشِدُ ، وَالْخَادِمُ يُهَيِّئُ الزَّادَ ، حَتَّىٰ كَانَ وَقْتُ الْخُرُوْجِ مِنَ الْبَيْتِ ، وَقَرُبَ مِيْعَادُ الْقِطَارِ.

جَاءَتْ مَرْكَبَتَانِ فَرَكِبْنَاهُمَا، وَ سَلَّمْتُ عَلَىٰ أَبِيْ فَوَدَّعَنِيْ وَ دَعَا لِيْ ، وَ وَصَلْنَا إِلَى الْمَحَطَّةِ فَأَخَذَ الْحَمَّالُوْنَ الحَوَائِجَ وَ الْمَتَاعَ ، وَكَانَتْ أَيَّامُ شِتَاءٍ فَكَانَتِ الْفُرُشُ كَبِيْرَةً ، وَ ذَهَبَ عَمِّيْ فَاشْتَرَىٰ تَذَاكِرَ الْقِطَارِ.

وَ سَأَلْتُ عَمِّيْ عَنِ النَّوْلِ فَقَالَ : إِنَّ النَّوْلَ ثَلَاثُ رُبِّيَّاتٍ ، وَ رُبِّيَّةٌ وَّ نِصْفٌ لَكَ .

وَ قُلْتُ لِعَمِّيْ: أَعْطِنِيْ تَذْكِرَتِيْ ، فَقَالَ عَمِّيْ : إِنَّكَ تُضَيِّعُ تَذْكِرَتَكَ، فَقُلْتُ : لاَ ! سَأُحَافِظُ عَلَىٰ تَذْكِرَتِيْ إِنْ شَاءَ اللّٰه، فَأَعْطَانِيْ تَذْكِرَتِيْ وَوَضَعْتُهَا عِنْدِيْ ، دَخَلْنَا الْمَحَطَّةَ فَرَأَيْنَا رِجَالاً كَثِيْراً وَّنِسَاءً وَّ أَطْفَالاً وَّ رَأَيْنَا زِحَاماً شَدِيْداً وَّ سَمِعْنَا أَصْوَاتَ النَّاسِ وَ الْأَطْفَالِ وَ صَيْحَةَ الْحَمَّالِيْنَ وَ صَفِيْرَ الْقَاطِرَةِ .

وَ كَانَ قِطَارُنَا مُتَأَخِّراً فَذَهَبْنَا إِلَى الْمَنْظَرَةِ وَ جَلَسْنَا قَلِيْلاً، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى الرَّصِيْفِ لِأَرَى هَلْ جَاءَ الْقِطَارُ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْمَنْظَرَةِ.

وَ بَعْدَ قَلِيْلٍ جَاءَ الْقِطَارُ فَخَرَجْنَا مِنَ الْمَنْظَرَةِ ، وَقَامَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَلَى الرَّصِيْفِ وَوَقَفَ الْقِطَارُ ، وَنَزَلَ أُنَاسٌ وَرَكِبَ أُنَاسٌ وَرَكِبْنَا .

وَكُنْتُ أُطِلُّ مِنَ الْقِطَارِ وَأَرَى الْمَنَاظِرَ ، وَكَانَ الزِّحَامُ شَدِيْداً فِي الْقِطَارِ ، وَجَاءَ الْبَاعَةُ وَجَعَلَ النَّاسُ يَشْتَرُوْنَ وَيَأْكُلُوْنَ ، وَاشْتَرَىٰ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الْبَاعَةِ هَدَايَا لِأَصْدِقَائِهِمْ وَأَقَارِبِهِمْ .

وَبَعْدَ قَلِيْلٍ صَفَرَ أَمِيْنُ الْقِطَارِ وَهَزَّ الْعَلَمَ الأَخْضَرَ فَأَسْرَعَ النَّاسُ وَدَخَلُوْا فِي الْقِطَارِ ، وَتَحَرَّكَتِ الْقَاطِرَةُ وَسَارَ الْقِطَارُ .

وَدَخَلَ نَقَّابٌ فِيْ عَرَبَتِنَا فَنَقَبَ تَذَاكِرَنَا وَرَدَّهَا إِلَيْنَا .

وَفِي الطَّرِيْقِ تَغَدَّيْنَا بِالزَّادِ وَأَكَلْنَا وَشَرِبْنَا وَحَمِدْنَا اللهَ .

وَلَمْ يَزَلْ يَقِفُ الْقِطَارُ عَلَى الْمَحَطَّاتِ وَيَسِيرُ حَتَّىٰ وَصَلَ وَقْتُ الظُّهْرِ فَتَوَضَّأْنَا بِسُرْعَةٍ عَلَىٰ مَحَطَّةٍ وَصَلَّيْنَا صَلَاةَ السَّفَرِ ، صَلَّيْنَا الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ وَسَلَّمْنَا ، وَصَفَرَ أَمِينُ الْقِطَارِ فَرَكِبْنَا سَرِيْعاً.

وَقَالَ عَمِّيْ : لَوْ كَانَ الْقِطَارُ لِلْمُسْلِمِيْنَ لَكَانَ فِيْهِ مَكَانٌ لِلْوُضُوْءِ وَالصَّلَاةِ ، نُؤَذِّنُ فِيْهِ وَنُصَلِّىْ جَمَاعَةً .

وَفِي الْعَصْرِ وَصَلَ الْقِطَارُ إِلَىٰ مَحَطَّتِنَا ، وَكُنْتُ أُطِلُّ مِنَ النَّافِذَةِ فَرَأَيْتُ هَاشِماً وَّسَعِيْداً عَلَى الرَّصِيْفِ وَعَرَفْتُهُمَا وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَا عَلَيَّ .

وَ وَصَلْتُ إِلَىٰ قَرْيَتِيْ وَقَابَلْتُ أَصْدِقَائِيْ وَإِخْوَانِيْ وَجَعَلْتُ أُحَدِّثُهُمْ حَدِيْثَ الْبَلَدِ وَأُخْبِرُهُمْ بِعَجَائِبِهِ وَأَحْكِيْ لَهُمْ مَا رَأَيْتُ فِي السَّفَرِ .

❖ **الأسئلة :**

(١) هل سافرت في القطار يوما ما ؟

(٢) صف قطارا شاهدته.

(٣) من يحمل الحوائج في محطة القطار ؟

(٤) عدد بعضا من فوائد القطار .

(٥) من يعطي الإشارة للقطار بالتحرك والمسير ؟

❖ **رتب كلمات كل سطر مما يلي لتكون جملة مفيدة :**

- قبل ، استيقظت ، انتظر ، السحر ، السفر ، ساعة ، وبقيت .
- الحمالون ، وصلنا ، المحطة ، المتاع ، إلى ، فأخذ ، والحوائج .
- أصدقائي ، وصلت ، قريتي ، وقابلت ، إلى ، وأقاربي .

(٩)

مَاذَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ؟

سَأَلَ الْمُعَلِّمُ التَّلَامِيْذَ مَرَّةً فِي الصَّفِّ وَاحِداً وَّاحِداً : مَاذَا تُحِبُّ أَنْ تَكُوْنَ ؟

وَقَالَ : كُلُّ وَاحِدٍ حُرٌّ فِيْ جَوَابِهِ فَلاَ يَخَفْ وَلاَ يَسْتَحْيِ .

وَقَالَ أَحْمَدُ وَكَانَ أَصْغَرَ التَّلَامِيْذِ : أَنَا أُرِيْدُ أَن أَكُوْنَ سَائِقاً فِيْ الْقِطَارِ ، فَأَرْكَبَ دَائِماً وَّأُسَافِرَ مَجَّاناً وَّ أَتَنَزَّهَ .

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمنِ : إِنَّ سَائِقَ الْقِطَارِ فِيْ تَعَبٍ عَظِيْمٍ وَّحَرٍّ وَّجَحَيْمٍ ، وَلكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَكُوْنَ رُبَّاناً فِيْ بَاخِرَةٍ ، فَأُسَافِرَ فِيْ الْبَحْرِ وَأَزُوْرَ الْبِلاَدَ الْبَعِيْدَةَ مَجَّاناً وَّ أُشَاهِدَ عَجَائِبَ الدُّنْيَا .

وَقَالَ إِبْرَاهِيْمُ : الرُّبَّانُ وَبَاخِرَتُهُ فِيْ خَطَرٍ مِّنَ الْغَرَقِ ، وَلكِنِّيْ أُحِبُّ أَنْ أَكُوْنَ طَبِيْباً فَأُداوِي النَّاسَ وَأُدَاوِيَ الْفُقَرَاءَ مَجَّانًا ، وَأَخْدِمَ الْخَلْقَ وَ أُحَافِظَ عَلَىٰ صِحَّتِيْ وَ أَعِيْشَ بِأَمْنٍ وَّسَلَامٍ.

وَأَجَابَهُ عَبْدُ الرَّحْمنِ وَقَالَ : هٰذَا لَيْسَ بِصَحِيْحٍ ، لَيْسَتِ البَاخِرَةُ فِيْ خَطَرٍ فِيْ هـذَا الزَّمَانِ ، وَ الْبَوَاخِرُ تُسَافِرُ دَائِمًا فِيْ هٰذِهِ الْأَيَّامِ بِأَمْنٍ وَّسَلَامٍ ، وَبِالْعَكْسِ أَرَى الْأَطِبَّاءَ يَمْرَضُوْنَ وَيَمُوْتُوْنَ .

وَقَاطَعَهُ إِبْرَاهِيْمُ وَقَالَ : أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ بَاخِرَةً غَرِقَتْ قَبْلَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ .

وَأَرَادَ إِبْرَاهِيْمُ أَنْ يُجِيْبَهُ وَلكِنْ قَالَ الْمُعَلِّمُ : وَهٰذَا لَيْسَ وَقْتَ مُنَاظَرَةٍ ، وَقَدْ بَقِيَ كَثِيْرٌ مِّنَ الطَّلَبَةِ ، وَمَاذَا تَقُوْلُ يَا قَاسِمُ ؟

قَالَ قَاسِمٌ : أَنَا لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُوْنَ سَائِقاً أَوْ رُبَّاناً أَوْ طَبِيْباً ، بَلْ أُحِبُّ أَنْ أَكُوْنَ فَلَّاحاً ، أَزْرَعُ وَأَحْرُثُ ، وَلَا أَحَدَ يَخْدِمُ النَّاسَ وَيَنْفَعُهُمْ كَالْفَلَّاحِ ، وَهُوَ الَّذِيْ يَزْرَعُ الْحُبُوْبَ وَالْخُضَرَ فَيَأْكُلُ النَّاسُ وَالدَّوَابُّ .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ : أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ تَاجِراً ، لِيْ دُكَّانٌ كَبِيْرٌ فِيْ سُوْقٍ كَبِيْرَةٍ يَأْتِي النَّاسُ إِلَيَّ وَيَشْتَرُوْنَ .

وَقَالَ حَامِدٌ : أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَكُوْنَ صَنَّاعاً مَاهِراً وَّمُخْتَرِعاً، أَصْنَعُ وَأَخْتَرِعُ الأَشْيَاءَ الْعَجِيْبَةَ .

وَقَالَ خَالِدٌ : أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَكُوْنَ جُنْدِيّاً قَوِيّاً أُقَاتِلُ الْكُفَّارَ وَالْمُشْرِكِيْنَ وَأُجَاهِدُ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ .

وَقَالَ عَبْدُ الْكَرِيْمِ : أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَكُوْنَ غَنِيّاً كَبِيْراً، اَلْبَسُ مَا أُحِبُّ وَ آكُلُ مَا أَشْتَهِيْ وَأُسَافِرُ إِلَىٰ أَيْنَ أُرِيْدُ ، عِنْدِيْ مَالٌ كَثِيْرٌ وَّأَسْكُنُ فِيْ قَصْرٍ كَبِيْرٍ .

وَضَحِكَ الأَوْلاَدُ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ الْكَرِيْمِ وَخَجِلَ عَبْدُ الْكَرِيْمِ .

وَقَالَ مُحَمَّدٌ : أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَكُوْنَ عَالِماً، أَخَافُ اللهَ وَأَعْبُدُهُ ، وَأَعِظُ النَّاسَ وَ آمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوْفِ وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُحَذِّرُهُمْ عَذَابَ اللهِ .

قَالَ الْمُعَلِّمُ : أَحْسَنْتُمْ يَا أَوْلاَدِيْ وَأَنَا أَدْعُوْ لَكُمْ بِالتَّوْفِيْقِ وَالنَّجَاحِ ، وَلكِنْ كُوْنُوْا مُسْلِمِيْنَ وَابْتَغُوْا اللهَ بِعَمَلِكُمْ وَانْفَعُوْا الدِّيْنَ بِشُغْلِكُمْ وَاخْدِمُوْا الأُمَّةَ بِعِلْمِكُمْ .

قَالَ التَّلَامِيْذُ : وَمَاذَا تَقُوْلُ أَيُّهَا الْأُسْتَاذُ عَنْ عَبْدِالكَرِيْمِ وَقَصْرِهِ؟

قَالَ الْمُعَلِّمُ : الْمَالُ نِعْمَةٌ مِّنَ اللهِ يَجِبُ عَلَيهَا الشُّكْرُ ، وَسَعِيْدٌ جِدّاً مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَّجَهْراً ، وَيَبْتَغِيْ بِهِ مَرْضَاةَ اللهِ وَيَخْدِمُ بِهِ الْإِسْلَامَ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ الشَّرِيْفِ :((لا حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَيْنِ ، رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِيْ بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)).

وَقَدْ كَانَ سَيِّدُنَا عُثْمَانُ غَنِيّاً وَّسَيِّدُنَا عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوْفٍ غَنِيّاً .

وَرَفَعَ عَبْدُ الْكَرِيْمِ رَأْسَهُ وَقَالَ : سَأَجْتَهِدُ اَنْ أَخْدِمَ الإِسْلَامَ بِمَالِيْ وَأَبْتَغِي بِهِ مَرْضَاةَ اللهِ.

❖الأسئلة :

(١) ماذا تحب أن تكون في المستقبل ؟

(٢) هل تكفي الأمنية لبناء مستقبل الإنسان ، أم لابد من اقترانها بالعمل والاجتهاد؟

(٣) كيف نشكر الله تعالى على نعمه الكثيرة؟

(٤) اذكر حديثا نبويا يذكر الحسد الذي لا يضر؟

(٥) ضع عنوانا آخر مناسبا للنص.

❖ أكمل الجمل التالية بكلمات مناسبة :

- احب أن اكون.....فأداوي.....مجانا.
- احب ان اكون......آمر ....وانهى عن.......
- سأجتهد ان أخدم ....بمالي ، وأبتغي ....مرضاة

(١٠)

مُسَابَقَــةٌ

كَانَتْ أَمْسِ مُسَابَقَةٌ فِيْ الْجَرْيِ فِيْ مَدْرَسَتِيْ ، أَوَّلاً اخْتَارَ مُعَلِّمُ الرِّيَاضَةِ أَرْبَعَةً وَّعِشْرِيْنَ طَالِباً مِّنْ جَمِيْعِ الصُّفُوْفِ هُمْ أَقْرَانٌ وَّأَكْفَاءٌ ، وَأَوْقَفَهُمْ فِيْ صُفُوْفٍ صَفّاً خَلْفَ صَفٍّ ، وَفِيْ كُلِّ صَفٍّ ثَلاَثَةٌ .

وَوَقَفَ الْأُسْتَاذُ بِجَانِبٍ مِّنْ هٰذِهِ الصُّفُوْفِ ، وَقَدَّمَ صَفّاً فِيْهِ مُحَمَّدٌ وَّإِبْرَاهِيْمُ وَسَعِيْدٌ وَهُمْ أَقْرَانٌ وَّأَكْفَاءٌ وَّقَالَ : قُوْمُوْا فِيْ صَفٍّ وَّاحِدٍ وَعَلَىٰ خَطٍّ وَّاحِدٍ ، وَلاَ يَتَقَدَّمْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ، وَكَانَ إِبْرَاهِيْمُ مُتَقَدِّماً قَلِيْلاً فَأَخَّرَهُ وَجَعَلَهُ فِيْ الصَّفِّ وَقَالَ : أَنَا أَعُدُّ لَكُمْ فَإِذَا قُلْتُ : وَاحِدْ فَسَوُّوا الصَّفَّ : وَ إِذَا قُلْتُ : إِثْنَانْ ، فَاسْتَعِدُّوْا وَاجْمَعُوْا

ثِيَابَكُمْ ، وَإِذَا قُلْتُ : ثَلاثَةْ ، فَطِيرُوْا . وَذَهَبَ أَحَدُ الْمُعَلِّمِيْنَ إِلَىٰ آخِرِ الْمَيْدَانِ وَوَضَعَ هُنَالِكَ قَصَبَةً وَقَالَ: هٰذِهِ هِيَ الْغَايَةُ.

وَقَالَ الْأُسْتَاذُ: وَاحِدْ، وَ وَقَفَ قَلِيْلاً، ثُمَّ قَالَ : اِثْنَانْ ، فَتَقَدَّمَ سَعِيْدٌ ، فَقَالَ الْأُسْتَاذُ: تَأَخَّرْ يَا سَعِيْدُ وَأَنَا أَعُدُّ مَرَّةً ثَانِيَةً ، فَقَالَ: وَاحِدْ ، اِثْنَانْ ، ثَلاثَةْ ، فَطَارَ الْأَوْلادُ لا يَدْرِيْ أَحَدٌ مِّنِ السَّابِقْ ، حَتَّىٰ بَرَزَ مُحَمَّدٌ وَّهَتَفَ الْأَوْلادُ بِاسْمِهِ وَقَالُوْا : مُحَمَّدْ مُحَمَّدْ وَصَاحُوْا : مَرْحَىٰ مَرْحَىٰ ، وَكَانَ هُوَ الْمُجَلِّيَ ، وَلَحِقَهُ إِبْرَاهِيْمُ فَكَانَ هُوَ الْمُصَلِّيَ ، وَجَاءَ دَوْرِيْ وَقُمْتُ فِيْ أَقْرَانِيْ وَ أَكْفَائِيْ وَعَدَّ الْأُسْتَاذُ : وَاحِدْ ، اِثْنَانْ ، ثَلاثَةْ ، وَأَبْطَأْتُ قَلِيْلاً عِنْدَ الْجَرْيِ فَمَا قَدَرْتُ أَنْ أَسْبِقَ وَأَكُوْنَ الْمُجَلِّيَ ، وَ وَصَلْنَا إِلَى الْغَايَةِ وَكُنْتُ الْمُصَلِّيَ .

وَكَانَ خَالِدٌ الْمُجَلِّيَ ، فَهَتَفَ الْأَوْلادُ بِاسْمِهِ وَقَالُوْا: مَرْحَىٰ مَرْحَىٰ ، وَكَانَ إِخْوَانِيْ يَظُنُّوْنَ أَنِّيْ أَنَا الْمُجَلِّيْ ، لِأَنِّيْ خَفِيْفٌ وَّسَرِيْعٌ وَّأَجْرِيْ كُلَّ يَوْمٍ ، وَتَأَسَّفْتُ أَيْضاً وَلٰكِنِّيْ قُلْتُ فِيْ نَفْسِيْ : سَأَسْبِقُ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ عِنْدَ انْتِهَاءِ السَّنَةِ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ .

وَخَطَبَ الْأُسْتَاذُ فِي الْأَخِيرِ وَقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُسَابِقُ وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَتَسَابَقُونَ ، وَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ نَشِيطاً خَفِيفاً قَوِيّاً حَتَّى لاَ يَعْجِزَ فِي الْجِهَادِ.

❖ الأسئلة :

(١) ماذا اختار معلم الرياضة ؟ و لماذا ؟

(٢) ما الصفة التي تجمع بين الطلاب الذين اختارهم المعلم ؟

(٣) ماذا وضع المعلم في آخر ميدان السباق ؟

(٤) ما يتوجب على المسلم لبناء جسمه ؟

(٥) عدد ثلاث فوائد للرياضة .

❖ ضع أسئلة للإجابات التالية .

- أوقف المعلم الطلاب في صفوف ، صفا خلف صف .
- قال المعلم : استعدوا للسباق .
- قال الطلاب للفائز الأول : مرحى ، مرحى .
- ينبغي للمسلم أن يكون نشيطا حتى لا يعجز عن الجهاد.

(١١)

السَّاعَةُ

حَارِثٌ : كَمِ السَّاعَةُ يَا أَخِيْ ؟

سَعِيدٌ: السَّاعَةُ عَشْرٌ وَّرُبْعٌ، أَلَيْسَ عِنْدَكَ سَاعَةٌ؟

حَارِثٌ : بَلَىٰ ! وَلكِنّ سَاعَتِيْ وَاقِفَةٌ .

سَعِيْدٌ : لَعَلَّكَ مَا مَلأْتَهَا .

حَارِثٌ : نَعَمْ! نَسِيْتُ أَنْ أَمْلأَهَا الْبَارِحَةَ ، أَنَا أَمْلَؤُهَا
فِي السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ فِي اللَّيْلِ وَلكِنِّيْ غَلَبَتْنِي
عَيْنِيْ الْبَارِحَةَ فَقَدْ كُنْتُ تَعِباً جِدّاً فَمَا مَلأْتُهَا .

سَعِيْدٌ : هَلْ تُرِيْدُ ضَبْطَهَا بِسَاعَتِيْ ؟

حَارِثٌ : نَعَمْ! أَضْبِطُهَا بِسَاعَتِكَ إِذَا كَانَتْ سَاعَتُكَ
مُسْتَقِيْمَةً .

سَعِيْدٌ : سَاعَتِيْ تَتَقَدَّمُ دَقِيْقَتَيْنِ فِيْ أَرْبَعٍ وَّعِشْرِيْنَ سَاعَةً،
وَقَدْ ضَبَطْتُّهَا الْبَارِحَةَ فَأَخَّرْتُهَا دَقِيْقَتَيْنِ .

حَارِثٌ : كَمِ السَّاعَةُ الْآنَ؟

سَعِيْدٌ : الْآنَ عَشْرٌ وَّثُلُثٌ .

حَارِثٌ : أَشْكُرُكَ ، أَرِنِيْ سَاعَتَكَ .

سَعِيْدٌ : تَفَضَّلْ .

حَارِثٌ : إِنَّ سَاعَتَكَ ثَمِيْنَةٌ وَّجَمِيْلَةٌ، مِيْنَاؤُهَا جَمِيْلٌ
وَّعَقَارِبُهَا دَقِيْقَةٌ وَّغِطَاؤُهَا نَظِيْفٌ ، بِكَمِ اشْتَرَيْتَهَا
يَا سَعِيْدُ؟

سَعِيْدٌ : أَهْدَاهَا إِلَيَّ أَخِي الْكَبِيْرُ وَأَخْبَرَنِيْ أَنَّهُ اشْتَرَاهَا بِثَلاَثِيْنَ رُبِيَّةً ، وَسَاعَتُكَ بِكَمْ ؟

حَارِثٌ : سَاعَتِيْ أَرْخَصُ مِنْهَا ، فَإِنَّهَا بِعِشْرِيْنَ رُبِيَّةً ، قَدْ أَهْدَاهَا إِلَيَّ عَمِّيْ لَمَّا رَجَعَ مِنَ السَّفَرِ .

سَعِيْدٌ : إِنَّ السَّاعَةَ لاَزِمَةٌ فِيْ هٰذَا الزَّمَانِ ، فَبِالسَّاعَةِ يَعْرِفُ التِّلْمِيْذُ مِيْعَادَ الْمَدْرَسَةِ ، وَبِالسَّاعَةِ يَعْرِفُ الْمُسْلِمُ أَوْقَاتَ الْجَمَاعَةِ وَالصَّلَوَاتِ .

حَارِثٌ : نَعَمْ ! أَنَا كُنْتُ أَتَأَخَّرُ عَنْ مِيْعَادِ الْمَدْرَسَةِ فِيْ بَعْضِ الْأَيَّامِ وَتَفُوْتُنِيْ الْجَمَاعَةُ أَحْيَانًا ، وَلٰكِنْ مُنْذُ اشْتَرَيْتُهَا لَمْ أَتَأَخَّرْ عَنِ الْمَدْرَسَةِ وَمَا فَاتَتْنِيْ جَمَاعَةٌ .

سَعِيْدٌ : أَسْتَأْذِنُكَ لِأَنِّي مُسَافِرٌ الْيَوْمَ، وَمِيْعَادُ الْقِطَارِ السَّاعَةَ اثْنَتَا عَشَرَةَ إِلاَّ عَشْراً .

حَارِثٌ : اَلْوَقْتُ وَاسِعٌ فَلَيْسَ الْآنَ إِلاَّ عَشْرٌ وَّنِصْفٌ وَّالْمَحَطَّةُ قَرِيْبَةٌ مِّنْ بَيْتِكَ .

سَعِيْدٌ : نَعَمْ ! الوقتُ وَاسِعٌ ، وَلٰكِنْ لِيْ شُغْلٌ فِيْ السُّوْقِ وَلَمْ أَرْبِطِ الْحَوَائِجَ إِلَى الْآنِ .

حَارِثٌ : عَلَىٰ بَرَكَةِ اللهِ ، السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ .

سَعِيدٌ : وَعَلَيْكُمُ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

❖ **الأسئلة :**

(١) اذكر ثلاثة أقسام تتألف منها الساعة.

(٢) ما فوائد الساعة ؟

(٣) كيف يعرف المسلم أوقات الصلوات والجماعة ؟

(٤) علام يدل العقرب الكبير الموجود في الساعة؟

(٥) ضع عنوانا آخر مناسبا للنص.

❖ **إحدى العبارتين التاليتين صحيحة والأخرى خطأ ، أشر بكلمة صح للعبارة الصحيحة :**

- بالساعة يعرف التلميذ ميعاد المدرسة .
- الساعة غالية الثمن لا يستطيع أحد أن يشتريها .

(١٢)

الْفُطُـــورُ

طَلَبْتُ مِنْ أَبِيْ وَأُمِّيْ أَنْ أَصُوْمَ يَوْماً مِّنْ رَمَضَانَ ، فَقَالَ أَبِيْ : إِنَّكَ صَغِيرٌ ضَعِيفٌ لاَ تَصْبِرُ عَلَى الْجُوْعِ وَالْعَطَشِ ، وَقَالَتْ أُمِّيْ : هٰذِهِ أَيَّامُ صَيْفٍ وَالصَّوْمُ فِيْهَا

شَدِيدٌ، إصْبِرْ حَتَّىٰ تَكُوْنَ أَيَّامُ شِتَاءٍ .

وَلكِنِّي بَكَيْتُ وَقُلْتُ : قَدْ صَامَ مَحْمُوْدٌ وَّهُوَ فِيْ سِنِّيْ ، وَقَدْ صَامَ إِسْمَاعِيلُ وَهُوْ أَصْغَرُ مِنِّيْ ، وَلِمَاذَا أَنْتَظِرُ أَنَا ؟

وَقَدْ رَأَيْتُ مَحْمُوْداً لَمَّا صَامَ لَبِسَ لِبَاساً جَدِيْداً، وَصُنِعَتْ لَهُ أَطْعِمَةٌ لَذِيْذَةٌ، وَقَدَّمَ لَهُ أَقَارِبُهُ هَدَايَا وَجَوَائِزَ، وَاجْتَمَعَ نَاسٌ كَثِيْرٌ ، وَكَانَ مَحْمُوْدٌ لَّهُ شَرَفٌ ، كُلٌّ يَّتَحَادَثُ مَعَهُ وَيُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ .

وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ الْوَلَدَ إِذَا صَامَ كَانَ لِوَالِدَيْهِ الْأَجْرُ وَالثَّوَابُ ، وَأُحِبُّ أَنْ يَنَالَ أَبِيْ وَأُمِّيَ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ .

وَقَبِلَ أَبِيْ وَرَضِيَتْ أُمِّيْ ، وَدَعَتْ أُمِّيْ أَصْدِقَائِيْ وَأَتْرَابِيْ لِلسُّحُوْرِ مَعِيْ فَبَاتُوْا فِيْ بَيْتِيْ ، وَفِيْ السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فِيْ اللَّيْلِ اسْتَيْقَظْنَا وَقَدَّمَتْ أُمِّيْ طَعَاماً لَّذِيْذاً ، فَأَكَلْنَا وَشَبِعْنَا وَنِمْنَا قَلِيْلاً وَاسْتَيْقَظْنَا لِصَلَاةِ الصُّبْحِ .

وَفِيْ النَّهَارِ أَرَادَتْ أُمِّيْ أَنْ تَشْغَلَنِيْ فَلَا أَذْكُرَ الْجُوْعَ وَالْعَطَشَ ، فَأَمَرَتْنِيْ بِأَشْغَالٍ لَيْسَ فِيْهَا تَعَبٌ ، وَكُنْتُ فِيْ

شُغْلٍ وَحَدِيثٍ مَعَ الأَصْدِقَاءِ وَالأَتْرَابِ ، حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ وَمَا شَعَرْتُ بِجُوعٍ وَلاَ عَطَشٍ.

وَفِي الظَّهِيرَةِ شَعَرْتُ بِظَمَإٍ وَحَرٍ فاغْتَسَلْتُ فَذَهَبَ عَنِّي الظَّمَأُ وَاسْتَرَحْتُ .

وَفِي الْعَصْرِ شَعَرْتُ بِالجُوعِ وَرَأَيْتُ أَطْعِمَةً وَثِمَارًا وَفَوَاكِهَ ، وَقَالَ لِيْ أَحَدُ الأَصْدِقَاءِ : لاَ بَأْسَ أَنْ تَأْكُلَ شَيْئاً وَ لاَ يَرَاكَ الآنَ أَحَدٌ ، وَقَدْ أَكَلْتُ أَيْضاً لَمَّا كُنْتُ صَائِماً ، قُلْتُ : نَعَمْ! لاَ يَرَانِيْ هُنَا أَحَدٌ وَ لَكِنَّ اللهَ يَرَانِيْ .

وَسَكَتَ صَدِيقِيْ وَصَبَرْتُ عَلَى الْجُوعِ .

وَقَبْلَ الْغُرُوبِ حَضَرَ أَصْدِقَاءُ أَبِيْ وَأَقَارِبُنَا وَنُقِلَ الْفُطُورُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ الْوَقْتُ شَدِيداً عَلَيَّ فَكُنْتُ أَرْمُقُ الْمُؤَذِّنَ وَأَعُدُّ الدَّقَائِقَ ، فَلَمَّا أَذَّنَ أَفْطَرْتُ بِتَمْرَةٍ ثُمَّ أَكَلْتُ وَشَرِبْتُ وَقُلْتُ كَمَا عَلَّمَنِيْ أَبِيْ :

(ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ).

وَمَا أَكَلْتُ طَعَاماً أَلَذَّ مِنْ طَعَامِ ذٰلِكَ الْيَوْمِ، وَمَا كَانَ يَوْمٌ أَجْمَلَ فِيْ حَيَاتِيْ مِنْ ذٰلِكَ الْيَوْمِ.

❖ **الأسئلة :**

(١) ما اسم الشهر الذي يصوم الناس فيه؟

(٢) كيف يمكن للأهل أن يرغبوا أطفالهم بصوم رمضان ؟

(٣) لماذا يتسحر الناس ؟

(٤) على ماذا يفطر الصائم ؟

(٥) اذكر الدعاء الذي يقوله الصائم عند إفطاره.

❖ **استخدم الكلمات التالية في جمل مفيدة:**

رمضان ، الصبر ، السحور ، الظمأ ، الأجر

(١٣)

الأمَانَـــةُ

اسْتَأْجَرَ رَجُلٌ قَوْماً ، فَاشْتَغَلُوْا وَعَمِلُوْا ، وَلَمَّا فَرَغُوْا مِنْ شُغْلِهِمْ جَاؤُوْا إِلَيْهِ فَأَعْطَاهُمْ أَجْرَهُمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ اشْتَغَلَ مَعَهُمْ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ أَجْرَهُ وَتَرَكَهُ وَذَهَبَ .

وَكَانَ الرَّجُلُ كَرِيماً أَمِيناً ، فَلَمْ يَأْكُلْ أُجْرَتَهُ ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا، وَخَافَ اللهَ وَ وَضَعَهَا فِيْ التِّجَارَةِ ، وَثَمَّرَهَا وَأَثْمَرَتِ الأُجْرَةُ كَثِيْراً ، وَكَثُرَتْ مِنْهَا الأَمْوَالُ .

وَبَعْدَ حِيْنٍ جَاءَهُ الْأَجِيْرُ وَهُوَ خَائِفٌ أن لاَّ يَعْرِفَهُ الرَّجُلُ ، فَقَدْ طَالَتِ الْمُدَّةُ ، وَمَضَى زَمَنٌ كَثِيْرٌ ، وَمَاذَا يَفْعَلُ الْمِسْكِيْنُ إِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ الرَّجُلُ أَوْ نَسِيَ قِصَّتَهُ.

جَاءَ الْأَجِيْرُ وَهُوَ لا يَطْمَعُ إلاَّ فِيْ أُجْرَتِهِ الْقَلِيْلَةِ دَرَاهِمَ مَعْدُوْدَةٍ ، وَإِذَا جَحَدَهَا الرَّجُلُ وَلَمْ يَدْفَعْهَا رَجَعَ خَائِباً .

وَلكِنَّهُ جَاءَهُ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَىٰ هٰذِهِ الدَّرَاهِمِ، فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ! أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِيْ ، فَمَا جَحَدَ الرَّجُلُ وَمَا أَنْكَرَ ، بَلْ قَالَ : كُلُّ مَا تَرَى مِنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيْقِ مِنْ أَجْرِك .

دُهِشَ الرَّجُلُ وَتَحَيَّرَ وَظَنَّ أَنَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِ ، فَقَالَ :يَا عَبْدَ اللهِ لاَ تَسْتَهْزِئْ بِيْ.

قَالَ الرَّجُلُ : لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ ، فَكُلُّ مَا تَرَىٰ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيْقِ لَكَ ، فَإِنِّيْ قَدْ وَضَعْتُ أُجْرَتَكَ فِي التِّجَارَةِ ، وَثَمَّرْتُهَا وَأَثْمَرَتِ الْإِبِلَ وَالْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالرَّقِيْقَ .

فَأَخَذَ الْأَجِيْرُ الْإِبِلَ وَالْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالرَّقِيْقَ وَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئاً .

وَقَـدْ رَضِـيَ اللهُ عَنْـهُ عَلَـىٰ هٰـذِهِ الْأَمَانَـةِ وَالْوَفَـاءِ وَالْكَرَمِ .

وَقَدْ وَقَعَ هذَا الرَّجُلُ الْأَمِينُ مَرَّةً فِيْ غَارٍ ، وَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِ صَخْرَةٌ ، فَلَمَّا يَئِسَ مِنَ الْحَيَاةِ دَعَا اللهَ بِهٰذَا الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَاكْشِفْ عَنَّا هذِهِ الصَّخْرَةَ ، فَأَجَابَ اللهُ دَعْوَتَهُ وَأَعَانَهُ .

❖ الأسئلة :

(١) ماذا فعل صاحب العمل بأجرة العامل الذي لم يأخذ أجره ؟
(٢) بم أجاب صاحب العمل الأجير الذي عاد و طالبه بحقه ؟
(٣) ما الدرس الذي تستخلصه من قصة صاحب العمل والأجير ؟
(٤) ما ثمرات الأمانة ، وما نتائجه على الفرد والمجتمع ؟
(٥) ما أثر الدعاء في تفريج الكربات والأزمات ؟

❖ ضع المحذوف فيما يلي :

- كان الرجل ....
- يا عبد الله لا ....بي ..
- أجاب الله ....

(١٤)

الصَّيْدُ

خَرَجْتُ يَوْمَ عُطْلَةٍ مَّعَ صَيَّادِيْنَ عِنْدَهُمْ بَنَادِقُ وَسَكَاكِيْنُ ، خَرَجْنَا مُبَكِّرِيْنَ فِيْ الصَّبَاحِ لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ ، وَكَانَ مَعِيْ كَثِيْرٌ مِّنَ أَتْرَابِيْ وَأَصْدِقَائِيْ ، وَأَخَذْنَا غَدَاءَنَا مَعَنَا لِنَتَغَدَّى إِذَا غَلَبَنَا الْجُوْعُ ، وَكُنَّا نُرِيْدُ أَنْ نَرْجِعَ فِيْ الْمَسَاءِ .

وَلَمْ نَزَلْ نَمْشِيْ فِي الْحَرِّ وَالشَّمْسِ حَتَّى تَعِبْنَا ، وَغَلَبَنَا الْجُوْعُ وَالظَّمَأُ ، وَكَانَ الْغَدَاءُ مَعَ خَلِيْلٍ ، وَقَدْ ضَلَّ الطَّرِيْقَ ، وَمَا وَجَدْنَا طَعَاماً وَّلاَ مَاءًا .

وَانْتَصَفَ النَّهَارُ وَجَلَسْنَا فِيْ ظِلِّ شَجَرَةٍ نَنْتَظِرُ خَلِيْلاً ، وَبَرَزَ خَلِيْلٌ مِنْ بُعْدٍ فَنَادَيْنَاهُ بِاسْمِهِ وَحَمِدْنَا اللهَ ، وَتَغَدَّيْنَا وَاسْتَرَحْنَا قَلِيْلاً ، ثُمَّ خَرَجْنَا .

وَدَخَلْنَا فِي الْغَابَةِ وَ وَجَدْنَا آثَارَ بَقَرِ الْوَحْشِ فَتَفَرَّقْنَا وَجَلَسْنَا بِالْمِرْصَادِ، وَخَرَجَتْ بَقَرَةٌ مِّنْ بَيْنِ الْأَشْجَارِ وَكَانَ السَّيِّدُ إِسْمَاعِيْلُ مُسْتَعِداً فَصَوَّبَ إِلَيْهَا

بُنْدُقِيَّتَهُ ، وَأَطْلَقَ الرَّصَاصَةَ وَأَصَابَ الْبَقَرَةَ فِيْ صَدْرِهَا ، فَسَقَطَتْ جَرِيْحاً تَضْرِبُ بِرِجْلَيْهَا .

وَسَمِعَ الْإِخْوَانُ صَوْتَ الْبُنْدُقِيَّةِ فَجَاؤُوْا ، وَذَبَحَهَا يَاقُوْتُ بِسِكِّيْنٍ كَبِيْرٍ حَادٍّ وَسَمَّى اللهَ وَكَبَّرَ ، وَكُنَّا نَتَكَلَّمُ وَكُنَّا مُطْمَئِنِّيْنَ إِذْ خَرَجَتْ بَقَرَةٌ أُخْرَىٰ ، فَأَطْلَقَ عَلَيْهَا هَاشِمٌ بُنْدُقِيَّتَهُ بِسُرْعَةٍ ، وَمَا قَدَرَ أَنْ يُصَوِّبَ الْبُنْدُقِيَّةَ، فَأَخْطَأَتِ الرَّصَاصَةُ وَمَا صَادَتِ الْبَقَرَةَ، وَتَأَسَّفَ هَاشِمٌ وَتَأَسَّفَتِ الْجَمَاعَةُ .

وَصِدْنَا حَمَامَتَيْنِ بِرَصَاصَةٍ، وَبَطَّتَيْنِ بِرَصَاصَتَيْنِ ، وَكَانَ عِنْدِيْ سِكِّيْنٌ صَغِيْرٌ حَادٌّ فَذَبَحْتُ الْبَطَّتَيْنِ ، وَسَمَّيْتُ اللهَ وَكَبَّرْتُ .

وَقُلْتُ لِلسَّيِّدِ إِسْمَاعِيْلَ : أَنَا أُرِيْدُ أَنْ أَصِيْدَ أَيْضاً فَأَعْطَانِيْ بُنْدُقِيَّتَهُ وَ وَضَعَ فِيْهَا رَصَاصَةً ، وَكُنْتُ أَعْرِفُ كَيْفَ أُصَوِّبُ الْبُنْدُقِيَّةَ وَكَيْفَ أُطْلِقُهَا ، لِأَنِّيْ أَطْلَقْتُ الْبُنْدُقِيَّةَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ أَوْ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، فَذَهَبْتُ وَجَلَسْتُ بِالْمِرْصَادِ ، وَجَاءَ حَمَامٌ وَ وَقَعَ عَلَىٰ شَجَرَةٍ قَرِيْبَةٍ

وَصَوَّبْتُ بُنْدُقِيَّتِيْ نَحْوَ الْحَمَامِ ، وَأَطْلَقْتُ الْبُنْدُقِيَّةَ ، فَأَصَبْتُ حَمَامَتَيْنِ وَفَرِحْتُ جِدّاً لَمَّا أَصَبْتُ الْحَمَامَتَيْنِ وَكَبَّرْتُ مِنَ الْفَرَحِ .

وَجَاءَ الْإِخْوَانُ وَقَالُوْا: مَرْحَى مَرْحَى ، وَقَالُوْا: مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ خَالِداً صَيَّادٌ .

وَمَا رَضِيْتُ أَنْ يَذْبَحَهُمَا أَحَدٌ ، فَذَهَبْتُ وَسَمَّيْتُ اللهَ وَذَبَحْتُ الْحَمَامَتَيْنِ بِسِكِّيْنِي الصَّغِيرِ الْحَادِّ ، وَرَجَعْنَا إِلَى الْقَرْيَةِ فِي الْمَسَاءِ بِصَيْدٍ كَثِيْرٍ ، وَقُطِعَتِ الْبَقَرَةُ قِطَعاً قِطَعاً ، وَأَهْدَيْنَا لَحْمَهَا إِلَى جَمِيْعِ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَقَارِبِ وَأَهْلِ الْقَرْيَةِ ، فَأَكَلُوْا وَشَبِعُوْا وَشَكَرُوْا الصَّيَّادِيْنَ .

❖ الأسئلة :

(١) عدد الحاجيات التي أخذها الصيادون معهم .

(٢) ماذا صاد إسماعيل ؟

(٣) الذي يذبح بهيمة ماذا يقول ؟

(٤) لمن أهدي اللحم ؟

(٥) ضع عنوانا آخر للنص .

❖ استخرج من المقطع الأول حالا ، واذكر صاحبه .

(١٥)

مَأْدُبَـــةٌ

رَجَعَ أَخِي مِنَ الْحَجِّ ، فَفَرِحَ أَهْلُ الْبَيْتِ كَثِيْراً وَّفَرِحَتْ أُمِّي جِداً ، وَصَنَعَتْ أُمِّي طَعَاماً وَّدَعَتْ إِلَيْهِ الْأَقَارِبَ وَ الْأَصْدِقَاءَ وَكَثِيْراً مِّنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ .

وَفَرِحْنَا جِداً ، وَفَرَشْنَا فِرَاشاً نَظِيْفاً أَمَامَ الْبَيْتِ وَكَانَتْ أَيَّامُ صَيْفٍ ، وَ وَضَعْنَا أَبَارِيْقَ فِيْهَا مَاءٌ لِغَسْلِ الأَيْدِيْ ، وَوَضَعْنَا صَابُوْناً وَّمِنْشَفَةً وَّبَسَطْنَا سُفْرَةً وَّاسِعَةً ، حَضَرَ النَّاسُ فِي الْمَسَاءِ ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ أَخِيْ وَقُلْنَا : مَرْحَباً! وَجَلَسُوْا قَلِيْلاً وَّحَضَرَ الطَّعَامُ ، فَجَلَسَ الضُّيُوْفُ حَوْلَ السُّفْرَةِ ، وَقَدَّمْنَا الرَّغِيْفَ الْحَارَّ وَاللَّحْمَ وَالرُّزَّ فِيْ صُحُوْنٍ، وَالرَّائِبَ فِيْ أَقْدَاحٍ، فَسَمُّوْا اللهَ وَأَكَلُوْا .

وَكُنَّا قَائِمِيْنَ نُلَاحِظُ الضُّيُوْفَ ، وَنُقَدِّمُ لَهُمُ الْخُبْزَ وَالطَّعَامَ وَنَسْقِيْهِمُ الْمَاءَ الْمَثْلُوْجَ ، وَأَصَابَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِّنَ الطَّعَامِ وَأَكَلُوْا بِرَغْبَةٍ وَّحَمِدُوا اللهَ .

وَقَامُوْا وَغَسَلُوْا أَيْدِيَهُمْ وَمَسَحُوْهَا بِالْمِنْشَفَةِ ، وَجَلَسُوْا إِلَى أَخِيْ يَتَحَدَّثُوْنَ وَيَتَكَلَّمُوْنَ وَيَسْمَعُوْنَ مِنْهُ

أَخْبَارَ الْحِجَازِ وَحَدِيْثَ مَكَّةَ الْمُشَرَّفَةِ وَالْمَدِيْنَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَمِنَى وَعَرَفَاتٍ بِكُلِّ رَغْبَةٍ وَسُرُوْرٍ ، وَاشْتَاقُوْا إِلَى الْحَجِّ ، وَدَعَوُا اللهَ أَنْ يُّوَفِّقَهُمْ لِذٰلِكَ .

ثُمَّ اسْتَأْذَنُوْا لِلْخُرُوْجِ وَقَامُوْا يَقُوْلُوْنَ :

((أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُوْنَ ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ)).

❖ **الأسئلة :**

(١) متى يحج الناس إلى بيت الله الحرام ؟

(٢) لماذا صنعت الأم مأدبة الطعام ؟

(٣) عدد أنواع الطعام الموجود على المائدة .

(٤) ماذا يقول الذي يشبع من طعامه ؟

(٥) ماذا قال الضيوف بعد أن أكلوا ؟

❖ **أدخل على كل من الجمل التالية فعلا ناقصا:**

.... أبي يرحب بالضيوف .

.... الماء ثلجا .

.... نقدم الخبز والطعام.

(١٦)

بِـــرُّ الْوَالِـــدَيْنِ

كَانَ رَجُلٌ لَهُ أَبَوَانِ كَبِيْرَانِ وَأَوْلَادٌ صِغَارٌ ، وَكَانَ بَرّاً بِالْوَالِدَيْنِ شَفِيْقاً عَلَى الْأَوْلَادِ .

وَكَانَ يَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الصَّبَاحِ إِلَى الْمَرْعَىٰ وَيَرْعَى الْمَاشِيَةَ وَيَرْجِعُ بِهَا فِي الْعِشَاءِ ، فَيَحْلِبُهَا وَيَسْقِيْ وَالِدَيْهِ وَأَوْلَادَهُ الصِّغَارَ .

وَكَانَ أَبَوَاهُ وَأَوْلَادُهُ الصِّغَارُ يَنْتَظِرُوْنَ قُدُوْمَهُ ، وَلَايَنَامُوْنَ حَتَّىٰ يَحْضُرَ الرَّجُلُ وَيَسْقِيَهُمُ اللَّبَنَ .

مَرَّةً ذَهَبَ الرَّجُلُ بِالْمَاشِيَةِ إِلَى الْمَرْعَىٰ ، فَبَعُدَ فِيْ طَلَبِ الشَّجَرِ وَالْعَلَفِ فَتَأَخَّرَ ذٰلِكَ الْيَوْمَ ، فَرَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ وَقَدْ ذَهَبَ كَثِيْرٌ مِّنَ اللَّيْلِ .

وَانْتَظَرَ أَبُوْهُ وَأُمُّهُ طَوِيْلاً ، وَكَانَ أَبُوْهُ جَائِعاً وَكَانَتْ أُمُّهُ جَائِعَةً ، وَ رَقَدَ أَبُوْهُ وَ رَقَدَتْ أُمُّهُ بَعْدَ الْاِنْتِظَارِ الطَّوِيْلِ .

وَ رَجَعَ الرَّجُلُ وَدَخَلَ الْبَيْتَ ، فَوَجَدَ أَنْ أَبَاهُ الشَّيْخَ قَدْ رَقَدَ ، وَأَنَّ أُمَّهُ الْعَجُوْزَ قَدْ رَقَدَتْ .

فَتَأَسَّفَ الرَّجُلُ وَحَزِنَ كَثِيْراً وَنَدِمَ عَلَىٰ تَأْخِيْرِهِ ، وَقَالَ : أَسَفاً إِنِّيْ تَأَخَّرْتُ الْيَوْمَ فِيْ الْمَرْعَىٰ وَبَعُدْتُ فِيْ طَلَبِ الشَّجَرِ وَالْعَلَفِ لِأَرْعَى الْمَاشِيَةَ حَتَّىٰ رَقَدَ الشَّيْخُ وَرَقَدَتِ الْعَجُوْزُ .

وَفَكَّرَ الرَّجُلُ هَلْ يُوْقِظُ الشَّيْخَ وَالْعَجُوْزَ ؟

وَكَرِهَ الرَّجُلُ أَنْ يُوْقِظَ الشَّيْخَ وَالْعَجُوْزَ .

وَكَانَ أَهْلُهُ وَأَوْلادُهُ يَنْتَظِرُوْنَهُ وَكَانُوْا جِيَاعاً فَطَلَبُوْا مِنْهُ اللَّبَنَ .

وَلكِنَّ الرَّجُلَ كَرِهَ أَنْ يَسْقِيَ أَهْلَهُ وَأَوْلَادَهُ قَبْلَ وَالِدَيْهِ ، وَخَافَ اللهَ وَقَالَ : كَيْفَ أَسْقِيْكُمْ وَلَمْ أَسْقِهِمَا ، إِنِّيْ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِيْنَ .

وَحَلَبَ الرَّجُلُ الْمَاشِيَةَ وَ وَقَفَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَسْتَيْقِظَ أَبَوَاهُ ، وَبَقِيَ وَاقِفاً وَّالْقَدَحُ عَلَىٰ يَدِهِ ، وَالأَطْفَالُ يَبْكُوْنَ وَيَصِيْحُوْنَ عِنْدَ قَدَمِهِ وَلكِنَّهُ لَمْ يَسْقِهِمْ شَيْئاً مِّنَ الْقَدَحِ وَلَمْ يَشْرَبْ ، وَبَاتَ قَائِماً وَّالْقَدَحُ عَلَىٰ يَدِهِ .

وَطَلَعَ الْفَجْرُ وَاسْتَيْقَظَ وَالِدَاهُ ، فَقَدَّمَ الرَّجُلُ لَهُمَا قَدَحَ اللَّبَنِ فَشَرِبَا ثُمَّ سَقَى أَوْلادَهُ ، وَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْ هٰذَا

الرَّجُلِ الَّذِيْ كَانَ بَرّاً بِالْوَالِدَيْنِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْ هٰذَا الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَقَبِلَهُ .

وَمَرَّةً كَانَ هٰذَا الرَّجُلُ الْبَرُّ مَاشِياً فِي اللَّيْلِ ، فَرَأَىٰ غَاراً ، فَقَالَ : أَبِيْتُ اللَّيْلَ فِيْ هٰذَا الْغَارِ وَأَخْرُجُ فِي الصَّبَاحِ .

وَدَخَلَ الْغَارَ لِيَبِيْتَ ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِّنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِ الْغَارَ . فَدَعَا اللهَ بِهٰذَا الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَقَالَ :

اَللّٰهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّيْ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَاكْشِفْ هٰذِهِ الصَّخْرَةَ ، فَأَجَابَ اللهُ دَعْوَةَ هٰذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ وَأَعَانَهُ .

❖ **الأسئلة :**

(١) ما العمل الذي كان يمارسه الرجل البار بوالديه ؟
(٢) عاد الرجل مساءاً ووجد والديه نائمين . ماذا قال في نفسه ؟
(٣) لِمَ لَمْ يسق الرجل أطفاله الجياع من اللبن ؟
(٤) ماذا حدث مع الرجل في الغار ؟
(٥) كيف أعان الله تعالى الرجل البار وقد سد عليه الغار ؟

❖ **في المقطع الثاني مثنى ،استخرجه ، واذكر مفرده ، ثم ضعه في جملة مفيدة .**

(١٧)

فَضِيْلَـــةُ الشُّغْـــلِ

إِنَّ رَجُلاً مِّنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ ، فَقَالَ : أَمَا فِيْ بَيْتِكَ شَيْءٌ ؟

قَالَ : بَلَىٰ ! حِلْسٌ ، نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ ، نَشْرَبُ فِيْهِ مِنَ الْمَاءِ .

قَالَ : إِئْتِنِيْ بِهِمَا .

فَأَخَذَهُمَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ وَقَالَ: مَنْ يَّشْتَرِيْ هٰذَيْنِ ؟

قَالَ رَجُلٌ : أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ .

قَالَ : مَنْ يَّزِيْدُ عَلَى دِرْهَمٍ ؟ مَّنْ يَزِيْدُ عَلَىٰ دِرْهَمٍ ؟

قَالَ رَجُلٌ : أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ .

فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ وَقَالَ :اِشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَاماً فَانْبِذْهُ إِلَىٰ أَهْلِكَ ، وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُوْماً فَائْتِنِيْ بِهِ .

فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فِيْهِ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ عُوْداً بِيَدِهِ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ : إذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً .

فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيْعُ ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْباً وَّبِبَعْضِهَا طَعَاماً .

فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ : هٰذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيْءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِيْ وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

❖ الأسئلة :

(١) لماذا جاء الرجل إلى النبي ﷺ؟
(٢) كيف ساعد النبي ﷺ الرجل ؟
(٣) إلى أي شيء دعا النبي ﷺ الرجل ؟
(٤) ما رأيك : العمل أفضل أم سؤال الناس ؟ ولماذا ؟
(٥) كيف نقضي على ظاهرة التسول ؟

❖ املأ الفراغات التالية بالكلمة المناسبة مستعينا بالنص :

قال رسول .... ((هذا ....لك من ان تجيء ....
نكتة في .... يوم ....

١٨

تَرْنِيمَةُ الْوَلَدِ فِي الصَّبَاحِ

أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ وَقَدْ ... وَلَّى الظَّلامُ هَارِبَا
فَالشُّكْرُ لِلَّهِ الأَحَدْ ... شُكْراً عَظِيْماً وَاجِبَا
مَا أَحْسَنَ النُّوْرَ أَرَى ... فِيْهِ الأُمُوْرَ بَاسِمَهْ
وَالطَّيْرُ تَشْدُوْ سَحَراً ... عَلَى الْغُصُوْنِ قَائِمَهْ
مَا أَحْسَنَ النُّوْرَ الْبَهِيَّ ... فِيْهِ أَجِدُ عَامِلاَ
إِنِّيْ أَوَدُّ دَائِماً ... أَلاَّ أَكُونَ خَامِلاَ
اللهُ قَدْ أَجَارَنِيْ ... مِنْ كُلِّ شَرٍّ فِي الظَّلاَمِ
شُكْراً لَهُ قَدْ صَانَنِيْ ... شُكْراً لَهُ عَلَى الدَّوَامِ

(مدارج القراءة)

❖ **الأسئلة :**

(١) من خلق الشمس والليل والنهار ؟
(٢) ما واجبنا تجاه نعم الله الكثيرة ؟
(٣) ما السبيل الأقوم لشكر الله تعالى وحمده ؟
(٤) ما الغاية الحقيقية من وجود الإنسان في هذه الأرض ؟
(٥) الله يحمي الإنسان ويصونه . أين تجد هذا المعنى في الأبيات ؟

❖ **أكمل البيتين التاليين :**

.... قد أجارني   من كل .... في الظلام

.... له قد صانني   .... له على الدوام

(١٩)

أَصْدِقَـــائِي

لِـيْ أَرْبَعَـةُ أَصْـدِقَاءَ ، حَسَـنٌ ، وَقَاسِـمٌ ، وَعُمَـرُ ، وَمُحَمَّدٌ.

أَمَّا حَسَنٌ فَوَلَدٌ مُهَذَّبٌ حَلِيْمٌ ، لا يَكْذِبُ وَلاَ يَغْضَبُ ، أُحِبُّهُ لأَدَبِهِ وَحِلْمِهِ ، وَهُوَ رَفِيْقِيْ فِي الْمَدْرَسَةِ ، وَجَارِيْ فِيْ الْحَيِّ ، وَصَدِيْقِيْ مُنْذُ أَرْبَعِ سِنِيْنَ .

وَهُوَ يَسْكُنُ فِيْ حَيِّنَا مِنْ سِنِيْنَ ، وَبَيْتُهُ قَرِيْبٌ مِّنْ بَيْتِيْ ، وَلَيْسَ بَيْنَ بُيُوْتِنَا إِلاَّ بَيْتٌ وَّاحِدٌ .

وَلَمْ نَتَخَاصَمْ فِيْ هذِهِ الْمُدَّةِ مَعَ أَنَّا نَسْكُنُ فِيْ حَيٍ وَّاحِدٍ ، وَنَقْرَأُ فِيْ صَفٍّ وَّاحِدٍ ، وَنَذْهَبُ جَمِيْعاً إِلَى الْمَدْرَسَةِ وَنَرْجِعُ جَمِيْعاً ، وَقَدْ تَخَاصَمَ كَثِيْرٌ مِّنَ الْأَصْدِقَاءِ ، وَأَرَىٰ كُلَّ يَوْمٍ بَعْضَ الْأَوْلاَدِ يَتَخَاصَمُوْنَ .

وَيُحِبُّ أَبِيْ وَأُمِّيْ حَسَناً وَيَفْرَحَانِ بِرِفاقتِهِ ، لِأَنَّهُ وَلَدٌ لَيْسَ فِيْهِ شَرٌّ ، وَيُحِبُّنِي ابُوْ حَسَنٍ وَيَرَانِيْ كَوَلَدِهِ .

أَمَّا قَاسِمٌ فَوَلَدٌ ذَكِيٌّ نَشِيطٌ تَرَاه دَائِماً مَسْرُوْراً ، لاَ أَذْكُرُ أَنِّيْ رَأَيْتُهُ قَطُّ مَحْزُوناً ، وَهُوَ ذُوْ أَخْبَارٍ وَحِكَايَاتٍ يَسُرُّ أَصْدِقَاءَهُ بِأَحادِيثِهِ ، وحِكَايَاتِهِ ، وَيُحِبُّهُ أَصْدِقَاؤُه وَهُوَ مُجْتَهِدٌ فِيْ الدُّرُوْسِ لَمْ يَرْسُبْ فِي امْتِحَانٍ .

أَمَّا عُمَرُ فَوَلَدٌ يَتِيمٌ يَسْكُنُ فِيْ حَيِّنَا أَيْضاً ، أُمُّهُ عُجُوزٌ تَكْتَسِبُ بِالخِيَاطَةِ وَتُنْفِقُ عَلَىٰ وَلَدِهَا ، وَلكِنَّ عُمَرَ وَلَدٌ كَبِيْرُ النَّفْسِ لاَ يَقْبَلُ مِنْهَا شَيْئاً ، ثِيَابُهُ رَخِيصَةٌ وَلكِنَّهَا دَائِماً نَظِيْفَةٌ ، يُحِبُّهُ جَمِيْعُ الْمُعَلِّمِيْنَ لِصَلاحِهِ وَأَدَبِه وَ اجْتِهَادِه وَ مُوَاظَبَتِه .

وَلَمْ يَرْسُبْ عُمَرُ فِي الْاِمْتِحَانِ إِلاَّ مَرَّةً، وَحَزِنَ كَثِيْراً ، وَّحَزِنَتْ أُمُّهُ لَمَّا رَسَبَ عُمَرُ فِي الْاِمْتِحَانِ ، وَأَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَّتْرُكَ الْمَدْرَسَة ، وَلكِنْ شَجَّعَتْهُ أُمُّهُ وَقَالَتْ : أَنَا أَكْتَسِبُ بِالْخِيَاطَةِ وَأُنْفِقُ عَلَيْكَ ، وَرَجَعَ عُمَرُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ وَاجْتَهَدَ كَثِيْراً ، وَنَجَحَ فِي الْاِمْتِحَانِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ وَبَرَّزَ فِي الْاِمْتِحَانِ.

أَمَّا مُحَمَّدٌ فَتِلْمِيذٌ نَجِيبٌ مُجْتَهِدٌ جِداً يُبَرِّزُ فِي الْإِمْتِحَانِ كُلَّ سَنَةٍ ، وَوَلَدٌ كَاتِبٌ جَيِّدُ الْخَطِّ يَعْرِفُ كِتَابَةَ الرَّسَائِلِ ، وَهُوَ مُتَقَدِّمٌ فِي الصَّفِّ وَمُوَاظِبٌ عَلَى الدَّرْسِ ، وَجَمِيعُ أَصْدِقَائِي مُحَافِظُونَ عَلَى الصَّلَوَاتِ ، مُوَاظِبُونَ عَلَى الدُّرُوسِ ، وَلَمْ نَتَخَاصَمْ قَطُّ وَلَمْ نَغْضَبْ ، وَأَرْجُوْ أَلاَّ أَكُوْنَ شَرَّ الْأَصْدِقَاءِ .

❖ الأسئلة :

(١) اذكر أسماء أربعة أصدقاء لك .

(٢) إذا رأيت صديقين متخاصمين ، فماذا تفعل ؟

(٣) ما الصفات التي تحبها في صديقك ؟

(٤) متى تزور أصدقاءك ؟

(٥) ما المقياس الأساس الذي تتعامل وفقه مع أصدقائك ؟

❖ اجمع الكلمات التالية ، ثم ضع كل كلمة في جملة مفيدة :

الصديق ، الامتحان ، الحكاية ، الناحية ، الصلاة .

(٢٠)

قريتـــــي



قَرْيَتِي جَمِيلَةٌ فِيْ وَسَطِ حُقُولٍ وَبَسَاتِيْنَ كَأَنَّهَا جَزِيْرَةٌ فِيْ بَحْرٍ أَخْضَرَ ، لا تَرَىٰ فِيهَا إلاَّ خُضْرَةً وَمَاءًا ، فَالأَرْضُ خَضْرَاءُ وَالْحُقُوْلُ خَضْرَاءُ ، وَالدُّنْيَا كُلُّهَا خَضْرَاءُ فِيْ قَرْيَتِيْ ، وَيَجْرِيْ مِنْ تَحْتِ الْقَرْيَةِ نَهْرٌ مَاؤُهُ نَقِيٌّ شَفَّافٌ ، لأَنَّهُ يَجْرِيْ عَلَى الرَّمْلِ ، نَغْتَسِلُ فِيْ هٰذَا النَّهْرِ وَنَسْبَحُ وَنَلْعَبُ وَنَشْرَبُ مِنْ مَائِهِ النَّقِيِّ ، وَنَرَى السَّمَكَ يَجْرِيْ مِنْ هُنَا وَهُنَا ، وَنَرَى الصَّدَفَ فِيْ قَعْرِ

النَّهْرِ لِأَنَّ الْمَاءَ نَقِيٌّ شَفَّافٌ ، وَقَدْ تَعَلَّمْنَا السِّبَاحَةَ وَنَحْنُ صِغَارٌ ، فَإِذَا كَانَتْ أَيَّامُ الْمَطَرِ فَاضَ النَّهْرُ ، وَكَانَ عَرْض كَبِيرٌ عَبَرْنَا هٰذَا النَّهْرَ وَتَسَابَقْنَا فِي السِّبَاحَةِ .

وَأَرَى كَثِيراً مِّنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لا يَعْرِفُونَ السِّبَاحَةَ وَهُمْ كِبَارٌ وَّيَخَافُونَ الْمَاءَ جِدّاً، وَلاَ يَدْخُلُونَ النَّهْرَ .

جَاءَ مَرَّةً صَدِيقٌ لِيْ مِنَ الْبَلَدِ وَ دَخَلْنَا النَّهْرَ وَقُلْنَا لَهُ : تَعَالَ يَا أَخِيْ وَاغْتَسِلْ وَاسْبَحْ ، فَقَالَ : إِنِّيْ أَخَافُ الْمَاءَ وَلاَ أَعْرِفُ السِّبَاحَةَ ، فَشَجَّعْنَاهُ وَقُلْنَا : لا تَخَفْ وَنَحْنُ مَعَكَ ، فَتَشَجَّعَ وَدَخَلَ الْمَاءَ وَأَرَادَ أَنْ يَسْبَحَ ، وَلٰكِنْ ذَهَبَ إِلَى الْقَعْرِ ، فَأَخَذْنَا بِيَدِهِ وَ رَفَعْنَاهُ فَخَرَجَ وَ قَدْ شَرِبَ الْمَاءَ .

وَكَانَ يَغْتَسِلُ مَعَنَا كُلَّ يَوْمٍ ، وَيَتَعَلَّمُ السِّبَاحَةَ حَتّٰى تَعَلَّمَهَا وَعَبَرَ النَّهْرَ فَتَشَجَّعَ وَعَبَرَ مَرَّتَيْنِ .

وَإِذَا نَزَلَتْ أَمْطَارٌ كَثِيْرَةٌ وَّ فَاضَ النَّهْرُ أَصْبَحَتْ قَرْيَتِيْ شِبْهَ جَزِيْرَةٍ يُحِيْطُ بِهَا الْمَاءُ مِنْ ثَلاَثِ جِهَاتٍ، وَتَبْقَىٰ جِهَةٌ وَّاحِدَةٌ نَذْهَبُ مِنْهَا إِلَى الْبَلَدِ وَنَشْتَرِى الْحَوَائِجَ مِنَ السُّوْقِ .

وَفِيْ سَنَةٍ كَانَ فَيْضَانٌ عَظِيْمٌ ، فَاضَ الْمَاءُ وَدَخَلَ الْبُيُوْتَ وَخَافَ النَّاسُ الْغَرَقَ وَتَرَكْنَا قَرْيَتَنَا وَذَهَبْنَا إِلَى الْبَلَدِ وَلَمْ نَرْجِعْ إِلاَّ بَعْدَ شَهْرٍ .

وَيَزُوْرُ قَرْيَتِيْ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ وَالْعُلَمَاءِ لِأَنَّهَا قَرْيَةٌ مَشْهُوْرَةٌ وَلِدَ فِيْهَا كَثِيْرٌ مِّنَ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ .

وَعَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ مَسْجِدٌ قَدِيْمٌ بَنَاهُ جَدُّنَا الْكَبِيْرُ مَضَى عَلَيْهِ ثَلاَثُمِئَةِ سَنَةٍ ، وَيَدْخُلُ فِيْهِ الْمَاءُ فِيْ كُلِّ فَيْضَانٍ وَيَمْكُثُ فِيْهِ الْمَاءُ أَيَّاماً طَوِيْلَةً، وَلكِنَّهُ لَمْ يَضْعُفْ .

❖ **الأسئلة :**

(١) بم شبه الكاتب القرية الجميلة ؟

(٢) ماذا يوجد في قعر النهر ؟

(٣) السباحة ضرورية . اين تجد هذا المعنى في النص ؟

(٤) ماذا حدث عندما تعرضت القرية للفيضان ؟

(٥) اين يقع المسجد القديم ؟

❖ **هات مفردات الكلمات التالية ، ثم ضعها في جمل مفيدة :**

بساتين ، السمك ، صغار ، أمطار ، ا لبيوت

٢١

تَرْنِيمَـــةُ اللَّيْـــلِ

إِنَّ الْفِـــرَاشَ النَّاعِـــمَا فِيْـــهِ تَنَـــامُ دَائِمَـــا
نَـــمْ يَـــا حَـــبِيْبِيْ آمِنَـــا نَـــمْ آمِنـــاً نَـــمْ آمِنَـــا
رَاحَ النَّهَـــارُ وَاحْتَجَـــبْ مَعَـــهُ الْـــعَنَاءُ وَالتَّعَـــبْ
وَاللَّيْلُ بِـــالأَمْـــنِ اقْتَـــرَبْ نَمْ آمِنـــاً نَمْ آمِنـــا
بَـــاتَتْ عَصَـــافِيْـــرُ الْغَـــرَدْ فِيْ حِفْظِ مَوْلاَنَا الصَّمَدْ
مَن لَّيْسَ يَغْفُلُ عَنْ أَحَدْ نَـــمْ فِـــيْ حِمَـــاهُ آمِنَـــا
نَـــمْ آمِنـــاً حَتَّـــى السَّحَـــرْ مِـــنْ كُلِّ ضَيْمٍ أَوْ كَدَرْ
نَمْ فِيْ حِمَى بَارِي الْبَشَرْ نَـــمْ فِـــيْ حِمَـــاهُ آمِنَـــا

(مَدَارِجُ الْقِرَاءَةِ)

❖ **الأسئلة :**

(١) ما صفة الفراش الذي تنام فيه ؟

(٢) ماذا تقول لوالديك عندما يحين وقت النوم ؟

(٣) من يحمي الناس في النوم واليقظة؟

(٤) ما الفرق بين الليل والنهار ؟

(٥) متى يستيقظ الإنسان ليؤدي صلاة الفجر ؟

❖ **أكمل البيتين التاليين :**

نم آمنا حتى ..... من كل .... أو كدر

نم في حمى باري .... نم في حماه ....

٢٢

مُسَابَقَةٌ بَيْنَ شَقِيقَيْنِ

قَالَ سَيِّدُنَا عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : كُنْتُ وَاقِفاً يَوْمَ بَدْرٍ وَّ غُلامَانِ مِنَ الأَنْصَارِ مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ وَ مُعَوَّذُ بْنُ عَفْرَاءَ عَنْ يَمِيْنِيْ وَشِمَالِيْ .

وَالْتَفَتَ إِلَيَّ أَحَدُهُمَا ، وَقَالَ لِيْ سِرّاً مِّنْ صَاحِبِهِ : ((أَيْ عَمِّ اهَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ))؟

فَقُلْتُ : نَعَمْ ! وَمَاذَا تُرِيْدُ مِنْهُ يَابْنَ أَخِيْ ؟

قَالَ : أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ ، أَرِنِيْهِ يَا عَمِّ ! فَإِنِّي أَعْطَيْتُ اللهَ عَهْداً إِنْ رَأَيْتُهُ أَنْ أَقْتُلَهُ أَوْ أَمُوْتَ دُوْنَهُ .

وَقَالَ لِيَ الآخَرُ سِرّاً مِّنْ صَاحِبِهِ : أَرِنِيْهِ يَا عَمِّ ! فَإِنِّيْ عَاهَدْتُ اللهَ إِنْ عَايَنْتُهُ أَنْ أَضْرِبَهُ بِسَيْفِيْ حَتَّىٰ أَقْتُلَهُ .

فَبَيْنَا أَنَا كَذٰلِكَ إِذْ بَرَزَ أَبُوْ جَهْلٍ ، فَقُلْتُ : أَلاَ تَرَيَانِ ؟ هذَا أَبُوْ جَهْلٍ ، هذَا صَاحِبُكُمْ ، فَشَدَّا عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ حَتَّى ضَرَبَاهُ .

ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ .

فَقَالَ : ((أَيُّكُمَا قَتَلَهُ ؟))

قَالَ كُلٌّ مِنْهُمَا : أَنَا قَتَلْتُهُ .

قَالَ : ((هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا)) ؟

قَالاَ : لاَ !

فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِيْ السَّيْفَيْنِ .

فَقَالَ : ((كِلاَهُمَا قَتَلَهُ)).

❖ **الأسئلة :**

(١) ما اسم الشقيقين المتسابقين ؟
(٢) لم أراد الشقيقان أن يقتلا أبا جهل ؟
(٣) كيف تتجلى محبة رسول الله في حياتنا وسلوكنا ؟
(٤) بم شبه الكاتب الشقيقين عندما شدا على أبي جهل ؟
(٥) ايهما قتل ابا جهل ؟

❖ **اذكر مثنى الكلمات التالية ، ثم ضع كلا منها في جملة مفيدة :**

الشقيق ، السيف ، الأخ ، العم ،الأب .

(٢٣)

جَـــزَاءُ الوَالِـــدَيْنِ

وُلِدْتُ صَغِيْراً ضَعِيْفاً لاَ أَقْدِرُ عَلَىٰ عَمَلٍ ، لاَ آكُلُ بِنَفْسِيْ وَ لاَ أَشْرَبُ بِنَفْسِيْ ، وَلاَ أَتَكَلَّمُ وَ لاَ أَفْهَمُ ، فَحَنَتْ عَلَيَّ أُمِّيْ وَأَرْضَعَتْنِيْ وَنَسِيْتْ نَفْسَهَا لِنَفْسِيْ ، وَ هَجَرَتْ رَاحَتَهَا لِرَاحَتِيْ ، فَكَمْ سَهِرَتِ اللَّيَالِيَ ، وَ كَمْ تَعِبَتْ فِي النَّهَارِ ، وَكُنْتُ لَهَا شُغْلاً وَّحَدِيْثاً ، وَإِذَا مَرِضْتُ طَارَ عَنْهَا النَّوْمُ ، وَمَا ذَاقَتْ طَعَاماً وَّلاَ شَرَاباً ؛ وَإِذَا سَكَتُّ اهْتَمَّتْ وَ قَالَتْ : مَا بَالُكَ يَا بُنَيَّ ! مَاذَا أَسْكَتَكَ ؟ لِمَاذَا لاَ تَتَكَلَّمُ ، أَتَشْكُوْ وَجَعاً أَوْ أَغْضَبَكَ أَحَدٌ ؟ وَإِذَا بَكَيْتُ جَاءَتْ تَجْرِيْ ، وَ فِي اللَّيْلِ تَتَكَلَّمُ مَعِيْ وَتُضَاحِكُنِيْ .

وَلَمَّا دَخَلْتُ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ كَانَتْ تَتَحَدَّثُ مَعِيْ فِي اللَّيْلِ ، وَ قَدْ عَرَفْتُ اللهَ وَرَسُوْلَهُ فِيْ حَدِيْثِهَا ؛ وَسَمِعْتُ قِصَصاً كَثِيْرَةً ، سَمِعْتُ مِنْهَا وَأَنَا عَلَىٰ فِرَاشِيْ قِصَّةَ إِبْرَاهِيْمَ ، وَكَيْفَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، فَصَارَتْ بَرْداً وَّسَلاَماً ، وَكَيْفَ نَشَأَ مُوْسَى فِيْ قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، وَسَمِعْتُ قِصَّةَ رَسُوْلِ اللهِ وَقِصَّةَ حَلِيْمَةَ السَّعْدِيَّةِ وَقِصَصاً جَمِيْلَةً ،

وَحَفِظْتُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَالْآيَاتِ الْأَخِيْرَةَ مِنْ سُوْرَةِ الْبَقَرَةِ وَ أَدْعِيَةً كَثِيْرَةً ، فَكُنْتُ عَالِمَ الْأَطْفَالِ . وَكَانَ أَبِيْ يُحِبُّنِيْ كَثِيْراً ، وَكُنْتُ أَصْغَرَ إِخْوَتِيْ أَبِيْتُ مَعَهُ وَآكُلُ مَعَهُ ، وَإِذَا جَاءَ مِنْ سَفَرٍ اشْتَرَىٰ لِيْ هَدِيَّةً جَمِيْلَةً ، وَكَانَ النَّاسُ يُحِبُّوْنَنِيْ وَيُقَرِّبُوْنَنِيْ إِلَيْهِمْ لِمَكَانِيْ مِنْ أَبِيْ ، وَقَدْ قَرَأْتُ عَلَىٰ أَبِيْ أَيْضاً ، فَهُوَ لِيْ أَبٌ وَّمُعَلِّمٌ .

وَكَانَ يُوْصِيْ أُمِّيْ أَنْ تَكْسُوَنِيْ يَوْمَ الْعِيْدِ لِبَاساً جَدِيْداً ، وَإِذَا مَرِضْتُ أَوْ سَقَطْتُّ مِنْ مَكَانٍ أَوْ أَصَابَنِيْ ضَرَرٌ أَوْ أَلَمٌ وَجَاءَهُ الْخَبَرُ طَارَ نَوْمُهُ ، وَسَهِرَ اللَّيْلَ هَمّاً وَحُزْناً ، كَيْفَ أُجَازِيْ هٰذِهِ النِّعَمَ ؟ هَلْ يُمْكِنُ أَنْ أُجَازِيَهُمَا بِمَالٍ ؟ كَلاَّ ! فَأَنَا وَمَالِيْ لِوَالِدَيَّ ، نَعَمْ ! أَنَا أَخْدِمُهُمَا بِالْمَالِ وَالْبَدَنِ ، بَلْ أَصِلُ أَصْدِقَاءَهُمَا وَأَقَارِبَهُمَا بِالْبِرِّ وَالْمَعْرُوْفِ، وَلٰكِنِّيْ سَأَدْعُوْ لَهُمَا ، وَأَقُوْلُ دَائِمًا فِيْ دُعَائِيْ ((رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً)).

وَسَأَجْتَهِدُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَّغْتَبِطَا بِيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ النَّاسِ وَأَمَامَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَيَغْبِطُهُمَا أَصْحَابُ الْأَوْلَادِ وَيَقُوْلُوْنَ . يَا لَيْتَ لَنَا مِنَ الْأَوْلَادِ مِثْلَ مَا أُوْتِيَ فُلَانٌ ، إِنَّهُ لَسَعِيْدٌ .

وَسَأَجْتَهِدُ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلاً يُنَادَيْ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ فَيَقُوْلُ النَّاسُ : مَنْ هُوَ ؟ فَيُقَالُ : اِبْنُ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ ، فَيَغْتَبِطُ وَالِدَايَ وَيَنْعَمُ بَالِيْ .

وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ الْوَلَدَ إِذَا حَفِظَ الْقُرْآنَ يُتَوَّجُ وَالِدَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَسَأَجْتَهِدُ فِيْ حِفْظِ الْقُرْآنِ لِيُتَوَّجَ وَالِدَايَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَ قَدْ سَمِعْتُ أَنَّ الشَّهِيْدَ يَشْفَعُ لِسَبْعِيْنَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَلَعَلَّ اللهَ يَرْزُقَنِيْ الشَّهَادَةَ ، فَأَشْفَعَ لِوَالِدَيَّ قَبْلَ النَّاسِ ، وَبِذَلِكَ أُجَازِيْ بَعْضَ نِعَمِهِمَا .

❖ **الأسئلة** :

(١) من يعتني بشؤون الصغار في المنزل ؟

(٢) من يحكي لك القصص الجميلة ، ويتعب كي ترتاح ؟

(٣) من يجلب لك الهدايا الجميلة ، ويلاعبك ؟

(٤) ما واجبك تجاه والديك ؟

(٥) ماذا تقول في دعائك لوالديك ؟

❖ **أكمل الفراغات التالية مستعينا بالنص** :

سمعت أن الولد إذا حفظ ....يتوج .... يوم القيامة ، فسأجتهد في حفظ ....ليتوج ......يوم ......

(٢٤)

أَدَبُ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ

كَانَ عُمَرُ بْنُ أَبِيْ سَلَمَةَ غُلَاماً صَغِيْراً، وَكَانَ مَعَ أُمِّهِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ تَزَوَّجَهَا بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيْ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَكَانَ عُمَرُ فِيْ حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ

وَكَانَ عُمَرُ يَأْكُلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا يَأْكُلُ الْوَلَدُ الصَّغِيْرُ مَعَ أَبِيْهِ ، وَكَمَا تَأْكُلُ أَنْتَ مَعَ أَبِيْكَ وَأُمِّكَ .

وَكَانَ عُمَرُ غُلَاماً يَّتِيْماً، مَاتَ أَبُوْهُ وَهُوَ صَغِيْرٌ، فَكَانَ النَّبِيُّ ص يُحِبُّهُ وَيُعَلِّمُهُ الْأَدَبَ .

فَكَانَ يَأْكُلُ مَرَّةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَتْ يَدُهُ تَدُوْرُ فِي الصَّحْفَةِ وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْ هُنَا وَهُنَا كَمَا يَأْكُلُ كَثِيْرٌ مِّنَ الأَوْلَادِ .

فَعَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَيْفَ يَأْكُلُ وَقَالَ لَهُ : ((سَمِّ اللهِ وَكُلْ مِمَّا يَلِيْكَ)).

وَهَكَذَا يَنْبَغِيْ أَنْ يَأْكُلَ الْمُسْلِمُ ، فَيُسَمِّي اللهَ وَيَأْكُلُ بِيَمِيْنِهِ وَيَأْكُلُ مِمَّا يَلِيْهِ .

وَهكَذَا عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ أَدَبَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَأَدَبَ كُلِّ شَيْءٍ ، كَمَا عَلَّمَ عُمَرَ بْنَ أَبِيْ سَلَمَةَ الصَّغِيْرَ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّماً)).

وَقَدْ أَدَّبَ اللهُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَّمَهُ أَدَبَ كُلِّ شَيْءٍ فَقَالَ : ((أَدَّبَنِيْ رَبِّيْ فَأَحْسَنَ تَأْدِيْبِيْ)).

وَقَالَ أَبُوْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : مَا عَابَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ طَعَاماً قَطُّ ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ .

وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: ((أَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ وَ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ ، وَقَالَ : لاَ آكُلُ مُتَّكِئاً)).

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَأْكُلُ بِثَلاَثَةِ أَصَابِعَ وَإِذَا فَرَغَ لَعِقَهَا .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ إِذَا أَكَلَ طَعَاماً لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلاَثَ ، وَقَالَ : ((إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا وَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَىٰ وَلْيَأْكُلْهَا ، وَلاَيَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَسْلُتَ الْقَصْعَةَ ، وَقَالَ : إِنَّكُمْ لاَ تَدْرُوْنَ فِيْ أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ)).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلاَثاً .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ أَنْ يُتَنَفَّسَ فِيْ الْإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيْهِ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ نَهَىٰ عَنِ الشُّرْبِ قَائِماً .

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا عَنِ الْحَرِيْرِ وَالدِّيْبَاجِ وَالشُّرْبِ فِيْ آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَقَالَ : ((هِيَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ)).

❖ الأسئلة :

(١) ماذا تعرف عن أم سلمة رضي الله عنها ؟

(٢) تحدث بسطرين عن حياة عمر بن أبي سلمة .

(٣) ما الخطأ الذي ارتكبه الطفل عمر بن أبي سلمة وهو يأكل مع النبي ﷺ ؟

(٤) ما التوجيه الذي أرشده إليه ؟

(٥) اذكر ثلاثة آداب لتناول الطعام .

❖ ضع حرف الجر المناسب في الفراغات التالية :

.... حذيفة رضي الله عنه قال : إن النبي ﷺ نهانا ..... الحرير والديباج ، والشرب.... آنية الذهب والفضة . وقال : هي لهم .. الدنيا ، وهي لكم ... الآخرة .

(٢٥)

شَــرٌّ وَخَيــرٌ

شَــرُّ الْمَقَــالِ الْكَــذِبُ ... خَيْــرُ الْخِصَــالِ الأَدَبُ
اَلْــبُخْلُ عَــيْبٌ فَاضِــحٌ ... وَالْجُــوْدُ سِــتْرٌ صَــالِحٌ
اَلْعَقْــلُ قَــاضٍ عَــادِلٌ ... وَالْعُجْــبُ دَاءٌ قَاتِــلٌ
اَلْعُمْــرُ ضَــيْفٌ رَاحِــلٌ ... وَالْمَــالُ ظِــلٌّ زَائِــلٌ
اَلْبِــرُّ لِلْحُــبِّ سَــبَبْ ... إِنَّ الْبَخِــيْلَ لاَ يُحَــبْ
طَهَــارَةُ الأَخْــلاَقِ ... مِــنْ كَــرَمِ الأَعْــرَاقِ
اَلْكِــذْبُ وَالنَّمِــيمَةْ ... وَالْغَــدْرُ شَــرُّ شِــيْمَةْ
تَــأَنَّ فِــي الأُمُــوْرِ ... لاَسِــيَّمَا الشُّــرُوْرِ
وَاعْجَــلْ إِلَــى الْخَيْــرَاتِ ... مِــنْ خَشْيَةِ الْفَــوَاتِ
مَالَــكَ غَيْــرُ نَفْسِــكَا ... لاَ تَــكُ عَنْهَا مُمْسِكَا

(أَبُو الْعَتَاهِيَة)

❖ الأسئلة :

(١) ما خير الخصال التي يتصف بها الإنسان ؟

(٢) اذكر ثلاث صفات ينبغي أن يتصف بها المرء العاقل ؟

(٣) بم شبه الشاعر العمر ؟ وهل أعجبك هذا التشبيه ؟ ولماذا ؟

(٤) ما الأمور التي يجدر بالإنسان أن يعجل كي يفعلها ؟

(٥) اذكر حديثا نبويا يدل على ضرورة التمسك بحسن الخلق .

❖ اجعل كل كلمة من الكلمات التالية مبتدءا ، وضع لها الخبر المناسب :

شر ، خير ، العقل ، المال ، الأخلاق

(٢٦)

يَـــومٌ مَّطِيــــرٌ

نَزَلَ الْمَطَرُ فِيْ اللَّيْلِ وَسَالَتِ الطُّرُقُ وَالشَّوَارِعُ وَنَشَأَ وَحَلٌ كَثِيْرٌ زَلِقَ بِهِ النَّاسُ وَتَوَسَّخَتِ الثِّيَابُ ، وَإِذَا سَارَتْ سَيَّارَةٌ تَطَايَرَ الْمَاءُ .

اِنْقَطَعَ الْمَطَرُ فِيْ الصَّبَاحِ وَأَمِنَ النَّاسُ ، خَرَجُوْا يَمْشُوْنَ عَلَى الشَّوَارِعِ وَقَدْ تَوَسَّخَتْ ثِيَابُهُمْ بِالْوَحَلِ ، وَزَلِقَ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى الشَّارِعِ وَسَقَطَ فِيْ الْوَحَلِ وَضَحِكَ النَّاسُ وَضَحِكَ الرَّجُلُ وَتَوَسَّخَتْ ثِيَابُهُ جِداً .

وَكَانَ النَّاسُ يَمْشُوْنَ مُطْمَئِنِّيْنَ إِذْ جَاءَ الْمَطَرُ عَلَى غَفْلَةٍ فَابْتَلَّتِ الثِّيَابُ ، وَكَانَ بَعْضُ الْعُقَلاءِ قَدْ أَخَذُوْا

مَعَهُمُ الْمَطَرِيَّاتِ فَنَشَرُوْهَا ، وَكُنْتُ تَرَكْتُ مَطَرِيَّتِيْ فِيْ الْبَيْتِ وَظَنَنْتُ أَنَّ الْمَطَرَ قَدِ انْقَطَعَ فَتَأَسَّفْتُ جِدّاً وَجَرَيْتُ وَ رَجَعْتُ إِلَى الْبَيْتِ وَقَدِ ابْتَلَّتْ ثِيَابِيْ .

وَلَمْ تَطْلُعُ الشَّمْسُ طُوْلَ النَّهَارِ وَلَمْ يَزَلْ فِيْ السَّمَاءِ غَيْمٌ ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْبَيْتِ إِلاَّ ذُوْ حَاجَةٍ ، وَسَئِمْتُ الْجُلُوْسَ فِيْ الْبَيْتِ فَخَرَجْتُ فِيْ الْعَصْرِ وَأَخَذْتُ الْمَطَرِيَّةَ مَعِيْ وَذَهَبْتُ إِلَىٰ صَدِيْقِيْ مَسْعُوْدٍ ، فَوَجَدْتُّهُ يُطَالِعُ كِتَاباً .

قُلْتُ لَهُ : أَلاَ تَخْرُجُ يَا أَخِيْ نَتَنَزَّهُ وَنَمْشِيْ قَلِيْلاً ، أَمَا سَئِمْتَ الْجُلُوْسَ ؟

قَالَ مَسْعُوْدٌ : أَلاَ تَرَى إِلَى السَّمَاءِ وَإِلَى الْأَرْضِ ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى الْوَحَلِ ؟ هٰذَا لَيْسَ يَوْمَ الْخُرُوْجِ مِنَ الْبَيْتِ ، فَتَفَضَّلْ وَتَعَشَّ مَعِيْ .

قُلْتُ : أَمَا الْجُلُوْسُ فَنَعَمْ ! وَأَمَّا الْعَشَاءُ فَلاَ، فَإِنِّي أُرِيْدُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى الْبَيْتِ سَرِيْعاً، فَلَسْنَا نَدْرِيْ مَتَىٰ تُمْطِرُ السَّمَاءُ .

وَجَلَسْتُ مَعَ صَدِيقِي مَسْعُودٍ قَلِيْلاً ، ثُمَّ سَئِمْتُ الْجُلُوسَ وَالْغَيْمَ ، فَاسْتَأْذَنْتُهُ وَخَرَجْتُ إِلَى الشَّارِعِ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَمَرَّتْ بِيْ وَتَطَايَرَ الْمَاءُ وَالْوَحَلُ وَتَوَسَّخَتْ ثِيَابِيْ ، وَمَشَيْتُ قَلِيْلاً وَرَجَعْتُ إِلَى الْبَيْتِ ، وَمَا دَخَلْتُ الْبَيْتَ وَمَا وَضَعْتُ الْمَطَرِيَّةَ حَتَّىٰ جَاءَ الْمَطَرُ ، فَحَمِدْتُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ وَصَلْتُ إِلَى الْبَيتْ.

وَ تَعَشَّيْتُ وَصَلَّيْتُ الْعِشَاءَ وَنِمْتُ وَمَا عَلِمْتُ مَتَىٰ انْقَطَعَ الْمَطَرُ.

وَكَانَتِ الْأَمْطَارُ فِيْ هذِهِ السَّنَةِ كَثِيْرَةً، وَقَدْ فَاضَتْ أَنهَارٌ وَجَاءَ السَّيْلُ وَتَهَدَّمَتْ بُيُوْتٌ كَثِيْرَةٌ.

❖ الأسئلة :

(١) ماذا يحدث بعد نزول المطر ؟

(٢) بم تحمي نفسك من المطر وأنت تسير في الشارع ؟

(٣) اذكر أربع فوائد للمطر .

(٤) هل يتنزه الناس يوم المطر ؟ ولماذا ؟

(٥) ماذا يقول الإنسان إذا نزل المطر بعد طول انقطاع؟

❖ ضع حرف العطف المناسب في الفراغات التالية :

كانت الأمطار كثيرة ..... قد فاضت أنهار ...... جاء السيل .... تهدمت بيوت عديدة .

(٢٧)

البَـــرِيدُ

(١)

خَالِدٌ : مَاذَا تَكْتُبُ يَا طَارِقُ؟

طَارِقٌ : أَنَا أَكْتُبُ كِتَاباً إِلَىٰ أَخِيْ عَامِرٍ .

خَالِدٌ : سَمِعْتُ أَنَّهُ فِيْ دِهْلِيْ، فَهَلْ أَحَدٌ مُسَافِرٌ ؟

طَارِقٌ : لاَ بَلْ يُسَافِرُ كِتَابِيْ .

خَالِدٌ : كَيْفَ يُسَافِرُ كِتَابُكَ يَا طَارِقُ ؟

طَارِقٌ : أَنَا أَكْتُبُ الْكِتَابَ ثُمَّ أَضَعُهُ فِي الْغِلاَفِ وَأَكْتُبُ عَلَى الْغِلاَفِ عُنْوَانَ أَخِيْ ثُمَّ أُرْسِلُهُ ، أُنْظُرْ هٰذَا غِلاَفُ الْبَرِيْدِ .

خَالِدٌ : وَمَا هٰذَا الشَّكْلُ فِيْ جَانِبِ الْغِلاَفِ يَا طَارِقُ ؟

طَارِقٌ : هٰذَا طَابِعُ الْبَرِيْدِ ، وَإِذَا أَرَدتُّ أَنْ أَكْتُبَ بِطَاقَةً أَكْتُبُ الْعُنْوَانَ عَلَىٰ وَجْهِ الْبِطَاقَةِ . أُنْظُرْ هٰذِهِ بِطَاقَةٌ وَّ فِيْ جَانِبِهَا طَابِعُ الْبَرِيْدِ .

خَالِدٌ : وَمَا هٰذِهِ الصُّوْرَةُ يَا طَارِقُ ! هٰذِهِ صُوْرَةُ إِنْسَانٍ، وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ صُوْرَةَ ذِيْ رُوْحٍ لاَ تَجُوْزُ فِيْ الْإِسْلاَمِ .

طَارِقٌ : نَعَمْ ! إِذَا كَانَتْ حُكُومَةٌ إِسْلاَمِيَّةٌ صَحِيحَةٌ لَمْ تَكُنْ صُوْرَةٌ عَلَىٰ غِلاَفِ الْبَرِيْدِ وَالْبِطَاقَةِ .

خَالِدٌ : ثُمَّ مَاذَا تَفْعَلُ يَا أَخِيْ إِذَا كَتَبْتَ الْعُنْوَانَ ؟

طَارِقٌ : أَضَعُ الْكِتَابَ فِيْ صُنْدُوْقِ الْبَرِيْدِ .

خَالِدٌ : وَمَا صُنْدُوْقُ الْبَرِيْدِ ؟

طَارِقٌ : هَلْ رَأَيْتَ صُنْدُوْقاً أَحْمَرَ لَهُ فَمٌ فِيْ مَكْتَبِ الْبَرِيْدِ وَعَلَى الشَّوَارِعِ ؟

خَالِدٌ : نَعَمْ ! رَأَيْتُهُ كَثِيْراً، وَمَنْ يَأْخُذُ هٰذَا الْكِتَابَ مِنْ صُنْدُوْقِ الْبَرِيْدِ وَكَيْفَ يَضَعُ ؟

طَارِقٌ : يَحْمِلُ السَّاعِيْ الْكُتُبَ إِلَىٰ مَكْتَبِ الْبَرِيْدِ فَيُفْرِزُهَا رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ الْبَرِيْدِ ، هٰذَا إِلَىٰ دِهْلِيْ وَذٰلِكَ إِلَىٰ كَلْكَتَّا ، وَهٰذَا إِلَى الشَّرْقِ وَذٰلِكَ إِلَى الْغَرْبِ وَيَخْتِمُهَا .

خَالِدٌ : ثُمَّ مَاذَا ؟

طَارِقٌ : ثُمَّ تُحْمَلُ هٰذِهِ الْكُتُبُ إِلَى الْمَحَطَّةِ ثُمَّ تُوْضَعُ عَلَى الْقِطَارِ ، وَيَحْمِلُهَا الْقِطَارُ إِلَىٰ مَكَانِهَا ، فَكِتَابُ دِهْلِيْ يُسَافِرُ بِهِ قِطَارُ دِهْلِيْ إِلَىٰ دِهْلِيْ ،

وَكِتَابُ كَلْكَتَّا يُسَافِرُ بِهِ قِطَارُ كَلْكَتَّا إِلَىٰ كَلْكُتَّا .

خَالِدٌ : وَهَلْ يَحْضُرُ أَخُوكَ إِلَىٰ مَحَطَّةِ دِهْلِيْ وَيَأْخُذُ كِتَابَهُ ؟ وَهَلْ يَعْرِفُهُ نَاظِرُ الْمَحَطَّةِ ؟

طَارِقٌ : لاَ يَحْتَاجُ أَخِيْ إِلَىٰ هٰذَا التَّعَبِ ، بَلْ إِذَا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَىٰ مَحَطَّةِ دِهْلِيْ يُنْقَلُ مِنَ الْمَحَطَّةِ إِلَىٰ مَكْتَبِ الْبَرِيْدِ .

خَالِدٌ : فَيَحْضُرُ أَخُوكَ إِلَىٰ مَكْتَبِ الْبَرِيْدِ وَيَأْخُذُ رِسَالَتَهُ مِنْ مُدِيْرِ الْبَرِيْدِ ؟

طَارِقٌ : لاَ تَعْجَلْ يَا أَخِيْ ! أَنَا أُخْبِرُكَ بِخَبَرِ الْكِتَابِ ، إِذَا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَىٰ مَكْتَبِ الْبَرِيْدِ يُفْرَزُ وَيُخْتَمُ هُنَالِكَ أَيْضاً حَتَّى يُعْرَفَ مَتَى وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَىٰ دِهْلِيْ ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ يَأْخُذُهُ السَّاعِيْ وَيَحْمِلُهُ إِلَىٰ أَخِيْ .

❖ الأسئلة :

(١) ماذا نكتب على غلاف الرسالة التي نرسلها للأقارب والأصدقاء ؟

(٢) أين نضع الرسالة لتصل إلى أصحابها ؟

(٣) من يأخذ الرسائل من صندوق البريد ويوزعها على الناس المعينين ؟

(٤) ما فائدة الرسالة ؟

(٥) هل كتبت يوماً مّا رسالة ؟ ولماذا ؟

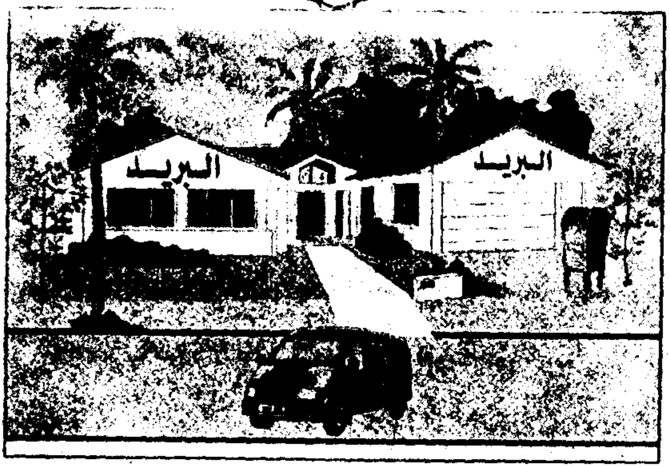
❖ ميز بين الفعل الماضي والفعل المضارع فيما يلي :

لا تعجل يا أخي ! انا اخبرك بخبر الكتاب ، إذا وصل الكتاب إلى مكتب البريد يفرز ، ويختم هنالك أيضا حتى يعرف متى وصل الكتاب ، وبعد ذلك يأخذه الساعي ، ويحمله إلى أخي .

(٢٨)

الْبَـــــرِيدُ

(٢)



خَالِدٌ : وَكَيْفَ يَكُونُ السَّاعِيْ يَا طَارِقُ ؟ أَنَا مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ ؟

طَارِقٌ : أَمَا رَأَيْتَ رَجُلاً يَرْتَدِيْ حُلَّةً لَوْنُهَا رَمَادِيٌّ فِيْهَا أَزْرَارٌ نُحَاسِيَّةٌ وَعَلَىْ رَأْسِهِ عِمَامَةٌ يَحْمِلُ حَقِيْبَةً مِنْ جِلْدٍ ؟

خَالِدٌ : نعَمْ ! قَدْ رَأيْتُهُ وَ رَأيْتُ حَقيبْةَ وَّهِيَ مَلآنَةٌ بالْأَوْرَاقِ ، وَأَزْرَارُهُ النُّحَاسِيَّةُ تَلْمَعُ وَعِمَامَتُهُ تَظْهَرُ مِنْ بَعِيْدٍ .

طَارِقٌ : ذٰلِكَ هُوَ سَاعِيْ الْبَرِيْدِ يَا خَالِدُ! وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُوْنَهُ جِداً وَيَشْتَاقُوْنَ إِلَيْهِ خُصُوْصاً فِي الْقُرَى ، وَأَنْتَ تَنْتَظِرُهُ أَيضاً إِذَا كَتَبْتَ كِتَاباً وَّانْتَظَرْتَ جَوَابَهُ وَإِذَا طَلَبْتَ كِتَاباً مِّنْ تَاجِرِ كُتُبٍ .

خَالِدٌ : وَرَأَيْتُ يَا طَارِقُ رَجُلاً آخَرَ يَرْتَدِيْ مِثْلَ حُلَّةِ السَّاعِيْ وَلَهُ أَزْرَارٌ نُحَاسِيَّةٌ وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ أَيْضاً وَلكِن لَّيْسَ عِنْدَهُ حَقِيْقَةٌ مِّنْ جِلْدٍ ، وَهُوَ عَلَىٰ دَرَّاجَةٍ حَمْرَاءَ أَرَاهُ يَذْهَبُ بِسُرْعَةٍ كَأَنَّهُ مُسْتَعْجِلٌ .

طَارِقٌ : هُوَ أَيْضاً سَاعِي الْبَرِيْدِ وَلكِنَّهُ لاَ يُوَزِّعُ الْكُتُبَ بَلْ يُوَزِّعُ الْبَرْقِيَّاتِ وَيَذْهَبُ عَلَى دَرَّاجَةٍ حَمْرَاءَ مِن مَّكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ لِيَصِلَ سَرِيْعاً ، فَإِنَّ النَّاسَ لاَ يُرْسِلُوْنَ الْبَرْقِيَّةَ إِلاَّ لِتَصِلَ سَرِيْعَةً ، وَالنَّاسُ يَعْرِفُوْنَهُ بِدَرَّاجَتِهِ الْحَمْرَاءِ .

خَالِدٌ : وَلـكِنْ كَيْـفَ يَقْـدِرُ رَجُلٌ وَّاحِدٌ أَنْ يُوَزِّعَ الْكُتُبَ فِيْ جَمِيْعِ أَنْحَاءِ الْمَدِيْنَةِ ؟

طَارِقٌ : لاَ ! فِـيْ مَكْتَـبِ الْبَرِيْدِ رِجَالٌ كَثِيْرٌ، وَّلِكُلِّ نَاحِيَـةٍ مِّنْ أَنْحَـاءِ الْمَدِيْنَةِ وَلِكُلِّ حَيٍّ مِّنْ أَحْيَاءِ الْبَلَدِ سَاعٍ .

خَالِدٌ : وَكَيْـفَ يُنْفِقُ مَكْتَبُ الْبَـرِيْـدِ الْأَمْـوَالَ الْكَثِيْـرَةَ وَكَيْفَ يَخْدِمُ مَجَّاناً ؟ وَرِجَالُ الْبَرِيْدِ يَرْتَدُوْنَ حُلَلاً وَّ يَحْمِلُوْنَ حَقَائِبَ وَيَرْكَبُوْنَ دَرَّاجَاتٍ ، فَمِنْ أَيْنَ تَأْتِيْ هذِهِ الْأَمْوَالُ ؟

طَارِقٌ : إِنَّ مَـكْتَـبَ الْبَـرِيْدِ يَأْخُذُ أُجْرَةً مِّنْ كُلِّ مَنْ يُّرْسِلُ كِتَاباً بِالْبَرِيْدِ .

خَالِدٌ : وَمَا هٰذِهِ الأُجْرَةُ وَمَتَى تَدْفَعُهَا يَا أَخِيْ ؟

طَارِقٌ : قَـدِ اشْتَـرَيْتُ هٰـذَا الطَّابِعَ مِن مَّكْتَبِ الْبَرِيْدِ وَهٰذِهِ هِيَ أُجْرَةُ الْبَرِيْدِ .

خَالِدٌ : أَشْكُرُكَ عَلَـى هٰـذَا الْحَـدِيْثِ الْمُفِيْـدِ ، وَسَأَكْتُبُ إِلَى أَخِيْ وَصَدِيْقِيْ جَمِيْلٍ ، وَسَأُرْسِلُ الْكِتَابَ بِالْبَرِيْدِ ، وَإِذَا كَتَبْتُ الْكِتَابَ جِئْتُكَ بِهِ فَتَرَاهُ وَتُصْلِحُهُ .

طَارِقٌ : حُبًّا وَكَرَامَةً ، يَسُرُّنِي أَنْ أُسَاعِدَكَ .

❖ الأسئلة :

(١) صف شكل ساعي البريد ؟

(٢) من يوزع البرقيات ؟

(٣) كيف توزع الرسائل في جميع أنحاء المدينة ؟

(٤) من أين يأتي مكتب البريد بالأموال ؟

(٥) ما شعورك إذا وصلتك رسالة من قريب لك مسافر؟

❖ استخرج المفاعيل الخمسة من الجمل التالية :

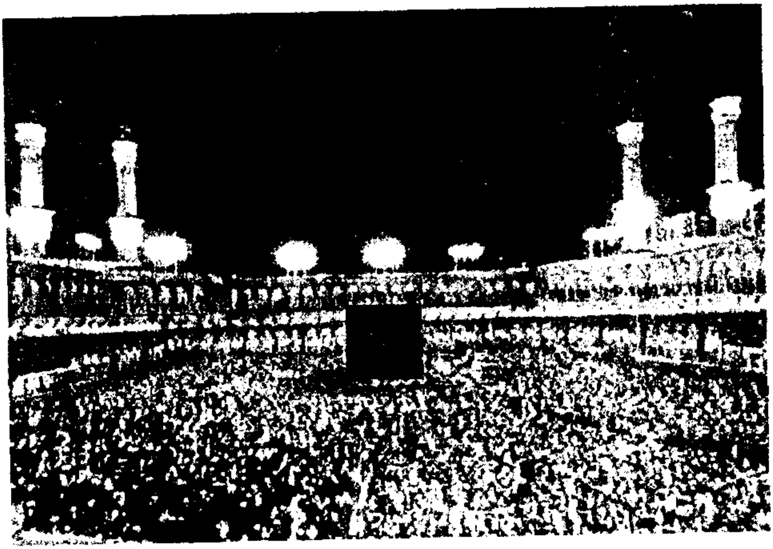
الناس ينتظرون ساعي البريد ، ويشتاقون إليه .

الناس يرسلون البرقية لتصل سريعة .

رجال البريد يرتدون حللا ، ويحملون حقائب ، ويركبون دراجات .

٢٩

مَــنْ يَّضَعُ الحَجَــرَ ؟



إِنَّكُمْ لَتَعْرِفُوْنَ هٰذَا البِنَاءَ ، وَمَنْ فِي الدُّنْيَا لا يَعْرِفُ هذَا الْبِنَاءَ ؟ إِنَّكُمْ تَتَوَجَّهُوْنَ إِلَيْهِ فِي الصَّلاَةِ ، وَيُسَافِرُ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُوْنَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَّيَطُوْفُوْنَ به فِي الْحَجِّ .

الْكَعْبَةُ أَوَّلُ بَيْتٍ وُّضِعَ لِلنَّاسِ لِعِبَادَةِ اللهِ ، بَنَاهَا إِبْرَهِيْمُ خَلِيْلُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِيْ مَكَّةَ وَفِيْهَا حَجَرٌ أَسْوَدُ يُقَبِّلُهُ النَّاسُ فِي الْحَجِّ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُقَبِّلُهُ .

وَبَعْدَ زَمَنٍ طَوِيْلٍ أَرَادَ أَوْلاَدُ إِبْرَاهِيمَ وَهُمْ قُرَيْشٌ أَنْ يَبْنُوْا بِنَاءَ الْكَعْبَةِ مِنْ جَدِيْدٍ فَإِنَّهُ كَانَ بِنَاءًا قَدِيْماً قَدْ سَقَطَ سَقْفُهُ، وَضَعُفَتْ جُدْرَانُهُ ، فَجَمَعَتْ قُرَيْشٌ الْحِجَارَةَ وَالْخَشَبَ لِبِنَائِهَا، وَبَنَتْ قُرَيْشٌ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ مِنْ جَدِيْدٍ .

وَلَمَّا تَمَّ بِنَاءُ الْكَعْبَةِ أَرَادَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تَضَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِيْ مَحَلِّهِ ، فَاخْتَصَمَتْ قُرَيْشٌ فِيْ وَضْعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فِيْ مَحَلِّهِ ، كُلُّ قَبِيْلَةٍ تُرِيْدُ أَنْ تَرْفَعَهُ إِلَىٰ مَوْضِعِهِ لِأَنَّهُ شَرَفٌ عَظِيْمٌ ، كُلُّ قَبِيْلَةٍ حَرِيْصَةٌ عَلَىٰ أَنْ تَنَالَ هٰذَا الشَّرَفَ .

كُلُّ قَبِيْلَةٍ حَرِيْصَةٌ عَلَىٰ أَنْ تَنَالَ هٰذَا الشَّرَفَ وَلٰكِنَّ ذٰلِكَ لاَ يُمْكِنُ ،لِأَنَّ الْحَجَرَ وَاحِدٌ وَّالْقَبَائِلُ كَثِيْرَةٌ .

وَاخْتَلَفَتْ قُرَيْشٌ كَثِيْراً وَّتَنَازَعَتْ ، وَكَانَ الْعَرَبُ يُقَاتِلُوْنَ لِأَدْنَى شَيْءٍ وَلِغَيْرِ شَيْءٍ، يَتَقَدَّمُ فَرَسٌ فَيُقَاتِلُوْنَ ، وَيَسْبِقُ أَحَدٌ فَيَسْقِي فَرَسَهُ أَوْ بَعِيْرَهُ فَيَقْتُلُوْنَ وَيُقْتَلُوْنَ ، وَلاَيَزَالُوْنَ يُقَاتِلُوْنَ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً وَّخَمْسِيْنَ سَنَةً، فَلِمَاذَا لاَ يُقَاتِلُوْنَ عَلَىٰ هٰذَا الشَّرَفِ ؟ وَإِنَّهُ لَشَرَفٌ عَظِيْمٌ .

وَقَرَّبَتْ قَبِيْلَةٌ مِّنْ قُرَيْشٍ جَفْنَةً مَّمْلُوْءَةً دَماً ثُمَّ تَحَالَفَتْ مَعَ قَبِيْلَةٍ أُخْرَىٰ عَلَى الْمَوْتِ وَأَدْخَلُوْا أَيْدِيَهُمْ فِيْ ذٰلِكَ وَقَالُوْا: لاَ نَتْرُكُ هٰذَا الشَّرَفَ أَوْ نَمُوْتَ .

وَكَانَ هذَا شَرّاً كَبِيْراً وَّخَطَراً عَظِيْماً، وَالْمَوْتُ شَيْءٌ هَيِّنٌ لِلْعَرَبِ فِيْ سَبِيْلِ الْحَقِّ وَالشَّرَفِ .

إِذاً لاَبُدَّ مِنَ الْحَرْبِ ، وَالْحَرْبُ مَشْؤُوْمَةٌ جِداً.

❖ الأسئلة :

(١) إلى أين يتوجه الناس في الصلاة ، ويطوفون في الحج ؟

(٢) من بني الكعبة ؟

(٣) لم اختصمت قريش في وضع الحجر الأسود في محله ؟

(٤) ماذا صنعت قريش بعد اشتداد الخلاف فيما بينها ؟

(٥) كيف تحل خصومة وقعت بين اثنين ؟

❖ استخرج الفاعل من المقطع التالي :

الكعبة أول بيت وضع للناس لعبادة الله ، بناها إبراهيم خليل الله في مكة ، وفيها حجر أسود يقبله الناس في الحج ، وكان النبي ﷺ يقبله .

(٣٠)

مَــنْ يَّضَــعُ الحَجَــرَ ؟

(٢)

وَمَكَثَتْ قُرَيْشٌ عَلَىٰ ذٰلِكَ أَرْبَعَ لَيَالٍ أَوْ خَمْساً ثُمَّ إِنَّهُمُ اجْتَمَعُوْا فِي الْمَسْجِدِ وَتَشَاوَرُوْا .

تَشَاوَرُوْا وَ قَالُوْا : مَنْ يَّضَعُ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ فِيْ مَحَلِّهِ؟ ؟ كُلُّ قَبِيْلَةٍ حَرِيْصَةٌ عَلَىٰ أَنْ تَنَالَ هٰذَا الشَّرَفَ ، وَالْحَجَرُ وَاحِدٌ ، وَالْقَبَائِلُ كَثِيْرَةٌ.

إِذاً لاَبُدَّ مِنَ الْحَرْبِ وَالْحَرْبُ مَشْؤُوْمَةٌ جِداً .

قَالَ بَعْضُ النَّاسِ : لاَ بَأْسَ بِالْحَرْبِ فَالْمَوْتُ شَيْءٌ هَيِّنٌ لِلْعَرَبِ فِيْ سَبِيْلِ الْحَقِّ وَالشَّرَفِ .

قَالَ الْعُقَلاَءُ : نَعَمْ ! لاَ بَأْسَ بِالْحَرْبِ وَلٰكِنْ لاَ حَاجَةَ إِلَى الْحَرْبِ فِيْ هٰذَا الْوَقْتِ .

وَلٰكِن مَّا هُوَ الطَّرِيْقُ ؟ وَكَيفَ يُوْضَعُ الْحَجَرُ الأَسْوَدُ فِيْ مَحَلِّهِ بِغَيْرِ قِتَالٍ ؟

تَشَاوَرُوْا وَتَشَاوَرُوْا وَ تَشَاوَرُوْا كَثِيْراً وَّ وَجَدُوْا الطَّرِيْقَ .

قَالَ شَيْخٌ وَكَانَ أَكْبَرَهُمْ سِنّاً : أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هٰذَا الْمَسْجِدِ يَقْضِي بَيْنَكُمْ ، فَقَبِلُوْا وَرَضُوْا بِذٰلِكَ .

تَعْرِفُوْنَ مَنْ كَانَ أَوَّلَ دَاخِلٍ ؟ كَانَ أَوَّلَ دَاخِلٍ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوْا : هٰذَا الأَمِيْنُ رَضِيْنَا ، هٰذَا مُحَمَّدٌ!

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرُوْهُ الْخَبَرَ طَلَبَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ ثَوْباً فَأُتِيَ بِه ، فَأَخَذَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فَوَضَعَهُ فِيْهِ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ :

لِتَأْخُذْ كُلُّ قَبِيْلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِّنَ الثَّوْبِ ثُمَّ ارْفَعُوْهُ جَمِيْعاً ، فَفَعَلُوْا حَتَّى إِذَا بَلَغُوْا مَوْضِعَهُ وَضَعَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِيْ مَحَلِّهِ بِيَدِهِ، وَهٰكَذَا دَفَعَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ هٰذَا الشَّرَّ وَمَنَعَ الْحَرْبَ .

❖ الأسئلة :

(١) كم ليلة دام الخلاف في قريش ؟

(٢) ماذا قال العقلاء لحسم الخلاف ؟

(٣) من كان أول داخل على قريش ؟

(٤) كيف حلَّ رسول الله الخلاف بين قريش؟

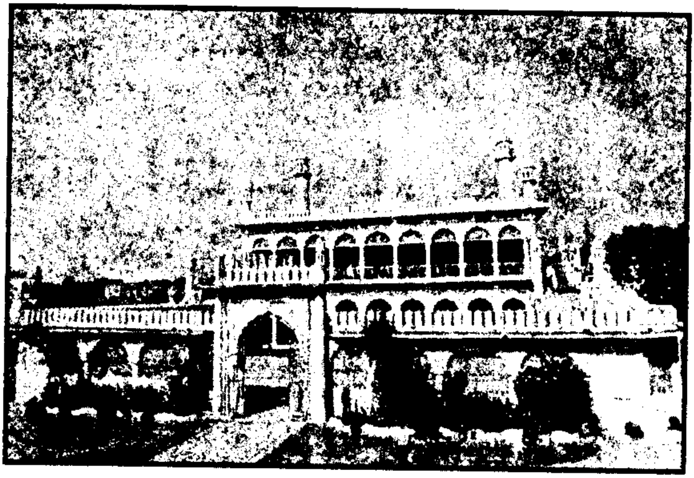
(٥) من أخذ الحجر الأسود، ووضعه في مكانه؟

❖ بين سبب تذكير العدد وتانيثه فيما يلي :

مكثت قريش اربع ليال أو خمساً ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد، بعد ثلاثة أيام و تشاوروا ست مرات في ستة اجتماعات .

(٣١)

يَــــومُ الْعِيــــدِ



كَانَ أَمْسِ يَوْمُ الْعِيْدِ ، إِجْتَمَعَ النَّاسُ وَالْأَطْفَالُ عِنْدَ الْغُرُوْبِ يَتَرَاءَوْنَ الْهِلَالَ ، و صَعِدُوْا عَلَى سُقُوْفِ الْبُيُوْتِ وَالسُّطُوْحِ وَعَلَى الْمَنَارَاتِ .

ظَهَرَ الْهِلَالُ فَهَتَفَ الْأَوْلَادُ :((اَلْهِلَالُ ، اَلْهِلَالُ)) وَجَرَوْا إِلَىٰ بُيُوْتِهِمْ وَسَلَّمُوْا عَلَىٰ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَعَلَى الْأَقَارِبِ ، فَدَعَوْا لَهُمْ بِالْبَرَكَةِ وَطُوْلِ الْعُمْرِ.

وَنَامَ الْأَطْفَالُ لَيْلَةَ الْعِيْدِ قَلِيْلاً ، وَاسْتَيْقَظُوْا مُبَكِّرِيْنَ وَقَدْ نَظَرُوْا إِلَىٰ مَلاَبِسِهِمْ وَأَحْذِيَتِهِمْ وَ قَلاَنِسِهِمْ مِرَارا ً عَدِيْدَةً .

وَلَمَّا كَانَ صَبَاحُ الْعِيْدِ قَامُوْا مِنْ فُرُشِهِمْ وَصَلَّوُا الصُّبْحَ وَاغْتَسَلُوْا وَغَيَّرُوْا مَلاَبِسَهُمْ ، وَلَبِسَ كَثِيْرٌ مِّنْهُمْ مَلاَبِسَ جَدِيْدَةً وَأَحْذِيَةً جَدِيْدَةً وَ قَلاَنِسَ جَمِيْلَةً ، وَرَاَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ فَفَرِحْنَ بِهِمْ ، وَقَدَّمَ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَأَقَارِبُهُمْ جَائِزَةَ الْعِيْدِ.

وَكَانَ وَلَدٌ يَّتِيْمٌ تَخْدِمُ أُمُّهُ فِيْ بَيْتِ سَعِيْدٍ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ لِبَاسٌ جَدِيْدٌ وَلاَ حِذَاءٌ جَدِيْدٌ وَلاَ قَلَنْسُوَةٌ نَظِيْفَةٌ ، فَاغْتَسَلَ وَلَبِسَ لِبَاسَهُ الْقَدِيْمَ وَقَدْ تَشَقَّقَ ، وَلَبِسَ قَلَنْسُوَتَه الْقَدِيْمَةَ وَقَدْ تَوَسَّخَتْ ، وَكَانَ يَنْظُرُ إِلَىٰ أَتْرَابِهِ وَ إِلَىٰ أَوْلاَدِ الْأَغْنِيَاء بِغِبْطَةٍ وَّخَجَلٍ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مَحْزُوْنَةً تَذْكُرُ أَبَاهُ .

حَزِنَ سَعِيْدٌ بِهٰذَا الْمَنْظَرِ وَاسْتَحْيَىٰ فِيْ نَفْسِهِ فَأَسْرَعَ إِلَىٰ صُنْدُوْقِهِ، وَأَهْدَىٰ إِلَيْهِ مَلْبُوْساً نَظِيْفاً وَّقَلَنْسُوَةً نَظِيْفَةً ، فَذَهَبَ الْيَتِيْمُ وَغَيَّرَ اللِّبَاسَ وَفَرِحَ كَثِيْراً وَفَرِحَتْ أُمُّهُ ، وَدَعَتْ لِسَعِيْدٍ بِالْبَرَكَةِ وَطُوْلِ الْعُمْرِ .

وَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ خَرَجَ النَّاسُ إِلَى الْمُصَلَّىٰ وَكَانَ مَنْظَراً جَمِيْلاً، يَقُوْلُوْنَ :((اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، وَلِلّٰهِ الْحَمْدُ))

وَصَلَّى الْإِمَامُ بِالنَّاسِ ، ثُمَّ خَطَبَ ، وَرَجَعَ النَّاسُ مِنْ الْمُصَلَّىٰ بِطَرِيْقٍ آخَرَ ، وَزَارَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَضَيَّفَ بَعْضُهُمْ أَصْدِقَاءَهُمْ ، وَهَنَّأَ كُلُّ مُسْلِمٍ صَدِيقَهُ وَقَالَ : ((عِيْدٌ سَعِيْدٌ)) كُلَّ عَامٍ وَ أَنْتُمْ بِخَيْرٍ .

وَكَانَ صَبَاحُ الْعِيْدِ جَمِيْلاً ، وَفِي الْعَصْرِ ذَكَرَ النَّاسُ رَمَضَانَ وَفُطُوْرَهُ ، وَفِي اللَّيْلِ ذَكَرُوْا التَّرَاوِيْحَ ، وَشَعَرُوْا كَأَنَّهُمْ فَقَدُوْا شَيْئاً أَوْ ضَاعَ مِنْهُمْ شَيْءٌ ، وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ :

((اَلْعِيْدُ سَاعَاتٌ وَ رَمَضَانُ كُلُّهُ عِيْدٌ)) .

❖ الأسئلة :

(١) لم اجتمع الناس والأطفال عند الغروب؟

(٢) بأي شيء دعا الآباء والأمهات لأولادهم ؟

(٣) ماذا فعل الأطفال صباح العيد ؟

(٤) ما موقف سعيد من الولد اليتيم ؟

(٥) ماذا قال الناس عند ما ذكروا رمضان والتراويح ؟

❖ حدد الصفة والموصوف في العبارات التالية :

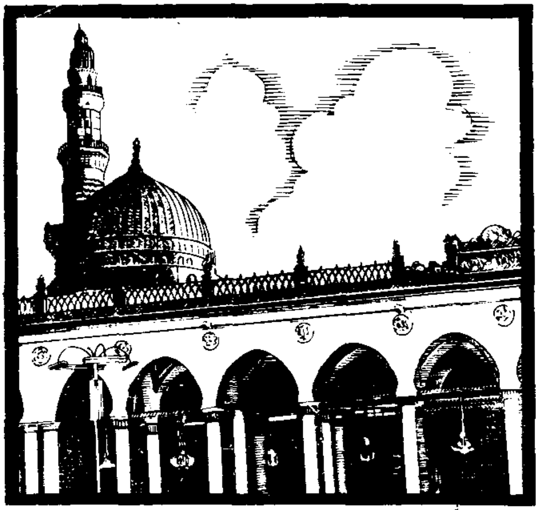
- لبس كثير من الأطفال ملابس جديدة ، وأحذية متينة ،وقلا نس جميلة .

لم يكن عند اليتيم لباس جديد ، ولا حذاء جديد ، ولا قلنسوة نظيفة .

- شعروا كأنهم فقدوا شيئا جميلا ، أو ضاع منهم شيء عزيز .

بسم الله الرحمن الرحيم

شهامة اليتيم ①



تَرَوْنَ أَمَامَكُمْ صُوْرَةَ مَسْجِدٍ ، هٰذَا مَسْجِد النبيِّ ﷺ فِي الْمَدِيْنَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، هَلْ تَعْرِفُوْنَ مِنْ خَبَرِ هٰـذَا الْمَسْجِدِ شَيْئاً ؟ إِنَّ لَهُ تَارِيْخاً يَغْتَبِطُ بِهِ كُلُّ طِفْلٍ مُّسْلِم .

لَمَّا دَعَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى اللهِ فِي مَكَّةَ، وَ نَادىٰ فِي النَّاسِ «لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَّسُوْلُ اللهِ» غَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَّكَانَتْ تَعْبُدُ الْأَصْنَامَ،وَكَانَتْ فِي الْكَعْبَةِ

الَّتِي بنَاهَا إِبْرَاهِيمُ وَ إِسْمَاعِيلُ «عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ» لِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ: كَانَ فِي تِلْكَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَّسِتُّوْنَ صَنَماً، فَاشْتَعَلَتْ قُرَيْشٌ غَضَباً وَّآذَوْا رَسُوْلَ اللهِ ﷺ وَعَذَّبُوا الْمُسْلِمِيْنَ، فَصَبَرَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَصَبَرَ الْمُسْلِمُوْنَ وَ ثَبَتُوْا لَهُمْ كَالْجِبَالِ.

وَ لٰكِنَّ قُرَيْشاً كَانُوْا يَمْنَعُوْنَ النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَيَحُوْلُوْنَ بَيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ وَعِبَادَةِ اللهِ، فَأَذِنَ اللهُ لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ بِالْهِجْرَةِ، فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِيْنَةِ وَهَاجَرَ الْمُسْلِمُوْنَ، وَ كَانَتِ الْمَدِيْنَةُ أَرْضاً طَيِّبَةً لِّلْإِسْلَامِ، فِيْ أَهْلِهَا لِيْنٌ وَّ رِقَّةٌ، قَدْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ كَثِيْرٌ قَبْلَ الْهِجْرَةِ.

وَلَمَّا انْتَقَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَّكَّةَ إِلَى الْمَدِيْنَةِ وَ سَكَنَ هُنَالِكَ أَحَبَّ أَنْ يَّبْنِيَ مَسْجِداً، لِأَنَّ الْمَسْجِدَ لَازِمٌ لِّلْمُسْلِمِيْنَ، وَ هُوَ قُطْبٌ يَّدُوْرُ حَوْلَهُ رَحَى الْحَيَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ نَازِلًا فِيْ بَيْتِ أَبِيْ أَيُّوْبَ الْأَنْصَارِيِّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) وَ كَانَ ضَيْفاً عَلَيْهِ، وَكَانَ قَرِيْباً مِّنْ بَيْتِهِ مِرْبَدٌ، فَأَرَادَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ أَنْ يَّبْنِيَ

الْمَسْجِدَ فِيْ ذٰلِكَ الْمَكَانِ ، قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ: لِمَنْ هٰذَا الْمِرْبَدُ ؟

قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ اسْمُهٗ مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ : هُوَ يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ! لِيَتِيْمَيْنِ ، اسْمُ أَحَدِهِمَا سَهْلٌ وَّاسْمُ الثَّانِيْ سُهَيْلٌ .

طَلَبَ رَسُوْلُ ﷺ سَهْلًا وَّ سُهَيْلًا ، وَهُمَا وَلَدَانِ يَتِيْمَانِ ، فَلَمَّا حَضَرَا ، كَلَّمَهُمَا رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ فِيْ أَمْرِ الْمِرْبَدِ وَ ثَمَنِهٖ .

قَالَ سَهْلٌ وَسُهَيْلٌ : هُوَ يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ! لِلّٰهِ، لَا نَشْتَرِيْ بِهٖ ثَمَنًا ، فَابْنِ الْمَسْجِدَ ، وَقَدْ طَابَتْ بِهٖ أَنْفُسُنَا، وَلٰكِنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ أَبٰى وَاشْتَرٰى مِنْهُمَا الْمَكَانَ ، وَدَفَعَ الثَّمَنَ .

وَ بَنَى الْمُسْلِمُوْنَ الْمَسْجِدَ ، وَرَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يَعْمَلُ بِيَدِهٖ وَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ ، فَقَالَ قَائِلٌ مِّنَ الْمُسْلِمِيْنَ :

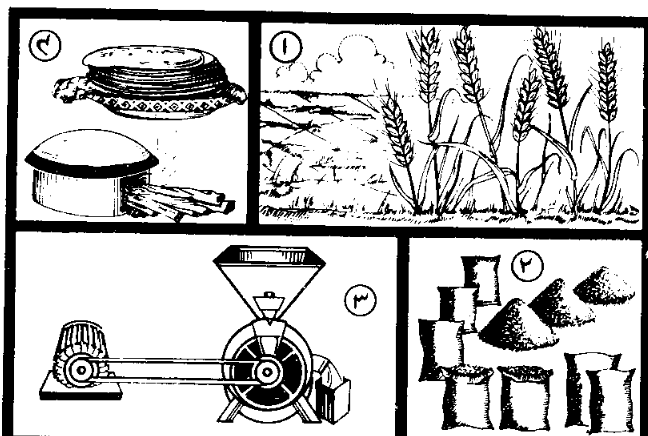
لَئِنْ قَعَدْنَا وَ النَّبِيُّ يَعْمَلُ
لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمُضَلَّلُ

وَكَانَ الْمُسْلِمُوْنَ يَبْنُوْنَهٗ وَيَقُوْلُوْنَ :

أَللّٰهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

وَ قَدْ زَادَ فِي هٰذَا الْمَسْجِدِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) وَالْمُلُوكُ بَعْدَهُ، حَتَّى تَرَوْنَهُ فِي هٰذَا الشَّكْلِ.

⓶ كِسْرَةٌ مِّنَ الْخُبْزِ



مَرَّةً أَخَذْتُ كِسْرَةً مِّنَ الْخُبْزِ لِآكُلَهَا فَقَالَتْ مَهْلًا يَا سَيِّدِي! إِنَّكَ غَيْرُ جَائِعٍ، وَّ قَدْ أَكَلْتَ أَخَوَاتِي، أَفَلَا تُحِبُّ أَنْ أَقُصَّ عَلَيْكَ قِصَّتِي، فَإِنَّهَا غَرِيبَةٌ وَّإِنَّهَا لَذِيذَةٌ قُلْتُ. بَلَى! أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ قِصَّتَكِ، فَلَا آكُلُكِ حَتَّى

أَسْمَعَ مِنْكِ .

قَالَتْ : هَلْ تَظُنُّ يَا سَيِّدِي أَنِّي خُلِقْتُ هٰكَذَا ؟ هَلْ سَمِعْتَ أَنَّ الْخُبْزَ يَنْبُتُ فِي الْحَقْلِ أَوْ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ؟ إِنَّكَ تَأْكُلُ مُسْتَرِيحاً يَأْتِيكَ رِزْقُكَ رَغَداً ، وَلٰكِنِّي لَمْ أَزَلْ أَتَحَمَّلُ الْمَشَاقَّ لِأَجْلِكَ، وَأَخْرُجُ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَىٰ مُصِيبَةٍ وَّ مِنْ مَّحْبِسٍ إِلَىٰ مَحْبِسٍ حَتَّىٰ وَصَلْتُ إِلَىٰ يَدِكَ .

كَانَ مِنْ خَبَرِي أَنِّي كُنْتُ حَبَّةَ حِنْطَةٍ مَّعَ شَقِيقَاتِي فِي غِرَارَةٍ، فَجَاءَ إِلَيْنَا رَجُلٌ ، فَأَخَذَنِي مَعَ رَفِيقَاتِي ، فَبَذَرَنَا فِي التُّرَابِ .

هُنَالِكَ فِي الْحَقْلِ أَبْصَرْتُ الدُّنْيَا وَأَصَابَتْنِي الشَّمْسُ ، وَكُنْتُ مَسْرُورَةً جِدًّا ، وَلٰكِنْ نَزَلَ الْمَطَرُ ، وَدَخَلْتُ إِلَىٰ بَاطِنِ التُّرْبَةِ ، وَبَقِيتُ مَدْفُونَةً أَيَّاماً ، وَّأَخَذَ جِسْمِي يَكْبُرُ وَ جِلْدِي يَضِيقُ عَلَيَّ ، حَتَّى انْشَقَّ جِلْدِي ، وَخَرَجَ مِنْهُ جُذَيْرَاتٌ كَالشَّعْرِ ، ثُمَّ خَرَجَتْ وُرَيْقَاتٌ شَقَّتِ التُّرْبَةَ ، وَ ظَهَرَتْ فَوْقَ الْأَرْضِ ، فَكُنْتُ يَا سَيِّدِي! سُنْبُلَةً قَائِمَةً عَلَىٰ سَاقٍ .

ثُمَّ أَصْبَحْتُ سُنْبُلَةً صَفْرَاءَ فِي حَرَارَةِ الشَّمْسِ،

وَ كُنْتُ أَرَى صَدِيقَاتِي وَ كُنَّا نَتَحَدَّثُ وَ نَهْتَزُّ طَرَباً، وَّ كَانَتْ أَيَّاماً جَمِيلَةً.

وَ مَا طَالَتْ تِلْكَ الْمُدَّةُ فَقَدْ جَاءَ رِجَالٌ يَحْمِلُوْنَ الْمَنَاجِلَ، فَحَصَدُوْا وَ حَمَلُوْا، وَ انْتَقَلْتُ إِلَى بَيْدَرٍ، وَ مَكَثْتُ أَيَّاماً.

وَ كَانَ مِنْ أَشَدِّ الْأَيَّامِ فَقَدْ جَاءَ ثِيْرَانٌ فَدَاسَتْنَا بِأَقْدَامِهَا، وَ فَارَقْتُ السُّنْبُلَةَ، وَ كُنْتُ طَرِيحاً ذَلِيلاً.

ثُمَّ أَخَذَنَا رِجَالٌ وَّذَرَوْنَا فِي الرِّيْحِ، فَطَارَ الْقِشْرُ وَ بَقِيَ الْقَمْحُ.

وَ كَانَ أَشَدَّ مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ: أَنَّ رَجُلاً حَمَلَنِيْ إِلَى شَيْءٍ مُّدَوَّرٍ مِّنَ الْحَجَرِ، فِيْهِ ثَقْبٌ، وَ كُنْتُ أَسْمَعُ لَهُ صَوْتاً شَدِيْداً كَرِيْهاً وَّ جَعْجَعَةً، فَأَلْقَانِيْ فِيْهِ فَطَحَنَنِيْ طَحْناً، هَلْ تَعْرِفُ اسْمَهُ يَا سَيِّدِي؟.. ذٰلِكَ هُوَ الطَّاحُوْنُ أَوِ الرَّحَىٰ.

فَلَمَّا صِرْتُ دَقِيْقاً أَخَذَنِي الْخَبَّازُ وَ وَضَعَنِيْ فِيْ مِعْجَنَةٍ، وَ غَمَرَنِيْ بِالْمَاءِ النَّقِيِّ، وَ غَمَزَنِيْ، حَتَّىٰ صِرْتُ عَجِيْناً، فَصَنَعَ مِنِّيْ كُرَةً.

هُنَالِكَ جَاءَتِ الْمُصِيبَةُ، فَقَدْ دَحَانِيْ عَلىٰ حَدِيْدٍ

مُحَمَّى تُسَمُّونَهُ الطَّابَقَ ، لَا تَسْأَلْ يَا سَيِّدِى! عَنْ أَلَمِي وَاحْتِرَاقِي فَقَدِ الْتَوَيْتُ وَ انْكَمَشْتُ ، وَلٰكِنَّ الْخَبَّازَ لَمْ يَرْحَمْنِى وَ لَمْ يَرِقَّ لِي ، حَتَّى كُنْتُ رِقَاقاً .

كُلُّ ذٰلِكَ فِى سَبِيلِكَ يَا سَيِّدِى ، كُنْتُ أَشْقَى لِنَعِيمِكَ وَأَتْعَبُ لِلَذَّتِكَ ، وَأَنْتَقِلُ مِنْ طَوْرٍ إِلٰى طَوْرٍ ، لِتَأْكُلَ هَنِيئاً وَّ تَشْبَعَ ، أَفَلَا يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَقُولَ :

« أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى أَطْعَمَنِى وَ سَقَانِى وَ جَعَلَنِى مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ » .

③ عِيَادَةُ الْمَرِيْضِ

ذَهَبَ حَامِدٌ إِلَى الْمَدْرَسَةِ يَوْمَ السَّبْتِ فَوَجَدَ أَنَّ صَدِيْقَهُ حُسَيْنًا مَا حَضَرَ فِى الْمَدْرَسَةِ ، فَسَأَلَ أَخَاهُ عَلِيّاً عَنِ السَّبَبِ، فَقَالَ: إِنَّهُ مَحْمُوْمٌ مِّنْ يَّوْمِ الْخَمِيْسِ، فَعَزَمَ حَامِدٌ عَلَى أَنْ يَعُوْدَهُ فِى الرُّجُوْعِ مِنَ الْمَدْرَسَةِ .

ذَهَبَ حَامِدٌ إِلَى بَيْتِ حُسَيْنٍ فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ ، فَخَرَجَ أَبُوْحُسَيْنٍ ، قَالَ حَامِدٌ : إِنِّى أُرِيْدُ أَنْ أَعُوْدَ صَدِيْقِى حُسَيْناً فَقَدْ أَخْبَرَنِى عَلِىٌّ أَنَّهُ مَرِيْضٌ ، قَالَ أَبُوْهُ : نَعَمْ!

إِنَّهُ أَصَابَتْهُ الْحُمَّى يَوْمَ الْخَمِيسِ ، وَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَعُودَهُ .

صَعِدَ حَامِدٌ إِلَى السَّطْحِ ، وَدَخَلَ غُرْفَةَ حُسَيْنٍ ، فَرَأَى حُسَيْناً مُضْطَجِعاً ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِلُطْفٍ وَدَنَا مِنْهُ ، وَ قَالَ لَهُ : كَيْفَ حَالُكَ يَا أَخِي ! عَافَاكَ اللهُ .

قَالَ حُسَيْنٌ : قَدْ أَصَابَتْنِي الْحُمَّى يَوْمَ الْخَمِيسِ ، وَكَانَتْ شَدِيدَةً يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَخَفَّتْ فِي اللَّيْلِ ، وَ لٰكِنِّي أَشْكُو الصُّدَاعَ وَ الدُّوَارَ ، وَ قَدْ ضَعُفْتُ كَثِيراً ، كَأَنِّي مَرِيضٌ مُنْذُ أَيَّامٍ ، وَ لَا أَشْتَهِي الطَّعَامَ .

قَالَ حَامِدٌ : لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَهَلْ عَادَكَ طَبِيبٌ ؟

قَالَ حُسَيْنٌ : نَعَمْ ! قَدْ عَادَنِي طَبِيبٌ أَمْسِ ، وَمَوْعِدُهُ الْآنَ

وَ لَمْ يَجْلِسْ حَامِدٌ إِلَّا قَلِيلاً ، حَتَّى حَضَرَ الطَّبِيبُ فَجَسَّ يَدَ حُسَيْنٍ ، وَ قَاسَ الْحَرَارَةَ ، وَ امْتَحَنَ الصَّدْرَ بِالْمِسْمَعَةِ ، وَأَبْدَى الْاِرْتِيَاحَ ، وَغَيَّرَ فِي الْوَصْفَةِ قَلِيلاً ، وَ قَالَ : إِنَّهُ بَارِئٌ بِحَمْدِ اللهِ ، وَ أَوْصَى أَبَاهُ بِأَنْ يَحْمِيَ حُسَيْناً الْمَاءَ الْبَارِدَ وَ الزَّيْتَ وَ الْخُرُوجَ فِي

الْهَوَاءِ وَ التَّعَبِ ، و يَسْقِيهُ اللَّبَنَ وَ مَاءَ الشَّعِيرِ وَ مَاءَ الْفَوَاكِهِ .

وَ جَلَسَ حَامِدٌ قَلِيلاً ، وَ قَالَ : إِنَّ الْعَائِدَ إِذَا طَالَ الجُلُوسَ عِنْدَ الْمَرِيضِ ، شَقَّ عَلَيْهِ وَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، فَأَسْتَأْذِنُ وَأَنْصَرِفُ ، وأَعُودُ إِنْ شَاءَ اللهُ غَدًا .

٤ ألْكِيمِيَاءُ

كَانَ الْأَوْلَادُ يَتَحَدَّثُونَ فِي اللَّيْلِ وَ يَتَسَامَرُونَ ، وَ كَانَ أَكْثَرُ حَدِيثِهِمْ عَنِ الْكِيمِيَاءِ ، وَ كَانَ إِسْمَاعِيلُ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَنَّ شَيْخاً يُحَوِّلُ التُّرَابَ ذَهباً ، وَ يَجْعَلُ نُقُودَ النِّيكَلِ وَ الرَّصَاصِ دَنَانِيرَ ذَهَبِيَّةً وَ جُنَيْهَاتٍ .

وَ صَدَّقَهُ مَحْمُودٌ ، وَ قَالَ : نَعَمْ إِنَّهُ فَنٌّ ، كَانَ النَّاسُ يَعْرِفُونَهُ ، وَ لٰكِنِ انْقَرَضَ عُلَمَاءُ هٰذَا الْفَنِّ وَطُوِيَ ذٰلِكَ الْبِسَاطُ .

فَتَأَسَّفَ الْأَوْلَادُ كَثِيراً ، وَ حَزِنُوا ، وَقَالُوا : لَوْ وَجَدْنَا أَحداً يَعْرِفُ هٰذِهِ الصِّنَاعَةَ ، لَتَعَلَّمْنَاهَا مِنْـهُ ، وَ صِرْنَا أَغْنِيَاءَ بِدُونِ تَعَبٍ وَ مَشَقَّةٍ .

وَ كَانَ أَبُوهُ بِمَسْمَعٍ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : لاَ تَتَأَسَّفُوا يَا أَوْلاَدِي ! فَإِنِّي أَعْرِفُ الْكِيمِيَاءَ ، و أَنْتُمْ أَعَزُّ النَّاسِ عِنْدِي ، فَأَنَا أُعَلِّمُكُمْ غداً ، وَأُخْبِرُكُمْ بِصِنَاعَةِ الْكِيمِيَاءِ.

فَرِحَ الْأَوْلَادُ كَثِيراً ، وَ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَ شَقَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْتَظِرُوا إِلَى الصَّبَاحِ ، فَاستَطَالُوا اللَّيْلَ ، وَ لٰكِنَّ وَالِدَهُمْ قَالَ لَهُمْ : « لاَ يُمْكِنُ تَعْلِيمُ الْكِيمِيَاءِ إلاَّ فِي النَّهَارِ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ فَنٌّ دَقِيقٌ .

نَامَ الْأَوْلَادُ وَ انْتَبَهُوا مُبَكِّرِينَ ، وَ لَمْ يَزَلْ إِسْمَاعِيلُ وَ مَحْمُودٌ يَرَيَانِ الْكِيمِيَاءَ فِي الْمَنَامِ ، رَأَى هَاشِمٌ أَنَّهُ فِي قَصْرٍ شَامِخٍ ، وَّ لِبَاسٍ فَاخِرٍ ، وَ قَدْ بَنَى الْقَصْرَ ، وَصَنَعَ اللِّبَاسَ بِالْمَالِ الَّذِي حَصَلَ لَهُ بِالْكِيمِيَاءِ.

فَصَلَّوُا الصُّبْحَ ، وَ جَلَسُوا حَوْلَ أَبِيهِمْ يَنْتَظِرُونَ فَرَاغَهُ مِنْ تِلاَوَةِ الْقُرْآنِ ، وَأَتَمَّ أَبُوهُمْ حِزْبَهُ ، وَقَالَ : هَلُمُّوا يَا أَبْنَائِي ! فَخَرَجُوا مَعَهُ ، وَ قَدْ أَعْجَلَهُمُ الاِشْتِيَاقُ إِلَى الْكِيمِيَاءِ مِنْ أَنْ يُفْطِرُوا .

لَمْ يَزَلْ أَبُوهُمْ يَسِيرُ بِهِمْ طَرِيقاً بَعْدَ طَرِيقٍ ، حَتَّى وَقَفَ بِهِمْ عَلَى حَقْلٍ يَحْرُثُهُ الْفَلاَّحُ ، وَ فِي يَدِهِ السِّكَّةُ

فقال الْوَالِدُ: اَلْكِيْمِيَاءُ يَا أَوْلَادِيْ! تَحْتَ سِكَّةِ الْمِحْرَاثِ.

فَتَعَجَّبَ الْأَوْلَادُ، فَاسْتَفْسَرُوْا أَبَاهُمْ، فَقَالَ الْوَالِدُ: أَلَمْ أَسْمَعْكُمْ تَقُوْلُوْنَ: اَلْكِيْمِيَاءُ يُحَوِّلُ التُّرَابَ ذَهَباً؟ أَلَا يَتَحَوَّلُ هٰذَا التُّرَابُ ذَهَباً بَعْدَ أَيَّامٍ بَلْ أَغْلَىٰ مِنَ الذَّهَبِ؟ وَمَا يُغْنِي الذَّهَبُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ؟ فَبِهٰذِهِ الْبُذُوْرُ الَّتِيْ بَذَرَهَا الْفَلَّاحُ، وَ اجْتَهَدَ فِيْهَا أَيَّاماً سَتَأْتِيْ بِحَاصِلٍ كَبِيْرٍ، وَ سَيَرُدُّ اللهُ إِلَيْهِ بِهٰذَا الْعَمَلِ أَضْعَافَ مَا بَذَلَ.

ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ أَبُوْهُمْ عَلىٰ مَصْنَعٍ كَانَ النَّاسُ فِيْهِ عَاكِفِيْنَ عَلىٰ أَعْمَالِهِمْ، وَ الْعَرَقُ يَسِيْلُ مِنْ جِبَاهِهِمْ، وَصَنَعُوْا أَشْيَاءَ مُفِيْدَةً جِدًّا تُثْمِرُ لَهُمْ مَالاً كَثِيْرًا، وَتَقْضِيْ لِلنَّاسِ حَاجَاتٍ كَبِيْرَةً، فَقَالَ الْوَالِدُ: اَلْكِيْمِيَاءُ يَا أَوْلَادِيْ! عَرَقُ الْجَبِيْنِ، وَ كَدُّ الْيَمِيْنِ، ثُمَّ مَالَ بِهِمْ إِلَىٰ حَلْقَةِ مُعَلِّمٍ، وَ إِلَىٰ مَجْلِسِ وَاعِظٍ، وَ قَالَ: يَا أَوْلَادِيْ! اَلْإِنْسَانُ أَغْلىٰ شَيْءٍ فِي الْوُجُوْدِ، وَ تَثْقِيْفُهُ وَ إِصْلَاحُهُ أَفْضَلُ مِنْ تَحْوِيْلِ التُّرَابِ ذَهَباً.

فَإِذَا تَعَلَّمَ هٰؤُلَاءِ الْأَوْلَادُ، وَ إِذَا اهْتَدَىٰ هٰؤُلَاءِ

النَّاسُ ، كَانَ لِلْمُعَلِّمِ وَالْوَاعِظِ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، لَهُ أَجْرُ كُلِّ مَا يَعْمَلُ هٰؤُلَاءِ مِنْ خَيْرٍ وَّ بِرٍّ ، وَ لِذٰلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ :

«يَا عَلِيُّ ! لَأَنْ يَّهْدِيَ اللّٰهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَّكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» .

فَاقْتَنَعَ الْأَوْلَادُ ، وَ شَكَرُوْا أَبَاهُمْ ، وَ رَجَعُوْا ، وَ قَدْ تَعَلَّمُوا الْكِيْمِيَاءَ .

⑤ يَوْمٌ صَائِفٌ

مَا أَشَدَّ الْحَرَّ! يَا لَطِيْفُ ! اَلنَّاسُ فِيْ بُيُوْتِهِمْ لَا يَخْرُجُوْنَ خَوْفَ السَّمُوْمِ ، وَ قَدِ اتَّخَذُوْا سُتُوْرًا مِّنَ الْحَشِيْشِ يَرُشُّوْنَ عَلَيْهَا الْمَاءَ ، وَ يُحَرِّكُوْنَ الْمَرَاوِحَ ، وَ قَدْ سَدُّوا النَّوَافِذَ ، لِئَلَّا تَدْخُلَ مِنْهَا السَّمُوْمُ ، وَمَعَ ذٰلِكَ يَتَقَلَّبُوْنَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ ، هٰذَا ، وَ أَهْلُ الْأَكْوَاخِ الْحَقِيْرَةِ وَ الْخُصَصِ وَالْبُيُوْتِ الْمَبْنِيَّةِ مِنَ اللَّبِنِ أَنْعَمُ فِي الصَّيْفِ مِنْ أَهْلِ الْقُصُوْرِ الْمَبْنِيَّةِ مِنَ الْجِصِّ وَ الْآجُرِّ ، فَإِذَا رَشُّوا الْمَاءَ عَلَى الْأَرْضِ وَ الْجُدْرَانِ ، وَ هَبَّتْ نَفْحَةٌ مِّنْ سَمُوْمٍ تَحَوَّلَتْ نَفْحَةً مِّنْ نَّسِيْمٍ ، وَّ حَسِبُوْا أَنَّهُمْ فِيْ

جَنَّةٍ وَّ نَعِيْمٍ .

إِرْتَفَعَتْ دَرَجَةُ الْحَرَارَةِ إِلَى مِائَةٍ وَّ ثَمَانِيَ عَشَرَةَ نُقْطَةً ، فَعِيْلَ صَبْرُ النَّاسِ ، وَ سَافَرَ الْأَغْنِيَاءُ إِلَى قُلَلِ الْجِبَالِ حَيْثُ يَصْطَافُوْنَ وَ يَقْضُوْنَ شَهْرَيْ مَايُوْ وَ يُوْنِيَهْ حَتَّى إِذَا نَزَلَتِ الْأَمْطَارُ ، وَ لَطُفَ الْحَرُّ هَبَطُوْا إِلَى الْمُدُنِ وَ السُّهُوْلِ .

وَ بَقِيَ أَوْسَاطُ النَّاسِ ، وَ أَهْلُ الْأَشْغَالِ يَتَحَمَّلُوْنَ الْحَرَّ ، وَ يَصْبِرُوْنَ لِلسَّمُوْمِ .

أَلْآنَ رَكَدَتِ السَّمُوْمُ ، وَ مَالَتِ الشَّمْسُ ، وَ طَابَ الْخُرُوْجُ ، وَ انْتَشَرَ النَّاسُ فِي الْبَسَاتِيْنِ وَ الْمَيَادِيْنِ وَ شَوَاطِئِ الْأَنْهَارِ يَتَرَوَّحُوْنَ وَيَتَنَزَّهُوْنَ ، فَلَا تَجِدُ فِي الْبَيْتِ إِلَّا شَيْخًا هَرِماً أَوِ امْرَأَةً أَوْ عَاجِزًا ، وَ مَنْ حَبَسَهُ شُغْلٌ أَوْ مَرَضٌ أَوْ حَاجَةٌ ، وَ قَدْ تَسْتَمِرُّ السَّمُوْمُ إِلَى اللَّيْلِ ، فَلَا يَسْتَرِيْحُ النَّاسُ وَ يَتَقَلَّبُوْنَ عَلَى الْفِرَاشِ ، وَقَدْ يَحْتَبِسُ الْهَوَاءُ ، فَيَسِيْلُ الْعَرَقُ ، وَ تَتَحَرَّكُ الْمَرَاوِحُ ، وَ يَطِيْرُ النَّوْمُ .

٦ أَلنَّظَافَةُ

طَاهِرُ ابْنُ فَلَّاحٍ ، يَسْكُنُ أَبُوْهُ فِي الْقَرْيَةِ ، وَ يُرْسِلُ إِلَىٰ طَاهِرٍ قَلِيْلاً مِّنَ النُّقُوْدِ كُلَّ شَهْرٍ .

وَلٰكِنَّ طَاهِراً وَّلَدٌ مُّدَبِّرٌ عَاقِلٌ ، ثِيَابُهُ مُتَوَاضِعَةٌ ، وَ لٰكِنَّهَا دَائِماً نَظِيْفَةٌ مُّرَتَّبَةٌ لَّا تَرَى فِيْهَا وَسَخاً ، يَغْسِلُهَا بِيَدِهٖ كُلَّ جُمُعَةٍ ، وَعِنْدَهُ إِبْرَةٌ وَّخَيْطٌ ، فَإِذَا تَخَرَّقَ ثَوْبٌ خَاطَهُ بِالْإِبْرَةِ أَوْ رَقَعَهُ بِنَفْسِهٖ .

وَلَا يَخْجَلُ إِذَا خَرَجَ فِيْ ثَوْبٍ مَّرْقُوْعٍ ، وَلٰكِنَّهُ يَخْجَلُ إِذَا خَرَجَ فِيْ ثَوْبٍ وَّسِخٍ ، وَ مَا رَآهُ أَصْدِقَاؤُهُ فِيْ ثِيَابٍ وَّسِخَةٍ أَبَداً ، فَيَحْسَبُوْنَ أَنَّهُ غَنِيٌّ ، عِنْدَهُ ثِيَابٌ كَثِيْرَةٌ ، وَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا أَرْبَعَ بِذْلَاتٍ .

وَ إِذَا دَخَلْتَ فِيْ حُجْرَتِهٖ رَأَيْتَهَا نَظِيْفَةً مُّنْتَظِمَةً ، وَ رَأَيْتَ كُلَّ شَيْءٍ فِيْ مَحَلِّهٖ ، فَلَا يَضِيْعُ وَقْتُهُ فِيْ تَفَقُّدِ الْأَشْيَاءِ وَ الْتِمَاسِهَا ، وَإِذَا دَخَلَ فِي الظَّلَامِ قَدَرَ عَلَىٰ أَنْ يَّأْخُذَ مَا يُرِيْدُهُ لِأَنَّهُ فِيْ مَحَلِّهٖ .

وَ كُتُبُهُ فِيْ نِظَامٍ دَائِماً ، وَ هِيَ نَظِيْفَةٌ لَّا تَرَىٰ عَلَيْهَا غُبَارًا وَّ لَا تُرَاباً ، وَ لَا تَرَىٰ فِيْهَا أَثَرَ دُهْنٍ

وَمِسْحَةَ يَدٍ ، وَلاَ كِتَابَةً وَتَمْرِيناً ، كَأَنَّهُ اشْتَرَاهَا الْيَوْمَ ، وَ لاَ يَكْتُبُ اسْمَهُ إِلاَّ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ بِخَطٍّ جَيِّدٍ .

وَ إِذَا قَامَ طَاهِرٌ فِي الصَّبَاحِ تَوَضَّأَ لِصَلاَةِ الصُّبْحِ وَ اسْتَاكَ ، وَ نَظَّفَ أَسْنَانَهُ .

وَ يَغْتَسِلُ طَاهِرٌ كُلَّ يَوْمٍ فِي الصَّيْفِ ، وَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فِي أُسْبُوعٍ فِي الشِّتَاءِ ، لِذٰلِكَ تَرَاهُ يَمْرَضُ قَلِيلاً ، وَ هُوَ قَوِيٌّ نَشِيطٌ .

وَ فِي فَصْلِ طَاهِرٍ وَلَدٌ غَنِيٌّ اسْمُهُ شَاهِدٌ ، وَ هُوَ ضِدُّ طَاهِرٍ فِي النَّظَافَةِ وَ النِّظَامِ ، فَثِيَابُهُ غَالِيَةٌ جَمِيلَةٌ وَ لٰكِنَّهَا فِي الْغَالِبِ وَسِخَةٌ دَنِسَةٌ ، وَ هُوَ يُغَيِّرُ مَلاَبِسَهُ سَرِيعاً ، وَ لٰكِنَّهُ يُوَسِّخُهَا سَرِيعاً

وَ كَذٰلِكَ كُتُبُهُ دَائِماً جِلْدُهَا مَشْقُوقٌ ، وَ وَرَقُهَا مَخْرُوقٌ ، كَأَنَّ طِفْلاً عَبَثَ بِهَا أَوْ مَشَتْ عَلَيْهَا سِكَّةُ الْفَلاَّحِ أَوْ دَاسَتْهَا مَرْكَبَةٌ .

وَ كُتُبُهُ وَ دَفَاتِرُهُ مَعْرِضٌ ، أَوْ مَتْحَفٌ ، تَرَى فِيهَا رُسُوماً وَ صُوَراً ، وَ تَوْقِيعَاتٍ وَتَمْرِينَاتٍ ، وَ أَشْكَالاً رِيَاضِيَّةً وَ خَرَائِطَ جُغْرَافِيَّةً .

وَ إِذَا قُلْتَ لِشَاهِدٍ : لِمَاذَا لَا تُحَافِظُ عَلَى النَّظَافَةِ وَالنِّظَامِ ؟ قَالَ: إِنَّهُ يَضِيعُ فِيْ ذٰلِكَ وَقْتٌ كَثِيْرٌ، وَالْوَقْتُ شَيْءٌ غَالٍ !

وَ تَرَاهُ يُضَيِّعُ وَقْتاً طَوِيْلاً فِيْ تَفَقُّدِ الْأَشْيَاءِ ، وَ تَغْيِيْرِ الْمَلَابِسِ بِسُرْعَةٍ ، وَ لَا يَفْطَنُ لِذٰلِكَ .

⑦ اَلْحَنِيْنُ إِلَى الشَّهَادَةِ

١

لَمَّا أَرَادَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ الْخُرُوْجَ إِلَى بَدْرٍ لِيُقَاتِلَ الْمُشْرِكِيْنَ وَ خَرَجَ غُلَامٌ اسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ أَبِيْ وَقَّاصٍ عُمُرُهُ سِتَّ عَشَرَةَ سَنَةً .

وَ كَانَ عُمَيْرٌ يَخَافُ أَنْ لَّا يَقْبَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، لِأَنَّهُ صَغِيْرٌ، فَكَانَ يَجْتَهِدُ أَنْ لَّا يَرَاهُ أَحَدٌ ، وَكَانَ يَتَوَارٰى .

وَ لٰكِنْ رَّآهُ أَخُوْهُ الْأَكْبَرُ سَعْدُ بْنُ أَبِيْ وَقَّاصٍ فَقَالَ لَهُ: مَالَكَ يَا أَخِيْ ؟ لِأَيِّ شَيْءٍ تَتَوَارٰى ؟ .

قَالَ عُمَيْرٌ : أَخَافُ أَنْ يَّرُدَّنِيْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ

فَإِنِّيْ صَغِيْرٌ ، وَ أَنَا أُحِبُّ الْخُرُوْجَ ، لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقُنِيَ الشَّهَادَةَ .

وَ كَانَ كَمَا خَافَ عُمَيْرٌ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ رَأَىٰ أَنَّهُ صَغِيْرٌ ، وَ الْحَرْبُ لَيْسَتْ مِنْ شُغْلِ الْأَطْفَالِ وَ الْغِلْمَانِ ، وَ مَا يَصْنَعُوْنَ فِي الْحَرْبِ ، وَإِنَّهَا لَكَبِيْرَةٌ عَلَى الرِّجَالِ ؟

وَ لٰكِنَّ عُمَيْرًا مَا أَحَبَّ أَنْ يَنْصَرِفَ ، وَ يَقْعُدَ فِي الْبَيْتِ ، أَوْ يَلْعَبَ مَعَ أَتْرَابِهِ ، و أَصْدِقَائِهِ فِي الْمَدِيْنَةِ ، وَ إِنَّهُ لَيُرِيْدُ الشَّهَادَةَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ !

وَ لٰكِنَّ عُمَيْرًا لَا يَعْصِيْ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ ، وَلَا يُعَانِدُ ، فَإِنَّهُ لَا يُرِيْدُ إِلَّا رِضَاءَ اللهِ ، وَهَلْ يَنَالُ رِضَاءَ اللهِ إِذَا عَصٰى رَسُوْلَ اللهِ ﷺ ؟ أَبَدًا !

كَانَ عُمَيْرٌ فِيْ حَيْرَةٍ وَّ حُزْنٍ شَدِيْدٍ ، هُوَ لَمْ يَبْلُغْ سِنَّ الْقِتَالِ ، وَ لٰكِنَّهُ يَحِنُّ إِلَى الشَّهَادَةِ ، وَ إِلَى الْمَوْتِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ ، وَ يَحِنُّ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَ يَرَاهَا غَيْرَ بَعِيْدَةٍ ، وَ لٰكِنْ كَيْفَ يَصِلُ إِلَيْهَا ، وَ هُوَ لَمْ يَبْلُغْ سِنَّ الْقِتَالِ ؟!

كُلُّ ذٰلِكَ ثَقُلَ عَلىٰ عُمَيْرٍ ، وَ كَانَ قَلْبُهُ صَغِيْرًا فَبَكىٰ ، وَ لَمَا بَكىٰ عُمَيْرٌ رَقَّ لَهُ قَلْبُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ ، وَ كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ رَقِيْقًا رَّفِيْقًا فَأَجَازَهُ .

لاَ تَسْأَلُوْا عَنْ فَرَحِ عُمَيْرٍ وَّ سُرُوْرِهِ لَمَّا أَجَازَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، فَكَأَنَّمَا نَالَ تَذْكِرَةَ الْجَنَّةِ .

وَ خَرَجَ عُمَيْرٌ مَّعَ أَخِيْهِ وَ مَعَ الْمُسْلِمِيْنَ ، وَ كُلُّهُمْ كِبَارٌ وَّ أَقْوِيَاءُ ، وَ كَانَ كَمَا أَرَادَ ، فَقَدْ قُتِلَ شَهِيْدًا فِى الْغَزْوَةِ ، وَسَبَقَ كَثِيْرًا مِّنَ الشُّبَّانِ وَالشُّيُوْخِ . رَضِىَ اللهُ عَنْ عُمَيْرٍ وَّ أَرْضَاهُ .

(٨) أَحَنِيْنٌ إِلَى الشَّهَادَةِ

وَ لَمَّا خَرَجَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ إِلىٰ أُحُدٍ لِّقِتَالِ قُرَيْشٍ خَرَجَ مَعَهُ مِنَ الْمَدِيْنَةِ غِلْمَانٌ يُّحِبُّوْنَ الْجِهَادَ فِىْ سَبِيْلِ اللهِ ، وَكَانُوْا صِغَارًا ، لَمْ يَتَجَاوَزُوا الْخَامِسَةَ عَشَرَةَ مِنْ عُمُرِهِمْ ، فَرَدَّهُمْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ ، لِأَنَّهُمْ صِغَارٌ ، لَمْ يَبْلُغُوْا سِنَّ الْقِتَالِ ، فَيَكُوْنُوْنَ كَالْمَتَاعِ ، وَ يَشْغَلُوْنَ

الْكِبَارَ أَيْضاً يُرَاقِبُوْنَهُمْ وَ يَحْرِسُوْنَهُمْ .

وَ كَانَ فِيْ هٰؤُلَاءِ الْغِلْمَانِ وَلَدٌ، اسْمُهُ رَافِعُ بْنُ خَدِيْجٍ ، وَ هُوَ دُوْنَ الْخَامِسَةَ عَشَرَةَ مِنْ سِنِّهِ ، وَكَانَ يَتَطَاوَلُ مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ ، لِيَظُنَّ النَّاسُ أَنَّهُ كَبِيْرٌ، قَدْ بَلَغَ سِنَّ الْقِتَالِ ، فَلَا يُفْطَنُ لِصِغَرِ سِنِّهِ وَ ضُعْفِهِ .

وَ لٰكِنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ رَدَّهُ ، لِأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّهُ صَغِيْرٌ، وَأَنَّهُ يَتَطَاوَلُ ، فَشَفَعَ لَهُ أَبُوْهُ ، وَ قَالَ : يَا رَسُوْلَ اللهِ! إِنَّ ابْنِيْ رَافِعًا رَامٍ، فَأَذِنَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ .

فَفَرِحَ رَافِعٌ كَثِيْراً لَمَّا أَذِنَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ ، وَ خَرَجَ مَعَ الْمُجَاهِدِيْنَ ، وَ هُوَ أَكْثَرُ سُرُوْرًا مِّنْ غِلْمَانٍ يَخْرُجُوْنَ إِلَى الْمُصَلَّىٰ يَوْمَ الْعِيْدِ فِيْ لِبَاسٍ جَدِيْدٍ .

وَ كَانَ وَلَدٌ آخَرُ اسْمُهُ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ فِيْ سِنِّ رَافِعٍ ، فَعُرِضَ عَلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ بَعْدَ رَافِعٍ فَرَدَّهُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ لِصِغَرِهِ أَيْضًا ، فَقَالَ سَمُرَةُ : لَقَدْ أَجَزْتَ رَافِعًا وَّ رَدَدْتَّنِيْ ، وَ لَوْ صَارَعْتُهُ لَصَرَعْتُهُ .

فَأَمَرَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ سَمُرَةَ وَ رَافِعًا بِالْمُصَارَعَةِ فَصَرَعَ سَمُرَةُ رَافِعًا كَمَا قَالَ ، وَ اسْتَحَقَّ أَنْ يُسْمَحَ لَهُ

بِالدُّخُوْلِ فِي صَفِّ الْمُجَاهِدِيْنَ .

فَأَجَازَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ سَمُرَةَ لِلْخُرُوْجِ ، فَخَرَجَ سَمُرَةُ ، وَ قَاتَلَ يَوْمَ أُحُدٍ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ .

رَضِيَ اللهُ عَنْ رَّافِعٍ وَّ سَمُرَةَ ، وَرَزَقَنَا اتِّبَاعَهُمَا .

⑨ كُنْ أَحَدَ السَّبْعَةِ

—(١)—

كَانَ الْيَوْمُ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ يُوْنِيُوْ يَوْمًا شَدِيْدَ الْحَرِّ ، وَ كَانَ يَوْمَ عُطْلَةٍ ، فَكَانَ مَحْمُوْدٌ وَّ أَحْمَدُ وَ عُثْمَانُ فِي الْبَيْتِ ، وَكَانُوْا مَعَ أَبِيْهِمْ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فِي النَّهَارِ ، وَكَانُوْا يَتَأَفَّفُوْنَ مِنَ الْحَرِّ ، وَ يَتَقَلَّبُوْنَ عَلَى الْفِرَاشِ كَأَنَّهُمْ عَلَى الْجَمْرِ

قَالَ مَحْمُوْدٌ : يَا لَطِيْفُ ! مَا أَشَدَّ الْحَرَّ ! .

قَالَ أَبُوْهُمْ سُلَيْمَانُ : أَتَعْرِفُ يَا مَحْمُوْدُ! كَمْ تَبْعُدُ الشَّمْسُ مِنَ الْأَرْضِ ؟

مَحْمُوْدٌ: لَا! يَا أَبِيْ ، وَ لٰكِنِّيْ أَعْرِفُ أَنَّهَا بَعِيْدَةٌ جِدًّا .

سُلَيْمَانُ : سَتَقْرَأُ فِي الْمَدْرَسَةِ أَنَّ الشَّمْسَ تَبْعُدُ مِنَ

الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعِيْنَ مَلْيُوْنًا مِّنَ الْأَمْيَالِ ، وَ الْحَرُّ كَمَا تَرَىٰ، فَكَيْفَ إِذَا دَنَتِ الشَّمْسُ حَتَّىٰ تَكُوْنَ مِقْدَارَ مِيْلٍ ؟ !

مَحْمُوْدٌ : أَلْعِيَاذُ بِاللهِ ! وَ مَتَىٰ هٰذَا يَا أَبِيْ ؟

سُلَيْمَانُ : ذٰلِكَ يَا بُنَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَقُوْمُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ .

أَحْمَدُ : وَ كَيْفَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا أَبَتِ ؟ .

سُلَيْمَانُ : يَكُوْنُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُوْنُ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَكُوْنُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُوْنُ إِلَى حَقْوَيْهِ ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا .

عُثْمَانُ : أَوَ لَيْسَ هُنَالِكَ ظِلٌّ أَوْ مَكَانٌ يَسْتَظِلُّ بِهِ النَّاسُ ؟

سُلَيْمَانُ : بَلَىٰ يَا وَلَدِيْ، فَهُنَالِكَ ظِلٌّ لَّا يَنْعَمُ بِهِ إِلَّا سَبْعَةٌ مِّنَ الرِّجَالِ .

أَلْأَوْلَادُ : وَ مَنْ أُولٰئِكَ السُّعَدَاءُ يَا أَبَانَا ؟ لَعَلَّنَا نَجْتَهِدُ أَنْ نَّكُوْنَ مِنْهُمْ .

سُلَيْمَانُ : يَا أَوْلَادِيْ! يَنْبَغِيْ لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَّجْتَهِدَ أَنْ يَّكُوْنَ أَحَدَ السَّبْعَةِ ، وَ أَنَا أَعُدُّ لَـكُمْ أُوْلٰئِكَ السَّبْعَةَ :

(١) إِمَامٌ عَادِلٌ .

وَ قَطَعَ عَلَيْهِ أَحَدُ الْأَوْلَادِ ، وَ قَالَ : وَ مَنْ هُوَ الْإِمَامُ ، أَهٰذَا الَّذِيْ يُصَلِّيْ بِالنَّاسِ ؟

سُلَيْمَانُ : هُوَ أَيْضًا عَلٰى خَيْرٍ، لٰكِنَّ الْمُرَادَ هُنَا أَمِيْرُ الْمُسْلِمِيْنَ .

وَ ابْتَدَرَ الْأَوْلَادُ ، وَ قَالُوْا : قَدْ فَهِمْنَا، هٰـذَا كَالْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ ، وَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيْزِ ، وَ قَدْ سَمِعْنَا كَثِيْرًا مِّنْ حِكَايَاتِهِمْ مِنْ أُمِّنَا .

⑩ كُنْ أَحَدَ السَّبْعَةِ

٢

قَالَ سُلَيْمَانُ : وَ الثَّانِيْ يَا أَوْلَادِيْ! شَابٌّ نَشَأَ فِيْ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالٰى .

هُنَالِكَ وَقَفَ الشَّيْخُ ، وَ قَالَ : يُمْكِنُ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْكُمْ يَا أَوْلَادِيْ! أَنْ يَكُوْنَ ذٰلِكَ الشَّبَابَ السَّعِيْدَ ،

وَ لٰكِنْ إِذَا ضَيَّعْتُمْ فُرْصَةَ الشَّبَابِ ، فَلَيْسَ لَكُمْ إِلاَّ الْحَسْرَةُ وَ النَّدَامَةُ .

(٣) رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ .

قَالَ الْأَوْلاَدُ : هُوَ كَالشَّيْخِ عَبْدِ الْغَنِيِّ فِي حَيِّنَا ، فانه لَا يَرْتَاحُ إِلاَّ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَ لاَ تَفُوتُهُ جَمَاعَةٌ ، وَ لاَ نَظُنُّهُ يَبِيتُ إِلاَّ فِي الْمَسْجِدِ .

قَالَ سُلَيْمَانُ : لاَ يَا أَوْلاَدِيْ! وَ لٰكِنَّهُ مُحَافِظٌ عَلَى الصَّلاَةِ وَ الْجَمَاعَةِ ، وَ قَدْ أَخْبَرَنِيْ أَنَّهُ مَا فَاتَتْهُ صَلاَةٌ فِي جَمَاعَةٍ مُنْذُ عَشْرِ سَنَوَاتٍ أَوْ أَكْثَرَ .

(٤) رَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ ، و تَفَرَّقَا عَلَيْهِ .

وَ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَرَوْهُمَا ، فَانْظُرُوْا إِلَى الشَّيْخِ صَالِحٍ وَ الشَّيْخِ حَمْزَةَ ، فَهٰذَا مِنَ الْهِنْدِ ، وَ ذٰلِكَ مِنْ بُخَارَا ، وَ هُمَا أَخَوَانِ فِي اللهِ .

وَ يُمْكِنُ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْكُمْ أَنْ يَنَالَ هٰذِهِ الْفَضِيْلَةَ ، وَ ذٰلِكَ بِأَنْ يَخْتَارَ مِنْ صَفِّهِ وَ رُفْقَتِهِ الصَّالِحَ مِنَ الْأَوْلاَدِ فَيُصَادِقَهُ وَ يَجْتَهِدُ أَنْ تَكُوْنَ صَدَاقَتُهُ لِلدِّيْنِ .

(٥) وَ رَجُلٌ اقْتَدَىٰ بِيُوسُفَ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ سَّلَامُ) فِي الْعِفَّةِ وَ الْأَمَانَةِ ، وَ قَدْ سَمِعْتُمْ قِصَّتَهُ.

قَالَ الْأَوْلَادُ : نَعَمْ !

(٦) وَ رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ .

وَ ذٰلِكَ مِثْلُ جَدِّكُمْ ، فَإِنَّا لَمْ نَعْرِفْ بِرَّهُ وَ إِحْسَانَهُ إِلَى الْمَسَاكِينِ وَالضَّعَفَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَقَدْ جَاءَتِ الْعَجَائِزُ وَ الْأَرَامِلُ يَبْكِينَهُ ، وَ يَذْكُرْنَ خَيْرَهُ وَ بِرَّهُ ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَشْرَافٌ مِّنْ أَهْلِ هٰذَا الْحَيِّ أَنَّهُ كَانَ يُوَاسِيهِمْ ، وَيَصِلُهُمْ بِمَعْرُوفٍ كُلَّ شَهْرٍ ، وَّ لَمْ نَعْلَمْ ذٰلِكَ أَهْلَ الْبَيْتِ .

(٧) وَ رَجُلٌ ذَكَرَ اللّٰهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ .

قَالَ الْأَوْلَادُ : أَمَّا نَحْنُ فَنَجْتَهِدُ جَمِيعاً أَنْ نَّكُونَ شُبَّانَاً نَّشَأُوْا فِيْ عِبَادَةِ اللّٰهِ تَعَالَىٰ ، وَنَجْتَهِدُ فِيْ غَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الْفَضَائِلِ أَيْضًا ، وَلَعَلَّنَا يَا أَبَانَا إِذَا جَمَعْنَا مِنْهَا خِصَالاً نَّنَالُ بِهَا مَكَانًا خَاصًّا فِيْ ذٰلِكَ الظِّلِّ أَيْضًا ، فَفَرْقٌ بَيْنَ مَنْ يَأْتِيْ بِفَضِيْلَةٍ ، وَّ بَيْنَ مَنْ يَأْتِيْ بِفَضَائِلَ .

سُلَيْمَانُ : هُوَ كَذٰلِكَ . « إِنَّ اللّٰهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَ ، وَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا » .

(١١) أَلْعَيْنُ

أَلْعَيْنُ مِنْ عَجَائِبِ صُنْعِ اللّٰهِ تَعَالَىٰ ، فَقَدْ خَلَقَهَا اللّٰه تَعَالَىٰ مِرْآةً صَافِيَةً تَتَحَرَّكُ يَمِيْنًا وَّ شِمَالًا ، وَّ فَوْقُ وَتَحْتُ ، يَنْظُرُ بِهَا الْاِنْسَانُ إِلَىٰ جَمِيْعِ الْجِهَاتِ ، ثُمَّ وَضَعَهَا فِيْ مِحْجَرٍ صُلْبٍ مِّنَ الْعَظْمِ ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا مِنَ الْجُفُوْنِ غِطَاءً يَّحْفَظُهَا مِنَ الْأَذَىٰ ، وَ حَاطَهَا بِأَهْدَابٍ مِّنَ الشَّعْرِ لِتَكُوْنَ سِيَاجًا يَّذُبُّ عَنْهَا الذُّبَابَ وَ الْبَعُوْضَ وَ الْغُبَارَ الَّتِيْ تَدْخُلُ الْعَيْنَ ، فَتُسَبِّبُ لَهَا الْأَلَمَ وَ الْمَرَضَ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا مَاءً جَارِيًا يَّغْسِلُ مَا يَدْخُلُ فِيْهَا مِنَ الْأَوْسَاخِ .

وَ الْعَيْنُ عُرْضَةٌ لِّكَثِيْرٍ مِّنَ الْأَمْرَاضِ ، كَالرَّمَدِ وَ قِصَرِ النَّظَرِ ، وَ قَدْ عَمَّ هٰذَا الْمَرَضُ الْأَخِيْرُ فِيْ هٰذَا الزَّمَانِ ، فَلَجَأَ النَّاسُ حَتَّى الْأَطْفَالُ إِلَى اسْتِعْمَالِ مِنْظَرَةٍ ، وَ لِلْاِجْتِنَابِ عَنْ هٰذِهِ الْأَمْرَاضِ يَحْسُنُ الْاِعْتِزَالُ عَنِ

الْغُبَارِ وَ الْأَتْرِبَةِ ، وَ يَحْسُنُ التَّجَوُّلُ فِي الْأَمَاكِنِ الْفَسِيحَةِ ، وَ كَثْرَةُ غَسْلِ الْوَجْهِ بِالْمَاءِ الصَّافِي ، فَإِنَّهُ يَجْلُو الْعَيْنَ ، وَ يُنَقِّيهَا مِنَ الْأَوْسَاخِ وَالْقَذَى ، وَلِذٰلِكَ كَانَ الْوُضُوءُ خَمْسَ مَرَّاتٍ كُلَّ يَوْمٍ - خُصُوصًا فِي الصَّبَاحِ عِنْدَ الْقِيَامِ - نَافِعاً جِدًّا .

وَ مُوَاصَلَةُ الْقِرَاءَةِ لَيْلاً فِي النُّورِ الضَّعِيفِ تُؤَثِّرُ فِي النَّظَرِ تَأْثِيراً كَبِيراً، وَّ تَضُرُّ بِهِ ضَرَرًا عَظِيماً ، فَعَلَى مَنْ أَلْجَأَتْهُ الضَّرُورَةُ إِلَى ذٰلِكَ أَنْ يَّسْتَعْمِلَ مِنَ الْمَصَابِيحِ مَا كَانَ ذَا نُورٍ رَّائِقٍ مُّعْتَدِلٍ غَيْرِ سَاطِعٍ وَّ لَا ضَعِيفٍ .

وَالْعَيْنُ جَوْهَرَةٌ غَالِيَةٌ لَّا يُمْكِنُ أَنْ تُشْتَرَى بِالْمَالِ، وَ بِهَا يَتَمَتَّعُ الْإِنْسَانُ بِجَمَالِ الطَّبِيعَةِ ، وَ يَقْضِي بِهَا حَاجَاتٍ فِي نَفْسِهِ ، وَ يَكُونُ عُضْواً عَامِلاً مُّفِيدًا مِّنْ أَعْضَاءِ الْأُسْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَ إِذَا فَقَدَ الْإِنْسَانُ بَصَرَهُ حُرِمَ شَيْئاً كَثِيراً مِّنْ نِّعَمِ الدُّنْيَا وَ مَحَاسِنِهَا ، فَكَأَنَّمَا أَظْلَمَ لَهُ الْعَالَمُ ، وَ كَانَ كَلًّا عَلَى غَيْرِهِ، وَ رُبَّمَا كَانَ عِيَالاً عَلَى عَصًا حَقِيرَةٍ لَّا يَمْشِي بِغَيْرِهَا .

⑫ العَين

—(٢)—

وَلِذٰلِكَ كَانَتِ الْعَيْنُ ثَمِيْنَةً غَالِيَةً وَنِعْمَةً جَلِيْلَةً، حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِيْ بِحَبِيْبَتَيْهِ فَصَبَرَ ، عَوَّضْتُهُ مِنْهَا الْجَنَّةَ، يُرِيْدُ عَيْنَيْهِ.

وَ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُوْنَ الْإِنْسَانُ إِذَا فَقَدَ بَصَرَهُ عَاطِلاً ضَائِعاً ، فَلَقَدْ فَاقَ كَثِيْرٌ مِّنَ الْعُمْيَانِ كَثِيْرًا مِّنْ أَهْلِ الْبَصَرِ فِي الْعِلْمِ ، وَ أَقَرَّتْ لَهُمُ الدُّنْيَا بِالْفَضْلِ ، كَالْمُفَسِّرِ قَتَادَةَ ، وَالْمُحَدِّثِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ ، وَ الْفَقِيْهِ زُبَيْرِ الْبَصْرِيِّ ؛ وَ النَّحْوِيِّ أَبِيْ جَعْفَرٍ ، وَالْأَدِيْبِ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيْ ، وَ الشَّاعِرِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ ، وَ إِمَامِ التَّجْوِيْدِ الْإِمَامِ الشَّاطِبِيِّ .

وَ مِنْ حَقِّ هٰذِهِ النِّعْمَةِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ وَ أَنْ يَضِنَّ بِهَا عَنْ مَحَارِمِ اللهِ ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالٰى « يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ، وَ مَا تُخْفِي الصُّدُوْرُ »

وَ مِنْ حَقِّهَا أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا فِيْ طَاعَةِ اللهِ ، وَأَن يُرِيْقَ دَمْعَهَا فِيْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ الشَّرِيْفِ .

« لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ قَطْـرَتَيْنِ وَ أَثَرَيْنِ : قَطْرَةِ دُمُوعٍ مِّنْ خَشْيَـةِ اللهِ ، وَ قَطْرَةِ دَمٍ تُهْرَاقُ فِي سَبِيْلِ اللهِ ، وَ أَمَّا الأَثَرَانِ : فَأَثَرٌ فِي سَبِيْلِ اللهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيْضَةٍ مِّنْ فَرَائِضِ اللهِ » .

وَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُوْلُ فِي دُعَائِهِ : أَللّٰهُمَّ إِنِّيْ أَعُوْذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَّا يَنْفَعُ ، وَ مِنْ قَلْبٍ لَّا يَخْشَعُ ، وَ مِنْ نَفْسٍ لَّا تَشْبَعُ ، وَمِنْ عَيْنٍ لَّا تَدْمَعُ ، وَ مِنْ دُعَاءٍ لَّا يُسْمَعُ ، وَ مِنْ دَعْوَةٍ لَّا يُسْتَجَابُ لَهَا .

⑬ أَدَبُ الْمُعَاشَرَةِ

أُسْلُكْ مَعَ النَّاسِ الْأَدَبْ تَرَمِنَ الدَّهْرِ الْعَجَبْ
وَ لَا تُطَاوِلْ بِنَشَبْ وَ لَا تُفَاخِرْ بِنَسَبْ
أَلْعِزُّ فِي الْأَمَانَةْ وَالْكَيْسُ فِي الْفَطَانَةْ
لَا تُغْضِبِ الْجَلِيْسَا لَا تُوحِشِ الْأَنِيْسَا
لَا تُكْثِرِ الْعِتَابَا تُنَفِّرِ الْأَصْحَابَا
فَكَثْرَةُ الْمُعَاتَبَةْ تَدْعُوْ إِلَى الْمُجَانَبَةْ
وَ إِنْ حَلَلْتَ مَجْلِسًا بَيْنَ سَرَاةٍ رُؤَسَا
فَاقْصِدْ رِضَا الْجَمَاعَةِ وَكُنْ غُلَامَ الطَّاعَةِ
وَ قُلْ مِنَ الْكَلَامِ مَا رَاقَ بِالْمَقَامِ
كَرَائِقِ الْأَشْعَارِ وَ طَيِّبِ الْأَخْبَارِ
وَاتْرُكْ كَلَامَ السَّفَلَةِ وَ النُّكَتَ الْمُبْتَذَلَةَ
وَ لَا تَكُنْ مِلْحَاحًا وَ اجْتَنِبِ الْمِزَاحَا

فَكَثْرَةُ الْمُجُوْنِ
نَوْعٌ مِّنَ الْجُنُوْنِ

١٤ عِيدُ الأَضْحَى

كَانَ الْيَوْمُ الأَخِيرُ مِنْ شَهْرِ ذِي القَعْدَةِ ، وَكَانَ الْيَوْمُ التَّاسِعُ وَالعِشْرُونَ مِنَ الشَّهْرِ، رَأَىٰ وَالِدِي الْهِلَالَ، وَكَانَ دَقِيقاً جِدًّا، وَمَا رَأَيْتُهُ إِلَّا بِاجْتِهَادٍ وَّ بَحْثٍ ؛ وَرَأَيْتُ وَالِدِي يَقُولُ وَيَدْعُو ، قُلْتُ لَهُ: مَاذَا تَقُولُ فِي دُعَائِكَ يَا أَبِي ؟ قَالَ وَالِدِي: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ :

« أَللّٰهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَ الإِيمَانِ وَ السَّلَامَةِ وَالإِسْلَامِ ، رَبِّيْ وَرَبُّكَ اللّٰهُ ، هِلَالَ رُشْدٍ وَّخَيْرٍ » .

فَتَعَلَّمْتُهُ مِنْ وَّالِدِيْ وَ حَفِظْتُهُ .

وَظَنَنْتُ أَنَّ الْعِيْدَ غَدًا ، فَأَخْبَرَنِيْ أَبِيْ أَنَّ الْعِيدَ بَعْدَ تِسْعَةِ أَيَّامٍ، فَإِنَّ عِيدَ الأَضْحَى الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ ،

وَ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ مِنَ الشَّهْرِ عُطِّلَتِ الْمَدْرَسَةُ ، وَأَخْبَرَنِي الْمُعَلِّمُ أَنَّ الْحُجَّاجَ يَذْهَبُوْنَ الْيَوْمَ إِلَىٰ مِنًىٰ حَيْثُ يَبِيتُوْنَ ، وَ هٰذَا الْيَوْمُ يُسَمَّىٰ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ .

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّاسِعِ ، وَهُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ ، يَذْهَبُ الْحُجَّاجُ إِلَىٰ عَرَفَاتٍ ، وَّيَظَلُّوْنَ هُنَالِكَ يَدْعُوْنَ وَيَذْكُرُوْنَ

اللهَ ، وَيَذْهَبُونَ مِنْهَا إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ وَيَبِيتُونَ هُنَالِكَ ، وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الْعَاشِرِ يَرْجِعُونَ إِلَى مِنًى وَ يَنْحَرُونَ ، وَ ذٰلِكَ يَوْمُ النَّحْرِ وَ هُوَ يَوْمُ الْعِيدِ .

وَ كَانَ أَبِي اشْتَرَىٰ بَقَرَةً سَمِينَةً لِلذَّبْحِ ، قَالَ : فِيهَا سَبْعَةُ سِهَامٍ : إِثْنَانِ لِي وَلِأُمِّكَ ، وَ وَاحِدٌ لَكَ ، وَأَرْبَعَةٌ لِأَخَوَيْكَ وَ أُخْتَيْكَ .

وَكَانَ أَبِي يَعْلِفُهَا وَيَسْقِيهَا بِنَفْسِهِ ، وَقَالَ : فِي ذٰلِكَ فَضِيلَةٌ وَّ أَجْرٌ .

وَ الْيَوْمَ الْعَاشِرَ غَيَّرْنَا اللِّبَاسَ ، وَ كَانَ أَبِي قَدْ أَعَدَّ لِي لِبَاسًا جَدِيدًا ، أَمَّا الْحِذَاءُ ، فَكَانَ حِذَاءَ الْعِيدِ ، وَ كَانَ نَظِيفاً لَّمْ يَتَوَسَّخْ ، كَأَنَّهُ جَدِيدٌ ، لِأَنِّي مَا كُنْتُ أَلْبَسُهُ إِلَّا قَلِيلاً ، وَتَطَيَّبَ أَبِي وَغَيَّرَ اللِّبَاسَ ، وَخَرَجْنَا مَعَ الْجَمَاعَةِ إِلَى الْمُصَلَّىٰ ، فَكَبَّرَ وَهَلَّلَ جَهْرًا ، وَصَلَّى الْإِمَامُ بِالنَّاسِ وَخَطَبَ ، وَ ذَكَرَ أَحْكَامَ الْأُضْحِيَّةِ ، وَ رَجَعْنَا مِنَ الْمُصَلَّىٰ بِطَرِيقٍ آخَرَ ، وَذَبَحَ أَبِي الْبَقَرَةَ ، وَسَمَّى اللهَ وَكَبَّرَ ، وَ وَزَّعَتْ أُمِّي اللَّحْمَ عَلَى الْمَسَاكِينِ وَ الْأَقَارِبِ وَ الْأَصْدِقَاءِ ، وَ طَبَخَتْ لَنَا أَيْضاً ، فَمَا تَغَدَّيْنَا إِلَّا بِلَحْمِ

أُضْحِيَّتِنَا .

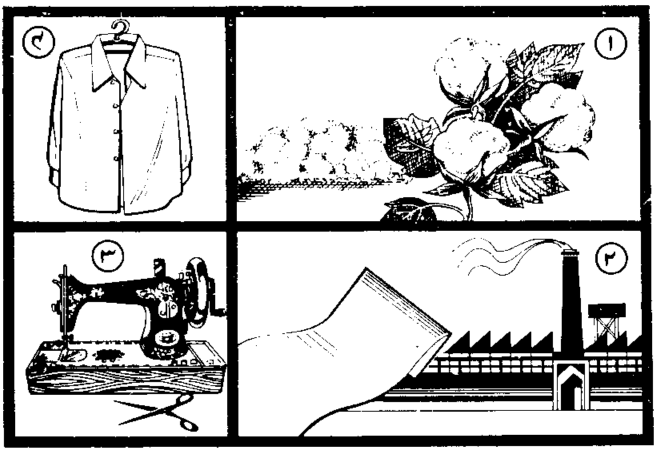
وَ تَوَفَّرَ كَثِيْرٌ مِّنَ اللَّحْمِ ، فَاحْتَفَظَتْ بِهِ أُمِّيْ وَأَيْبَسَتْهُ ، وَ لَمْ نَزَلْ نَأْكُلُ مِنْ هٰذَا الْقَدِيْدِ مُدَّةً طَوِيْلَةً .

وَ كَانَتْ فِيْ أَيَّامِ الْعِيْدِ الثَّلَاثَةِ مَآدِبُ كَثِيْرَةٌ ، وَ كَانَتْ أَيَّامَ أَكْلٍ وَّ شُرْبٍ ، وَ قَدْ دَعَا أَبِيْ لَيْلَةَ يَوْمِ الْعِيْدِ جَمَاعَةً مِّنْ أَصْدِقَائِهِ وَ جِيْرَانِهِ ، وَ صَنَعَتْ أُمِّيْ طَعَاماً مُّلَوَّناً ، فَأَكْثَرَتْ وَ أَطَابَتْ .

وَ الْيَوْمَ الثَّانِيَ كُنَّا ضُيُوْفاً عِنْدَ جَارِنَا الْكَرِيْمِ : السَّيِّدِ حُسَيْنِ الطَّبِيْبِ . وَ كَانَتْ مَأْدُبَةً عَظِيْمَةً ، وَ لَمْ آكُلْ مِنَ اللَّحْمِ فِيْ طُوْلِ الشَّهْرِ مَا أَكَلْتُ فِيْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَّ لَمْ يَضُرَّ شَيْئاً .

وَ كُنْتُ أَسْمَعُ الْإِمَامَ مِنْ فَجْرِ يَوْمِ عَرَفَةَ إِلَى عَصْرِ الْيَوْمِ الْأَخِيْرِ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيْقِ يَعْنِيْ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يُكَبِّرُ وَ يُهَلِّلُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَّكْتُوْبَةٍ .

١٥ تَارِيخُ القَمِيصِ



إِنَّكَ لَبِسْتَ قَمِيْصًا جَدِيْداً ، فَأَبْلِ وَ أَخْلِقْ ! وَلٰكِنْ هَلْ تَعْرِفُ مِنْ تَارِيْخِهِ شَيْئاً ، هَلْ تَعْرِفُ كَمْ عَمِلَ فِيْهِ مِنَ الأَيْدِيْ ، وَكَمِ اشْتَغَلَ بِهِ النَّاسُ ، وَكَمْ تَعِبَ فِيْهِ العَامِلُوْنَ ، وَكَيْفَ وَصَلَ إِلَيْكَ ؟

كَانَ أَوَّلُ أَمْرِهِ أَنَّ الزَّرَّاعَ زَرَعَ القُطْنَ وَتَحَمَّلَ فِيْ زِرَاعَتِهِ عَنَاءً شَدِيْداً ، فَإِنَّ زِرَاعَةَ القُطْنِ فِيْهَا تَعَبٌ عَظِيْمٌ ، وَشُغْلٌ طَوِيْلٌ ، حَرَثَ الأَرْضَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، أَوْ أَكْثَرَ ، وَشَقَّ خُطُوْطاً ، وَمَلَأَهَا بِالْمَاءِ ، وَتَرَكَهَا حَتّٰى

جَفَّتْ ، وَحَفَرَ فِي جَنْبِهَا حُفَرًا ، ثُمَّ بَذَرَ فِيهَا بُذُورًا مِّنَ الْقُطْنِ قَدْ نَقَعَهَا بِالْمَاءِ لَيْلَةً ، وَ لَمَّا نَجَمَ النَّبَاتُ عَزَقَ الْفَلَّاحُ الْخُطُوطَ ، فَجَعَلَ بَاطِنَهَا ظَاهِرَهَا ، وَقَلَعَ الْحَشَائِشَ الَّتِي تَضُرُّ بِالْقُطْنِ ، وَأَرْوَاهَا مِرَارًا ، وَلَمْ يَزَلِ الْفَلَّاحُ يَخْدُمُ الْحَقْلَ ، وَيَتْعَبُ وَلَا يَسْتَرِيحُ شُهُورًا ، حَتَّى ظَهَرَ فِيهَا الْقُطْنُ ، فَانْبَتَّ الْأَوْلَادُ مِنَ الْبَنِينَ وَ الْبَنَاتِ فِي الْحَقْلِ ، وَ جَنَوُا الْقُطْنَ .

وَلَمَّا جُمِعَ الْقُطْنُ أُرْسِلَ إِلَى الْحَلَّاجِ ، فَحَلَجَهُ ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى بَعْضِ الْمَصَانِعِ فَغُزِلَ ، ثُمَّ أَخَذَهُ الْحَائِكُ ، وَمَدَّهُ خُيُوطًا مُّتَقَارِبَةً ، وَلَمْ يَزَلْ يَشْتَغِلُ وَيَتْعَبُ أَيَّامًا ، حَتَّى نَسَجَهُ ثَوْبًا نَّاعِمًا مَّتِينًا ، وَ اشْتَرَى تَاجِرٌ ذٰلِكَ الثَّوْبَ وَوَضَعَهُ فِي دُكَّانِهِ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُوكَ بِمَالِهِ الَّذِي اكْتَسَبَهُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ ، و تَعِبَ فِيهِ أَيَّامًا ، وَّ أَنْتَ مُسْتَرِيحٌ فِي الْبَيْتِ تَأْكُلُ وَ تَنَامُ ، وَ ذَهَبَ ذٰلِكَ الثَّوْبُ إِلَى خَيَّاطٍ فَفَصَّلَ مِنْهُ لَكَ قَمِيصًا ، ثُمَّ خَاطَهُ لَيْلَةَ الْعِيدِ وَهُوَ سَاهِرٌ ، وَّ أَنْتَ فِي فِرَاشِكَ نَائِمٌ .

وَجَاءَ إِلَيْكَ الْقَمِيصُ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ مِّنْكَ وَشُغْلٍ ،

أفَلَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ إِذَا لَبِسْتَهُ :

«اللَّهُمَّ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ ، وَ أَلْبَسْتَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِّنِّي وَ لَا قُوَّةٍ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ ، وَ خَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ وَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ» .

(١٦) أَلْأَسَدُ

أَلْأَسَدُ مَلِكُ الْغَابَةِ ، وَ سَيِّدُ السِّبَاعِ ، وَ هَيْئَتُهُ تَدُلُّ عَلَى ذٰلِكَ ، فَلَهُ مَنْظَرٌ مُّهِيبٌ ، وَ زَئِيرٌ تَدْوِي لَهُ الْغَابَاتُ ، وَيَطِيرُ لَهُ قَلْبُ الشُّجَاعِ ؛ قَوِيُّ الْبَأْسِ، كَبِيرُ الْجِسْمِ، يُحِيطُ بِرَأْسِهِ شَعْرٌ كَبِيرٌ يَّكَادُ يَحْجُبُ رُكْبَتَيْهِ، إِذَا غَضِبَ تَجَعَّدَتْ جَبْهَتُهُ وَ خَدَّاهُ ، وَ كَشَّرَ عَنْ أَنْيَابِهِ وَأَبْرَقَتْ عَيْنَاهُ ، وَ اخْتَلَجَ حَاجِبَاهُ ، وَوَقَفَ شَعْرُ بَدَنِهِ ، وَ ضَرَبَ بِذَنَبِهِ جَنْبَيْهِ ، وَ أَطْبَقَ عَيْنَيْهِ ، وَ مَالَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَ وَثَبَ عَلَى فَرِيسَتِهِ كَالصَّاعِقَةِ ، حَتَّىٰ إِذَا ظَفِرَ بِهَا أَخَذَ فِي مُلَاعَبَتِهَا ، ثُمَّ مَزَّقَهَا بِأَنْيَابِهِ تَمْزِيقًا .

وَ إِذَا كَانَ الْأَسَدُ مُقَيَّدًا دَلَّتْ هَيْئَتُهُ عَلَى الْهُدُوْءِ ،

فَإِذَا أُفْلِتَ وَ هُيِّجَ انْدَفَعَ مِنْ عَرِيْنِهِ ، وَ هُوَ أَكْثَرُ شَجَاعَةً فِي اللَّيْلِ مِنْهُ فِي النَّهَارِ ، وَ يَمُرُّ بِالْإِنْسَانِ ، وَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ إِلَّا إِذَا كَانَ ضَارِياً أَوْ هَاجَهُ إِنْسَانٌ .

وَ يَهْجُمُ عَلَى الْحَيْوَانَاتِ كَالْخَيْلِ وَ الْجِمَالِ وَ الْبَقَرِ وَغَيْرِهَا ، وَ يَصِيْدُ الظَّبْيَ و يَأْكُلُهُ بِرَغْبَةٍ ، وَّ تَدْفَعُهُ الْجَرَاءَةُ إِلَى اخْتِطَافِ الْإِنْسَانِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ .

وَ أُنْثَى الْأَسَدِ تُعْرَفُ بِاللَّبُؤَةِ ، وَهِيَ أَصْغَرُ جُثَّةً ، وَّ أَخَفُّ حَرَكَةً ، وَّ أَشَدُّ غَضَبًا مِّنْهُ ، وَ جَرْوُهَا يُعْرَفُ بِالشِّبْلِ ، وَ يَبْدَأُ فِي الْإِفْتِرَاسِ ، وَ يَهْتَمُّ بِقُوَّتِهِ إِذَا بَلَغَ الثَّانِيَةَ مِنْ عُمُرِهِ .

وَ مُعَدَّلُ طُوْلِ الْأَسَدِ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ ، وَّعُلُوُّهُ ذِرَاعٌ وَّ رُبُعٌ ، وَمُعَدَّلُ مَا يَعِيْشُ خَمْسٌ وَّعِشْرُوْنَ سَنَةً ، وَقَدْ يَبْلُغُ فِيْ قَفَصِهِ مِائَةَ سَنَةٍ أَوْ أَكْثَرَ .

١٧ غُرُورُ الدُّنْيَا

تَقُولُ لَيْسَ الْمَاجِدُ إِلاَّ الْقَنُوعُ الزَّاهِدُ
فَمَا أَعَزَّ مَنْ قَنِعْ وَ مَا أَذَلَّ مَنْ طَمِعْ
دُنْيَاكُمُ حَبِيبَةْ بِحُسْنِهَا وَ الطَّيِّبَةْ
لٰكِنَّهَا غَدَّارَةْ خَدَّاعَةٌ غَرَّارَةْ
لَيْسَ لَهَا حَبِيبٌ زَوَالُهَا قَرِيبٌ
مَلُولَةٌ خَوَّانَةْ لَيْسَ لَهَا أَمَانَةْ
تُفَرِّقُ الْأَحْبَابَا تُشَتِّتُ الْأَتْرَابَا
حَرْبٌ لِمَنْ سَالَمَهَا تَمَلُّ مَنْ لاَزَمَهَا
عَزِيزُهَا ذَلِيلُ كَثِيرُهَا قَلِيلُ
وِصَالُهَا عَنَاءُ صُدُودُهَا بَلاَءُ
يَحْظَى بِهَا الْجُهَّالُ وَ يَنْعَمُ الْأَنْذَالُ
يَشْقَى بِهَا اللَّبِيبُ وَ يَتْعَبُ الْأَدِيبُ

(أبو العتاهية)

⑱ رِسَالَةٌ إِلَى رَسُوْلِ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم

إِذَا جَاءَكَ قَرِيْبٌ أَوْ صَدِيْقٌ ، وَ قَالَ : إِنِّيْ مُسَافِرٌ إِلَى الْوَطَنِ ، وَسَأُقَابِلُ أَبَاكَ، فَهَلْ تُوْصِيْ بِشَيْءٍ ؟ وَهَلْ لَكَ رِسَالَةٌ إِلَيْهِ أَحْمِلُهَا مِنْكَ ، وأُبَلِّغُهَا إِلَيْهِ ؟. فَلاَ تَشُكُّ أَنَّهُ سَيَجْتَمِعُ بِأَبِيْكَ ، وَ رُبَّمَا يَسْأَلُ أَبُوْكَ عَنْكَ خَبَرًا سَارًّا ، وَ بُشْرَىٰ صِحَّتِكَ . فَتَقُوْلُ: إِقْرَأْ عَلَىٰ وَالِدِيْ مِنِّيْ السَّلاَمَ ، وَ قُلْ لَهُ : إِنَّ ابْنَكَ بِخَيْرٍ ، وَّ كَمَا تُحِبُّ مِنْ صِحَّةٍ وَّسُرُوْرٍ .

كَذٰلِكَ كَانَ الْمُسْلِمُوْنَ يَعْتَقِدُوْنَ أَنَّ الْمَوْتَ جِسْرٌ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَ كُلُّ مَنْ عَبَرَ هٰذَا الْجِسْرَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ وَصَلَ إِلَى الْآخِرَةِ،وَ اجْتَمَعَ هُنَالِكَ بِرَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ ، وَ تَشَرَّفَ بِزِيَارَتِهِ ، وَ لاَبُدَّ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ سَائِلٌ عَنْ أُمَّتِهِ .

وَ يُمْكِنُ أَنْ لاَّ يَصِلَ قَرِيْبُكَ أَوْ صَدِيْقُكَ إِلَى الْوَطَنِ لِمَانِعٍ أَوْ حَادِثَةٍ ، أَوْ يَصِلَ إِلَى الْوَطَنِ ، وَ لاَيَجْتَمِعَ بِأَبِيْكَ ،وَلٰكِنَّ الْمُسْلِمِيْنَ مَا كَانُوْا يَشُكُّوْنَ فِيْ

وُصُـوْلِ الْمَيِّتِ إِلَىٰ عَالَمِ الْآخِرَةِ ، وَ اجْتِمَاعَ الشَّهِيْدِ بِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ .

زَحَفَ الْمُسْلِمُوْنَ إِلَى الشَّامِ ، وَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَهُمْ « لَتَفْتَحُنَّ كُنُوْزَ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ » وَقَدْ وَعَدَهُمَا اللهُ بِالنَّصْرِ ، وَ قَالَ : « وَ إِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْمَنْصُوْرُوْنَ ، وَ إِنَّ جُنْـدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُوْنَ » وَ كَانُوْا وَاثِقِيْنَ بِالنَّصْرِ وَ الْفَتْحِ ، وَ كَذٰلِكَ كَانَ ، فَقَدْ فَتَحُوْا مَدِيْنَةً بَعْدَ مَدِيْنَةٍ ، وَ هَزَمُوْا جُنْدًا بَعْدَ جُنْـدٍ .

وَ جَاءَ رَجُلٌ يَوْمَ الْيَرْمُوْكِ إِلَىٰ أَبِي عُبَيْدَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَائِدِ الْمُسْلِمِيْنَ - فَقَالَ : إِنِّيْ قَدْ تَهَيَّأْتُ لِأَمْرِيْ أَيْ لِلشَّهَادَةِ ، فَهَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ إِلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ .

قَالَ أَبُوْ عُبَيْدَةَ: نعم ! تُقْرِئُهُ عَنِّي السَّلَامَ ، وَتَقُوْلُ: يَا رَسُوْلَ اللهِ ﷺ ! إِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا (١) .

---

(١) البداية و النهاية لابن كثير ، ص ١٢ ، ج ٧ .

١٩ حادثة

زارنا مرّةً ضيفٌ كريمٌ ، وّ بات عندنا ليلةً ، وَ فِي الصّباح قُلْتُ لهُ : أتستحمّ يا سيّدي ؟ .

وَ كَانَ يومُ جُمُعَةٍ ، قَالَ:نَعَم ! قُلْتُ : هٰذا مُغتسلٌ، قَالَ: بَلْ أَستحمّ في النّهر .

وَ كَانَ الشّيخ يعرف السّباحة إلّا أنّه لَم يَتّفِق له أَنْ يَسْبَح مِنْ مُدّةٍ طويلةٍ ، وَ سمعتُ أَنّ الْإنسانَ لاينسَى السّباحة إِذا تعلّمها، إلّا أنّهُ يتعبُ سريعاً .

وَ كَانَ النّهرُ فائِضًا ، وّكَانَ يجري بِقوّةٍ ، فخاض الشّيخُ النّهرَ ، وَبَدَأ يَسْبَحُ ، فما لبث أَنْ كلّت عضدهُ ، وخارت قُواهُ وَ أَعْيا ، وَدفعهُ المَاءُ بِقُوّةٍ، فجعل يجري فِيْ تيّارِهِ لايملكُ مِنْ أَمْرِهِ شيْئاً ، وّ أَيْقَنَ بِالشّرّ .

فجعل يَصْرخُ وَ يَسْتغِيثُ ، وَ يَقُولُ: يا رَجُلاً ! خُذ بيدي ، وَ جعل يَذْكُرُ ، وَ يقولُ : أَللّهُ ! أَللّهُ ! كَأَنّهُ فِيْ آخِرِ عَهْدِهِ بِالدّنيا ، وَ جعل يغطس وَ يطفو . فسقط فِيْ أيدينا . وَ خِفْنا عليهِ الْغرق ، وَ كانَ

أَحَدُ أَقَارِبِنَا مِمَّنْ يُحْسِنُونَ السِّبَاحَةَ يَغْتَسِلُ فِي النَّهْرِ، فَقُلْنَا: دُونَكَ الْأُسْتَاذَ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِسُرْعَةٍ، وَ لَمَّا رَأَى الشَّيْخُ مُنْجِدًا تَشَجَّعَ قَلِيلًا، وَّ أَرَادَ أَنْ يُّمْسِكَهُ.

وَ لٰكِنْ كَانَ الرَّجُلُ عَاقِلًا مُّجَرَّباً، وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ الْغَرِيْقَ يَرْكَبُ مَنْ يُنْجِدُ وَ يَأْخُذُ بِتَلَابِيْبِهِ، وَ يَغْرَقَانِ جَمِيْعًا، فَلَمْ يُمْهِلْهُ مِنْ نَّفْسِهِ، بَلْ غَطَسَ وَ دَفَعَهُ مِنْ أَسْفَلَ إِلَى الشَّاطِئِ، وَلَمْ يَزَلِ الشَّيْخُ يَجْتَهِدُ أَنْ يُّمْسِكَهُ، وَ الرَّجُلُ يَدْفَعُهُ إِلَى الْأَمَامِ حَتّٰى أَوْصَلَهُ إِلَى الشَّاطِئِ.

وَ كَانَ الشَّيْخُ كَالْمُغْمَى عَلَيْهِ لَايَعْقِلُ شَيْئًا، وَكَانَ عَلَى الشَّاطِئِ رَجُلٌ يَّصِيْدُ السَّمَكَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ وَقَالَ: مُدَّ عُوْدَكَ لِيُمْسِكَهُ الشَّيْخُ، فَمَدَّ الصَّيَّادُ عُوْدَهُ، وَجَعَلَ يَضْرِبُ بِهِ عَلٰى رَأْسِهِ، وَهُوَ لَايَشْعُرُ وَ لَايُمْسِكُهُ، وَ بَعْدَ حِيْنٍ أَمْسَكَ بِالْعُوْدِ، وَ وَصَلَ إِلَى الشَّاطِئِ.

وَ كَانَ الشَّيْخُ قَدْ شَرِبَ كَثِيْرًا مِّنَ الْمَاءِ، فَنَكَّسُوْهُ حَتّٰى قَاءَ بِالْمَاءِ وَ أَفَاقَ، وَ رَجَعَ إِلَيْهِ الشُّعُوْرُ وَ الْقُوَّةُ.

وَ كَانَ عَلٰى شَاطِئٍ آخَرَ مِنَ النَّهْرِ، فَصَنَعُوْا لَهُ مَرْكَباً مِّنَ الْجِرَارِ، وَ رَكِبَهُ الشَّيْخُ، وَ أَمْسَكَ بِالْحَبْلِ

وَ حَوْلَهُ عَـدَدٌ كَبِيْرٌ مِّنْ فُرْسَانِ السِّبَاحَـةِ ، وَ أَبْطَالِ الْمَاءِ ، وَ رَجَعَ فِي الْمُوْكِبِ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَ قَدْ ذُعِرَ الْأُسْتَاذُ بِهٰذِهِ الْحَادِثَةِ ، فَكَانَ يُوْصِيْ كُلَّ مَنْ يَزُوْرُ قَرْيَتَنَا أَنْ لَّا يَدْخُلَ النَّهَرَ ، وَ كَانَ يَقُوْلُ : إِذَا أَرَدْتَّ أَنْ تَتَمَتَّعَ بِالدُّنْيَا ، فَإِيَّاكَ وَ النَّهَرَ .

وَ كَانَ الشَّيْخُ لاَ يَزَالُ يَعْتِبُ عَلَى الرَّجُـلِ أَنَّهُ لَمْ يُنْجِدْهُ ، وَ لَمْ يَمُدّ إِلَيْهِ يَدَهُ ، وَ لاَ يَرَاهُ مَعْذُوْرًا فِيْ هٰذَا الْأَمْرِ .

(٢٠) فَتَى الْإِسْلَامِ

هَلْ تَعْرِفُ فِتْيَاناً هُمْ فِي السَّابِعَـةَ عَشْرَةَ ، أَوِ الثَّامِنَـةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِمْ ؟ بَلَّغَكَ اللهُ فَوْقَ هٰذِهِ السِّنِّ وَ عَمَّرَكَ طَوِيْلاً .

اِنَّكَ لَتَعْرِفُ مِنْهُمْ كَثِيْراً ؛ فَهَلْ تَعْرِفُ عَنْهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ يَأْكُلُوْنَ وَ يَشْرَبُوْنَ ، وَ يَرْتَعُوْنَ وَ يَلْعَبُوْنَ وَيَتَجَمَّلُوْنَ فِي الْمَلاَبِس ، وَ يَتَأَنَّقُوْنَ فِي الْهِنْدَامِ وَالزِّيْنَةِ .

وَ إِذَا امْتَازَ فِيْهِمْ فَتًى ، وَعَلَتْ هِمَّتُهُ ، عَكَفَ عَلَى

دِرَاسَتِهِ وَ مُطَالَعَتِهِ ، وَ جَدَّ فِيهَا وَ اجْتَهَدَ ، حَتَّىٰ بَرَّزَ فِى الْاِخْتِبَارَاتِ ، وَ أَحْرَزَ الْجَوَائِزَ وَ الْوِسَامَاتِ .

وَإِذَا طَمَحَ فِيهِمْ شَابٌّ اجْتَهَدَ لِوَظِيفَةٍ فِىْ مَصْلَحَةٍ مِّنْ مَصَالِحِ الْحُكُومَةِ فَصَارَ يَتَقَاضَىٰ رَاتِباً شَهْرِيّاً .

ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ ، وَ تِلْكَ أَقْصَىٰ أَمَانِيهِمْ فِى الْحَيَاةِ .

وَ لٰكِنْ لَمَّا كَانَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ ، وَ كَانَتِ الْهِمَمُ عَالِيَةً ، كَانَ الشَّابُ الْمُسْلِمُ يَطْمَحُ إِلَىٰ إِقَامَةِ الْجِهَادِ ، وَفَتْحِ الْبِلَادِ ، فَيَفْتَحُ قُطْراً أَوْ يُؤَسِّسُ دَوْلَةً أَوْ يَمُوتُ شَهِيداً .

هٰذَا مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمِ الثَّقَفِيُّ قَدْ غَزَا الْهِنْدَ - وَهِيَ بِلَادٌ بَعِيدَةٌ مِّنْ بِلَادِ الْعَرَبِ وَرَاءَ الْبِحَارِ - فَهَزَمَ الْجُنُودَ ، وَقَتَلَ الْمُلُوكَ ، وَ وَظَّفَ الْخَرَاجَ ، وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ ، وَفَتَحَ مُحَمَّدُ السِّنْدَ ، وَ تَوَغَّلَ فِى الْهِنْدِ ، حَتّٰى قَطَعَ نَهْرَ بَيَاسَ إِلَى الْمُلْتَانِ ، وَ فَتَحَهَا . وَخَضَعَ أَهْلُ الْهِنْدِ لِمُحَمَّدٍ ، وَأَحَبُّوهُ لِدِينِهِ و كَرَمِهِ وَ عَدْلِهِ ، مَعَ أَنَّ الْعَدُوَّ الْقَاهِرَ لَا يُحَبُّ ، وَ صَنَعُوا لَهُ تِمْثَالًا عَلَىٰ عَادَةِ أَهْلِ الْهِنْدِ .

وَ تِلْكَ الْفُتُوحُ الْعَظِيمَةُ كُلُّهَا كَانَتْ فِي مُدَّةٍ قَصِيرَةٍ جِدًّا .

هٰذَا ، وَ فَاتِحُ السِّنْدِ لَمْ يَتَجَاوَزِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ ، وَ فِي ذٰلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ :

سَاسَ الرِّجَالَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً
وَ لِدَاتُهُ عَنْ ذَاكَ فِي أَشْغَالِ

٢١ أَلرِّمَايَةُ

سَأَلْتُ أَبِي أَنْ يَّشْتَرِيَ لِي بُنْدُقِيَّةً صَغِيْرَةً ، لِأَصِيدَ الطُّيُورَ : كَالْيَمَامِ وَ الْحَمَامِ وَ الْغُرَابِ الَّذِي يُؤْذِي كَثِيْراً وَّ يَلِغُ فِي الْمَاءِ ، وَ أَتَمَرَّنَ عَلَى الرَّمْيِ ، فَاشْتَرَىٰ لِي بُنْدُقِيَّةً وَ حُقَّةً مِّنَ الرَّشَاشِ

وَ كُنْتُ إِذَا رَجَعْتُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ ، أَوْ كَانَ يَوْمُ عُطْلَةٍ أَخَذْتُ الْبُنْدُقِيَّةَ ، وَعَدَدًا مِّنَ الرَّشَاشِ ، وَ ذَهَبْتُ إِلَى الْبُسْتَانِ أَرْمِي الطُّيُورَ .

وَ فِي الْأَوَّلِ لاَ أُصِيبُ طَائِراً ، وَ أُخْطِئُ

كُلَّ مَرَّةٍ ، ثُمَّ صِرْتُ أُصِيبُ مَرَّةً فِيْ ثَلَاثِ طَلَقَاتٍ ، وَأَصِيْدُ بَعْضَ الطُّيُوْرِ ، حَتَّى تَمَرَّنْتُ فِيْ شَهْرَيْنِ ، وَ اشْتَدَّ سَاعِدِيْ .

وَ رَأَيْتُ عِنْدَ رَجُلٍ مِّنَ الْأَغْنِيَاءِ شَيْئاً غَرِيْباً ، كَانَتْ عِنْدَهُ صَفِيْحَةٌ ، وَ كَانَ عَلَى وَجْهِ الصَّفِيْحَةِ مِثْلُ فَلْسٍ ، لَهُ لَوْنٌ يَّلْمَعُ ، وَ يَظْهَرُ مِنْ بَعِيْدٍ .

وَ كَانَ بِجَانِبِ هٰذَا الْفَلْسِ مِثْلُ جِرَابٍ ، كَانَ يَشْحَنُهُ بِالْبَارُوْدِ ، وَيَسُدُّهُ بِالْقِرْطَاسِ ، وَ كَانَ فِيْ هٰذِهِ الصَّفِيْحَةِ رَسْمٌ مِّنْ حَدِيْدٍ : جُنْدِيٌّ فِيْ لِبَاسِ جُنْدِيٍّ ، فِيْ يَدِهِ قُبَّعَةٌ .

وَ كُنَّا نُبَارِيْ فِي الرَّمْيِ ، وَ نَرْمِيْ هٰذَا الْفَلْسَ بِالرَّشَاشِ ، فَإِذَا أَصَابَ إِنْسَانٌ الْفَلْسَ إِنْطَلَقَ الْمِدْفَعُ ، وَ سَمِعَ النَّاسُ صَوْتَهُ مِنْ بَعِيْدٍ ، وَ انْفَتَحَ الْبَابُ ، وَ خَرَجَ رَجُلٌ مِّنْ حَدِيْدٍ ، فِيْ يَدِهِ عَلَامَةٌ يُّشِيْرُ بِهَا إِلَى الْهَدَفِ وَ يُخْبِرُ بِالْإِصَابَةِ .

وَ ظَهَرَ الْجُنْدِيُّ رَافِعاً قُبَّعَتَهُ يُسَلِّمُ عَلَى الْمُصِيْبِ ،

وَ كَأَنَّهُ يُهَنِّئُهُ بِنَجَاحِهِ.

وَإِذَا أَخْطَأَ النَّاسُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ: لَمْ يَنْطَلِقِ الْمِدْفَعُ، وَلَمْ يَتَحَرَّكِ الْجُنْدِيُّ مِنْ مَكَانِهِ. وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنِّي كُنْتُ أُصِيبُ الْفَلْسَ فِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ دَائِماً، وَ إِذَا انْطَلَقَ الْمِدْفَعُ سُرِرْتُ سُرُوْرًا عَظِيمًا.

وَبَعْدَ أَشْهُرٍ قَدَرْتُ أَنْ أَسْتَعْمِلَ الْبُنْدُقِيَّةَ الْكَبِيْرَةَ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فِي الصَّيْدِ، وَأَصِيْدُ الْحَمَامَ الْأَخْضَرَ وَالْبَطَّ، وَ أَنْوَاعًا مِّنَ الطُّيُوْرِ.

وَ سَمِعْتُ الْمُعَلِّمَ يَقُوْلُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَثَّ عَلَى الرَّمْيِ كَثِيْرًا، وَ شَارَكَ فِي الْمُنَاضَلَةِ، وَ قَالَ: «إِرْمُوْا يَابَنِيْ إِسْمَاعِيلَ! فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا» وَ قَالَ: « أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ».

فَسُرِرْتُ كَثِيْراً، وَ عَلِمْتُ أَنَّ عَمَلِيْ لَمْ يَكُنْ عَبَثًا، وَ أَنِّيْ لَمْ أُضَيِّعْ وَقْتِيْ.

٢٢ أَلْجَمَلُ

أُنْظُرُوا إِلَى الْإِبِلِ : كَيْفَ خُلِقَتْ ، تَرَوْهَا لَامَثِيلَ لَهَا فِي الْخِلْقَةِ ، فَإِنَّ الْجَمَلَ أَكْبَرُ الْحَيَوَانِ الدَّاجِنِ جِسْمًا وَّأَطْوَلُهُ سَاقًا ، وَلِذٰلِكَ كَانَتْ رَقَبَتُهُ طَوِيلَةً ، حَتَّى يُمْكِنَهُ أَنْ يَرْعَى الْكَلَاءَ مِنَ الْأَرْضِ بِدُوْنِ أَنْ يَبْرُكَ ، وَرَأْسُهُ صَغِيْرٌ لِّيَكُوْنَ خَفِيفَ الْحَمْلِ عَلَى رَقَبَتِهِ ، وَأَرْجُلُهُ فِيهَا أَخْفَافٌ تَمْنَعُ سَوْخَهَا فِي رِمَالِ الصَّحْرَاءِ الَّتِيْ كَثِيْرًا مَّا يَسِيرُ فِيهَا ، وَعَلَى ظَهْرِهِ سَنَامٌ كُلُّهُ شَحْمٌ ، يُرَكَّبُ عَلَيْهِ الْقَتَبُ ، وَ عَيْنَاهُ سَوْدَاوَانِ وَاسِعَتَانِ ، تَشِفَّانِ عَنْ حِلْمٍ وَّ دَعَةٍ ، وَ لَهُ فِيْ وَسْطِ بَطْنِهِ قُرْصٌ غَلِيظٌ يُّسَمَّى الْكَلْكَلَ ، يَسْتَنِدُ عَلَيْهِ مَتَى بَرَكَ ، وَلَهُ فِيْ أَرْجُلِهِ قِطَعٌ عَدِيمَةُ الْحِسِّ فِيْ مَوَاقِعِهَا عَلَى الْأَرْضِ .

وَجَوْفُ الْجَمَلِ عَجِيْبٌ فِيْ تَرْكِيبِهِ ، لِأَنَّهُ يَحْتَوِيْ عَلَى جُمْلَةِ كُرُوْشٍ ، يَخْزَنُ فِيهَا مِقْدَارًا عَظِيماً مِّنَ الْغِذَاءِ حَتَّى إِذَا جَاعَ ، وَلَمْ يَجِدْ أَكْلاً ، أَخْرَجَ مِنْ كِرْشِهِ جَرَّةً ، وَاجْتَرَّهَا ، وَلِذٰلِكَ يُسَمَّى حَيَوَانًا مُّجْتَرًّا ، وَإِذَا فَرَغَ مَا خَزِنَهُ فِيْ

جَوْفِهِ ، فَإِنَّ شَحْمَ سَنَامِهِ يَتَحَلَّلُ شَيْئًا فَشَيْئًا لِيَغْذُوَهُ ، وَيَكْفِيَهُ مُدَّةً طَوِيْلَةً .

وَ لِلْجَمَلِ فِيْ جَوْفِهِ جُمْلَةُ أَزْقَاقٍ تَمْتَلِئُ بِالْمَاءِ عِنْدَمَا يَشْرَبُ ، حَتَّى إِذَا عَطِشَ فِيْ مَكَانٍ قَفْرٍ لَا مَاءَ فِيْهِ ، أَغْنَاهُ مَا خَزِنَهُ عَنِ الشُّرْبِ زَمَنًا طَوِيْلًا .

(٢٣) أَلْجَمَلُ

٢

فِيْ عِدَّةِ جِهَاتٍ مِّنَ الدُّنْيَا صَحَارَىٰ قَاحِلَةٌ لَا حَيَوَانَ فِيْهَا ، وَ لَا نَبَاتَ ، أَرْضُهَا رِمَالٌ جَافَّةٌ .

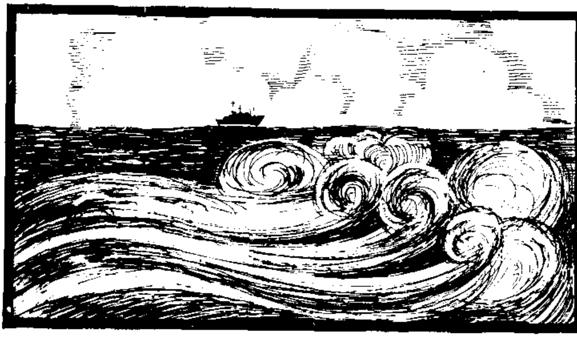
لَا تَرَىٰ فِيْهَا قَطْرَةَ مَاءٍ، يَسْلُكُهَا النَّاسُ اضْطِرَارًا ، فَيَحْمِلُوْنَ زَادَهُمْ : مِنْ مَّاءٍ وَّ طَعَامٍ ، عَلَىٰ ظُهُوْرِ الْجِمَالِ ، وَيَسِيْرُوْنَ فِيْ تِلْكَ الْقِفَارِ مُجْتَمِعِيْنَ ، وَ إِبِلُهُمْ مُتَتَابِعَةٌ كَالْقِطَارِ ، وَ هِيَ تَسِيْرُ بِهِمْ هَادِئَةً سَاكِنَةً ، تَصْبِرُ عَلَى الْجُوْعِ وَ الْعَطَشِ مُعْظَمَ الطَّرِيْقِ ، لِأَنَّهَا قَدْ خَزِنَتْ مُؤْنَتَهَا فِيْ جَوْفِهَا قَبْلَ الرَّحِيْلِ ، وَتَحْمِلُ فَوْقَ ذٰلِكَ مِنَ الْمَتَاجِرِ أَحْمَالًا ثِقَالًا ، لَا تَئِنُّ مِنْهَا وَلَا تَكِلُّ ، فَتَرَى الْجَمَلَ

كَأَنَّهُ مَرْكَبٌ يَشُقُّ تِلْكَ الرِّمَالَ الْوَاسِعَةَ ، وَلِذَا سُمِّيَ «سَفِينَةَ الصَّحْرَاءِ» . وَإِنَّ ضَلَّ الْمُسَافِرُونَ الطَّرِيقَ فِي الصَّحْرَاءِ يَأْخُذُهُمُ الْقَلَقُ عَلَى حَيَاتِهِمْ ، مَخَافَةَ أَنْ يَنْفَدَ زَادُهُمْ فَيَمُوتُونَ جُوعاً وَّ عَطَشاً ، وَلٰكِنَّ الْجَمَلَ يُنْقِذُهُمْ أَحْيَاناً مِّنْ تِلْكَ الْأَخْطَارِ ، لِأَنَّهُ يَشُمُّ الْمَاءَ مِنْ بُعْدٍ ، فَيَسِيرُ نَحْوَهُ بِسُرْعَةٍ غَرِيبَةٍ ، لِيَسْتَقِيَ صَاحِبُهُ .

وَ الْجَمَلُ سَهْلُ الْقِيَادِ ، لَيِّنُ الطِّبَاعِ ، يَتَحَمَّلُ كَثِيراً مِّنَ الْأَذَىٰ بِالصَّبْرِ ، وَلٰكِنَّهُ يَثُورُ مَتَّىٰ بَلَغَ الْأَذَىٰ شِدَّةً عَظِيمَةً ، فَيَنْتَقِمُ مِمَّنْ آذَاهُ ، وَلَا يَتْرُكُهُ إِلَّا إِذَا ثَأَرَ لِنَفْسِهِ وَ فَتَكَ بِهِ .

وَإِذَا قَوِيَ الْجَمَلُ اشْتَدَّ بَأْسُهُ ، وَعَافَ الْأَكْلَ مَالَمْ يُوضَعْ فِي فَمِهِ ، وَ يَقُولُ النَّاسُ عَنْهُ : إِنَّهُ صَائِمٌ ، وَفِي هٰذِهِ الْحَالَةِ يُخْرِجُ شِقْشِقَتَهُ مِنْ حَلْقِهِ وَ يُشَقْشِقُ مِنَ الْغَضَبِ .

٢٤ أنا هنا فاعرفوني



مَوْلِدِيْ وَ وَطَنِيْ مَا تُسَمُّوْنَهُ الْبَحْرَ . أَنَا ابْنُ أُمَّةٍ عَظِيْمَةٍ ، قَدِ امْتَدَّتْ عَلَى مَسَافَةِ آلَافٍ مِّنَ الْأَمْيَالِ ، وَ يَقُوْلُوْنَ : إِنَّ أُمَّتِيْ أَعْظَمُ مِنْ أُمَّةِ الْبَرِّ ؛ فَقَدْ شَغَلْنَا نَحْنُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْكُرَةِ ، وَالْيَابِسُ مِنْهَا نَحْوُ رُبْعٍ .

وَ قَدْ فَارَقْتُ وَطَنِيْ قَبْلَ شَهْرَيْنِ ، لَمَّا اشْتَدَّ الْحَرُّ فِيْ هٰذَا الصَّيْفِ ، تَكَوَّنَ بُخَارٌ ، وَفَارَقَ الْبَحْرَ ، وَسَارَتْ بِهِ الرِّيَاحُ إِلَى الْجِبَالِ ، وَهُوَ السَّحَابُ الْمُسَخَّرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ فَلَمَّا جَاءَهُ الْأَمْرُ مِنَ اللهِ ، تَحَلَّلَ هٰذَا الْبُخَارُ بِالْحَرَارَةِ ، وَنَزَلَ قَطَرَاتٍ عَلَى الْأَرْضِ ، وَقَالَ

النَّاسُ : اَلْمَطَرُ ! اَلْمَطَرُ ! وَأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُوْنِيْ
لَعَلَّكُمْ رَأَيْتُمْ قِدْراً عَلَى النَّارِ فِيْهَا مَاءٌ ، فَإِذَا غَلَتِ الْقِدْرُ ، تَصَاعَدَ مِنْهَا مِثْلُ دُخَانٍ ، وَهُوَ الْبُخَارُ ، وَ أَنَا هُنَا ،فَاعْرِفُوْنِيْ .

وَ إِذَا نَزَلَ الْمَطَرُ ، وَ جَمَدَتْ قَطَرَاتٌ مِنَ الْبَرْدِ، وَ وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلَ الزُّجَاجِ ، قَالَ النَّاسُ: اَلْبَرْدُ ! اَلْبَرْدُ ! وَ أَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُوْنِيْ .

وَ قَدْ أَسْقُطُ فِي الْجِبَالِ مِثْلَ الصُّوْفِ الْأَبْيَضِ اللَّامِعِ ، وَأَلْمَعُ فِي الشَّمْسِ مِثْلَ اللُّجَيْنِ ، فَيَكُوْنُ مَنْظَراً جَمِيْلاً وَيَقُوْلُ النَّاسُ: اَلثَّلْجُ ! اَلثَّلْجُ ! وَأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُوْنِيْ .

وَقَدْ يَشْتَدُّ الْبَرْدُ فِي الشِّتَاءِ ، فَيَجْمُدُ مَا كَانَ مِنَ الْمَاءِ ، وَيَقُوْلُ النَّاسُ : اَلْجَلِيْدُ ! اَلْجَلِيْدُ ! وَأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُوْنِيْ !

وَ إِذَا هَبَطْتُ مِنَ الْجِبَالِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَزَاحَمَتْنِيْ صُخُوْرٌ أَوْ أَحْجَارٌ ، كَانَ شَلَّالٌ يَكُوْنُ لَهُ صَوْتٌ هَائِلٌ وَمَنْظَرٌ جَمِيْلٌ ، وَأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُوْنِيْ !

وَإِذَا اجْتَمَعَتْ شَلَّالَاتٌ ، خَرَجَتْ مِنَ الْجِبَالِ ، فَكُنْتُ نَهْرًا ، يَكُوْنُ فِيْ مَبْدَئِهِ صَغِيْرًا ، ثُمَّ يَكُوْنُ

عَرِيْضاً عَمِيْقاً، وَقَالَ النَّاسُ : نَهْرُ السِّنْدِ وَ نَهْرُ دِجْلَةَ، وَ الْفُرَاتِ ، وَ النِّيْلِ ، وَأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُوْنِي .

وَلَعَلَّكَ رَأَيْتَ فِي الصَّبَاحِ أَيَّامَ الشِّتَاءِ مِثْلَ الدُّخَانِ ، وَيُسَمِّيْهِ النَّاسُ الضَّبَابَ ، وأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُوْنِي .

وَ لَعَلَّكَ رَأَيْتَ قَطَرَاتٍ عَلَى أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ، وَ عَلَى الْعُشْبِ وَ الْأَزْهَارِ ، فِيْ أَيَّامِ الشِّتَاءِ، وَ يُسَمِّيْهَا النَّاسُ الطَّلَّ وَ النَّدَى ، وَأَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُوْنِي .

وَقَدْ أَجْمُدُ بِالصِّنَاعَةِ فِي الْمَصَانِعِ ، وَ يَحْرِصُ عَلَى النَّاسُ أَيَّامَ الصَّيْفِ ، فَلَا يَشْرَبُوْنَ الْمَاءَ بِغَيْرِ هٰذَا الْجَمَدِ ، وَلَا يَرْوَوْنَ إِلَّا بِهِ، وَ أَنَا هُنَا ، فَاعْرِفُوْنِي .

٢٥ سَفِينَةٌ عَلَى البَرِّ



هَلْ سَمِعْتَ بِسَفِينَةٍ تَسِيرُ عَلَى الْبَرِّ ؟ وَهَلْ تُصَدِّقُ إِذَا أَخْبَرَكَ بِهِ أَحَدٌ ؟ !

أَظُنُّكَ تَقُولُ - وَلَكَ الْحَقُّ - مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ . وَلٰكِنَّ مُحَمَّدًا الثَّانِيَ الْعُثْمَانِيَّ فَاتِحَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، سَيَّرَ سَبْعِينَ سَفِينَةً عَلَى الْبَرِّ .

هَلْ تَعْرِفُ كَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ ؟

غَزَا الْعَرَبُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ الْعُظْمَى سِتَّ مَرَّاتٍ ، وَلَمْ يَفْتَحُوهَا ، وَقَدْ قَدَّرَ اللهُ أَنْ يَكُونَ هٰذَا الْفَتْحُ الْعَظِيمُ

بِيَدِ شَابٍّ مُسْلِمٍ مِنْ آلِ عُثْمَانَ ، وَ هُوَ فِي الرَّابِعَةِ وَ الْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ ، وَ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ .

زَحَفَ مُحَمَّدٌ إِلى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَ أَعَدَّ لِذٰلِكَ عُدَّةً عَظِيمَةً ، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعالىٰ :

« وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ » .

فَكَانَ تَحْتَ قِيَادَتِهِ ثَلاثُ مِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ . وَ مَعَهُ مِدْفَعِيَّةٌ هَائِلَةٌ ، فِيهَا مِدْفَعٌ لَا يُوجَدُ فِي أُورُبَّا أَضْخَمُ مِنْهُ ، أَعَدَّهُ لِذٰلِكَ ، مَرْمَاهُ أَكْثَرُ مِنْ مِيلٍ .

وَ كَانَ أُسْطُولُهُ مُرَكَّباً مِنْ مِائَةِ سَفِينَةٍ حَرْبِيَّةٍ .

وَ كَانَ مُحَمَّدٌ رَأَى أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ سَلْسَلَ خَلِيجَ قَرْنِ الذَّهَبِ ـ وَهُوَ مَدْخَلُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ـ بِالسَّلاسِلِ ، فَكَيْفَ يَعْبُرُهُ بِأُسْطُولِهِ ؟

فَكَّرَ مُحَمَّدٌ ، وَ لَمْ يَعْجَزْ وَ لَمْ يَيْأَسْ ، وَ وَجَدَ حِيلَةً !

رَأَىٰ أَنَّهُ يُمْكِنُ الْعُبُورُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مِنْ جِهَةِ قَاسِمْ بَاشَا

وَ لَكِنَّ هٰذِهِ الْجِهَةَ بَعِيدَةٌ مِّنْ سُفُنِهِ ، فَمَنْ يَحْمِلُهَا وَ مَنْ يَنْقُلُهَا مِنْ هٰذِهِ الْجِهَةِ إِلَىٰ تِلْكَ الْجِهَةِ ، وَالْمَسَافَةُ بَعِيدَةٌ ؟ .

فَكَّرَ مُحَمَّدٌ ، وَلَمْ يَعْجِزْ وَلَمْ يَيْأَسْ وَوَجَدَ حِيلَةً !

طَلَى الْأَخْشَابَ بِالشَّحْمِ ، فَلَمَّا أَمْلَسَتْ أَزْلَقَ عَلَيْهَا السُّفُنَ ، وَ هِيَ سَبْعُونَ سَفِينَةً .

وَ مَا رَاعَ أَهْلَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، إِلَّا وَ سُفُنُ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَرْسَتْ عَلَى سَاحِلِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَ سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ .

وَ هٰكَذَا أَخَذَ مُحَمَّدٌ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ - عَاصِمَةَ الدَّوْلَةِ الْبِيزَنْطِيَّةِ - وَ سَقَطَتْ عَاصِمَةُ النَّصْرَانِيَّةِ الْمَنِيعَةُ أَمَامَ قَائِدٍ مُسْلِمٍ شَابٍّ .

وَلَا تَزَالُ هٰذِهِ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ ، وَ تُرْكِيَا ، فِي يَدِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ سَنَةِ ٨٥٣هـ - يَوْمَ فَتَحَهَا مُحَمَّدُ بْنُ مُرَادٍ - إِلَىٰ يَوْمِ النَّاسِ هٰذَا .

(وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ)

٢٦ أَلْخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمة الله عليه

١

وُلِدَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَنَةَ ٦١هـ. وَأُمُّهُ أُمُّ عَاصِمٍ بِنْتُ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَهُوَ صَغِيرٌ، وَ بَعَثَهُ أَبُوهُ إِلَى الْمَدِينَةِ يَتَأَدَّبُ بِهَا، وَكَانَ يَأْتِي عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ كَثِيرًا، لِمَكَانِ أُمِّهِ مِنْهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى أُمِّهِ، فَيَقُولُ: يَا أُمَّهْ! أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ خَالِي.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي شَبَابِهِ مُتَنَعِّمًا، يُكْثِرُ مِنَ الطِّيبِ، حَتَّى تُوجَدَ رَائِحَتُهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَمُرُّ بِهِ، وَيَمْشِي مِشْيَةً تُسَمَّى «الْعُمَرِيَّةَ» كَانَ الْجَوَارِي يَتَعَلَّمْنَهَا مِنْ حُسْنِهَا، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى هٰذَا التَّنَعُّمِ، حَتَّى وَلِيَ الْخِلَافَةَ، فَزَهِدَ فِي الدُّنْيَا وَرَفَضَهَا.

وَكَانَ فِي شَبَابِهِ، وَوِلَايَتِهِ لِلْمَدِينَةِ، كَثِيرَ التَّعْظِيمِ لِلْعُلَمَاءِ، شَدِيدَ الْإِعْظَامِ لِمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، خَاشِعًا مُتَدَيِّنًا.

وَ عَهِدَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَعُمَرُ لَا يَعْلَمُ، فَلَمَّا عَلِمَ فَزِعَ.

وَقَالَ: وَاللهِ إِنَّ هٰذَا الأَمْرَ مَا سَأَلْتُ اللهَ قَطُّ.

وَ قَدَّمَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الْمَرَاكِبِ مَرْكَبَ الْخَلِيفَةِ فَأَبَى وَ قَالَ: إِيتُونِي بِبَغْلَتِي، وَرَدَّ الْمَرَاكِبَ، وَ السُّرَادِقَاتِ وَالْفُرُشَ، وَالأَدْهَانَ، وَ الثِّيَابَ الْخَاصَّةَ بِالْخَلِيفَةِ، إِلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ.

وَ جَلَسَ لِلنَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثٍ، وَ حَمَلَهُمْ عَلَى الشَّرِيعَةِ، وَرَدَّ الْمَظَالِمَ، وأَحْيَى الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَسَارَ بِالْعَدْلِ، وَرَفَضَ الدُّنْيَا، وَزَهِدَ فِيهَا، وَنَهَى عَنِ الْقِيَامِ، وَابْتَدَأَ بِالسَّلَامِ، وَتَرَكَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ، وَتَرَكَ أَنْ يُخْدَمَ.

كَانَ عِنْدَهُ قَوْمٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَامَ إِلَى السِّرَاجِ فَأَصْلَحَهُ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَكْفِيكَ، قَالَ: وَمَاضَرَّنِي؟ قُمْتُ وَ أَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَ رَجَعْتُ وَ أَنَا عُمَرُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

وَأُتِيَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْفَيْءِ بِعَنْبَرَةٍ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَمَسَحَهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُفِعَتْ حَتَّى تُبَاعَ، ثُمَّ أَمَرَّ يَدَهُ عَلَى أَنْفِهِ، فَوَجَدَ رِيحَهَا، فَدَعَا بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ.

وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ يَأْتِيهِ بِقُمْقُمٍ مِّنْ مَاءٍ مُّسَخَّنٍ يَتَوَضَّأُ مِنْــهُ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ يَوْماً: أَتُسَخِّنُ الْمَاءَ فِي مَطْبَخِ الْمُسْلِمِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ! قَالَ: أَفْسَدْتَّهُ عَلَيْنَا، ثُمَّ حَاسَبَ تِلْكَ الْأَيَّامَ، وَأَدْخَلَ الْحَطَبَ فِي الْمَطْبَخِ، وَ أَبْطَأَ يَوْماً عَنِ الْجُمُعَةِ قَلِيلاً فَعُوقِبَ فِي ذٰلِكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا انْتَظَرْتُ قَمِيصِي غَسَلْتُــهُ أَنْ يَجِفَّ.

قَالَ أَزْهَرُ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَخْطُبُ النَّاسَ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ مَّرْقُوعٌ.

٢٧ اَلْخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

—(٢)—

وَ لَمْ يُحْــدِثْ عُمَرُ مُنْــذُ وَلِيَ دَابَّةً وَّ لَا امْرَأَةً وَّ لَا جَارِيَةً حَتَّىٰ لَحِقَ بِاللّٰهِ، وَلَمْ يُرَ ضَـاحِكاً مُّنْـذُ وَلِيَ الْخِلَافَةَ حَتَّىٰ لَقِيَ اللّٰهَ.

وَأَتَتْهُ سَلَّتَا رُطَبٍ مِّنَ الْأُرْدُنِّ، فَقَالَ: مَا هٰذَا؟ قَالُوا: رُطَبٌ مِّنَ الْأُرْدُنِّ، قَالَ: عَلَامَ جِيءَ بِهِ؟ قَالُوا: عَلَىٰ دَوَابِّ الْبَرِيدِ، قَالَ: فَمَا جَعَلَنِيَ اللّٰهُ أَحَقَّ بِدَوَابِّ

الْبَرِيْدِ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ ، أَخْرِجُوْهُمَا فَبِيعُوْهُمَا ، وَ اجْعَلُوْا ثَمَنَهُمَا فِي عَلَفِ دَوَابِّ الْبَرِيْدِ ، وَ اشْتَرَاهُمَا فِي السُّوْقِ ابْنُ أَخِيْهِ وَ أَهْدَىٰ إِحْدَاهُمَا إِلَيهِ ، فَأَكَلَ وَ قَالَ : الْآنَ طَابَ أَكْلُهُ.

وَ دَخَلَ عَلَىٰ بَنَاتِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَوَضَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِنَّ ، فَقَالَ لِلْحَاضِنَةِ : مَا شَأْنُهُنَّ ؟ قَالَتْ : لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُنَّ شَيْءٌ يَتَعَشَّيْنَهُ إِلَّا عَدَسٌ وَّ بَصَلٌ ، فَكَرِهْنَ أَنْ تَشُمَّ ذٰلِكَ مِنْ أَفْوَاهِهِنَّ ، فَبَكَىٰ عُمَرُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُنَّ : يَا بَنَاتِيْ مَا يَنْفَعُكُنَّ أَن تَعَشَّيْنَ الْأَلْوَانَ وَ يُمَرُّ بِأَبِيْكُنَّ إِلَى النَّارِ ، فَبَكَيْنَ حَتّٰى عَلَتْ أَصْوَاتُهُنَّ ، وَ وَضَعَ عُمَرُ حُلِيَّ زَوْجَتِهِ فِيْ بَيْتِ الْمَالِ ، وَ أَرْجَعَ مَزَارِعَهُ إِلىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِيْ عَهْدِ الرَّسُوْلِ ﷺ.

وَ إِذَا كَانَ فِيْ حَوَائِجِ الْعَامَّةِ كَتَبَ عَلَى الشَّمْعِ ، وَ إِذَا صَارَ إِلىٰ حَاجَةِ نَفْسِهِ دَعَا بِسِرَاجِهِ .

وَقَدْ أَغْنَىٰ عُمَرُ بْنُ عَبْدِالْعَزِيْزِ النَّاسَ ، حَتّٰى لَمْ يُوْجَدْ فَقِيْرٌ فِيْ بِلَادِ الْمُسْلِمِيْنَ ، وَلَمْ يُوْجَدْ أَحَدٌ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ .

وَكَانَ لَا يُؤَخِّرُ عَمَلَ الْيَوْمِ لِلْغَدِ ، وَلَا يَعْجِزُ ، قَالَ

بَعْضُ إِخْوَتِهِ: يَاأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَوْ رَكِبْتَ فَتَرَوَّحْتَ، قَالَ: فَمَنْ يَقْضِي شُغْلَ ذٰلِكَ الْيَوْمَ؟ قَالَ: تَقْضِيهِ مِنَ الْغَدِ، قَالَ: لَقَدْ ثَقُلَ عَمَلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَ عَمَلُ يَوْمَيْنِ؟

مَاتَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَنَةَ ١٠١هـ

(٢٨) فِي بَيْتِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه

قَالَ سَيِّدُنَا أَبُو أَيُّوبَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ:

«لَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ فِي بَيْتِي نَزَلَ فِي السُّفْلِ، وَأَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ فِي الْعُلُوِّ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللّٰهِ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! إِنِّي لَأَكْرَهُ وَأُعْظِمُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَكَ وَتَكُونَ تَحْتِي، فَاظْهَرْ أَنْتَ فَكُنْ فِي الْعُلُوِّ، وَنَنْزِلُ نَحْنُ فَنَكُونَ فِي السُّفْلِ، فَقَالَ: يَا أَبَا أَيُّوبَ! إِنَّ أَرْفَقَ بِنَا وَبِمَنْ يَغْشَانَا أَنْ نَكُونَ فِي سُفْلِ الْبَيْتِ.

قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللّٰهِ — ﷺ — فِي سُفْلِهِ وَكُنَّا فَوْقَهُ فِي الْمَسْكَنِ، فَلَقَدِ انْكَسَرَ حُبٌّ لَنَا فِيهِ مَاءٌ، فَقُمْتُ

أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا ، مَالَنَا لِحَافٌ غَيْرُهَا ، نَنْشِفُ بِهَا الْمَاءَ تَخَوُّفاً أَنْ يَقْطُرَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِيَهُ.

قَالَ : وَكُنَّا نَصْنَعُ لَهُ الْعَشَاءَ ، ثُمَّ نَبْعَثُ بِهِ إِلَيْهِ، فَإِذَا رَدَّ عَلَيْنَا فَضْلَهُ تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِهِ فَأَكَلْنَا مِنْهُ نَبْتَغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ حَتَّى بَعَثْنَا إِلَيْهِ لَيْلَةً بِعَشَائِهِ ، وَقَدْ جَعَلْنَا لَهُ فِيهِ بَصَلاً أَوْ ثُوماً ، فَرَدَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَلَمْ أَرَ لِيَدِهِ فِيهِ أَثَراً ، قَالَ : فَجِئْتُهُ فَزِعًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، رَدَدْتَ عَشَاءَكَ ، وَلَمْ أَرَ فِيهِ مَوْضِعَ يَدِكَ ، وَكُنْتَ إِذَا رَدَدْتَهُ عَلَيْنَا تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِكَ ، نَبْتَغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ.

قَالَ : إِنِّي وَجَدْتُ فِيهِ رِيحَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، وَأَنَا رَجُلٌ أُنَاجِي ، فَأَمَّا أَنْتُمْ فَكُلُوهُ.

قَالَ : فَأَكَلْنَاهُ ، وَلَمْ نَصْنَعْ لَهُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بَعْدُ .

(سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ)

٢٩ اَلْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ

وُلِدَ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَّ تِسْعِيْنَ فِى الْمَدِيْنَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، وَ سَمِعَ الزُّهْرِيَّ وَ نَافِعًا مَّوْلَى ابْنِ عُمَرَ ، وَأَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ رَبِيْعَةَ الرَّأْيِ ، وَقَالَ : قَلَّ رَجُلٌ كُنْتُ أَتَعَلَّمُ مِنْهُ مَامَاتَ حَتَّىٰ يَجِيْئَنِيْ وَ يَسْتَفْتِيَنِيْ .

وَكَانَ لَهُ شَأْنٌ عَظِيْمٌ فِى الْعِلْمِ يَرْحَلُ النَّاسُ إِلَيْهِ مِنَ الْآفَاقِ ، وَ يَزْدَحِمُوْنَ عَلَىٰ بَابِهِ لِأَخْذِ الْحَدِيْثِ وَ الْفِقْهِ كَازْدِحَامِهِمْ عَلَىٰ بَابِ السُّلْطَانِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَفْتَخِرُوْنَ بِالرِّوَايَةِ عَنْهُ ، وَكَانَ ذٰلِكَ شَرَفًا كَبِيْرًا فِىْ عَصْرِهِ ، فَإِذَا قَالَ أَحَدٌ : حَدَّثَنِيْ مَالِكٌ ، رَفَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ أَبْصَارَهُمْ .

وَكَانَ إِلَيْهِ الْمُنْتَهَىٰ فِى الْفِقْهِ وَ الْفَتْوَىٰ . قَالَ ابْنُ وَهَبٍ : سَمِعْتُ مُنَادِيًا يُّنَادِيْ بِالْمَدِيْنَةِ : أَلَا ، لَا يُفْتِى النَّاسَ إِلَّا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، وَّابْنُ أَبِيْ ذِئْبٍ ، وَمِنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ : لَا يُفْتَىٰ وَ مَالِكٌ فِى الْمَدِيْنَةِ .

وَكَانَ كَثِيْرَ الْأَدَبِ ، شَدِيْدَ التَّعْظِيْمِ لِحَدِيْثِ رَسُوْلِ

اللهِ ﷺ ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَدِّثَ اغْتَسَلَ وَ تَطَيَّبَ وَلَبِسَ ثِيَاباً جُدُداً ، وَ تَعَمَّمَ وَقَعَدَ بِخُشُوعٍ وَّخُضُوعٍ وَّوَقَارٍ ، وَتَبَخَّرَ بِالْعُوْدِ مِنْ أَوَّلِهِ فَلاَ يَزَالُ يَتَبَخَّرُ إِلَىٰ فَرَاغِهِ ، وَقِيْلَ لَهُ فِيْ ذٰلِكَ ، فَقَالَ : أُحِبُّ أَنْ أُعَظِّمَ حَدِيْثَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ ، وَلاَأُحَدِّثَ بِهِ إِلاَّمُتَمَكِّناً عَلَىٰ طَهَارَةٍ ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُحَدِّثَ عَلَى الطَّرِيْقِ ، أَوْ مُسْتَعْجِلاً ، وَيَقُوْلُ : أُحِبُّ أَنْ أَتَفَهَّمَ مَا أُحَدِّثُ بِهِ عَنْ رَّسُوْلِ اللهِ ﷺ .

قَالَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ مُبَارَكٍ : كُنْتُ عِنْدَ مَالِكٍ ، وَّهُوَ يُحَدِّثُنَا ، فَلَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ سِتَّ عَشَرَةَ مَرَّةً ، وَمَالِكٌ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ ، وَلاَ يَقْطَعُ الْحَدِيْثَ ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ قَالَ : إِنَّمَا صَبَرْتُ إِجْلاَلاً لِّلْحَدِيْثِ .

وَكَانَ لاَيَرْكَبُ فِي الْمَدِيْنَةِ عَلَىٰ ضُعْفِهِ وَكِبَرِ سِنِّهِ ، وَ يَقُوْلُ : لاَ أَرْكَبُ فِيْ مَدِيْنَةٍ فِيْهَا جُثَّةُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ مَدْفُوْنَةٌ .

وَكَانَ مَجْلِسُهُ مَجْلِسَ وَقَارٍ وَّحِلْمٍ ، وَّكَانَ رَجُلاً مَهِيْباً نَّبِيْلاً ، لَيْسَ فِيْ مَجْلِسِهِ شَيْءٌ مِّنَ الْمِرَاءِ وَاللَّغَطِ ،

وَ لَارَفْعُ صَوْتٍ ، وَكَانَ الْغُرَبَاءُ يَسْأَلُوْنَهُ عَنِ الْحَدِيْثِ فَلَا يُجِيبُ إِلَّا فِي الْحَدِيْثِ بَعْدَ الْحَدِيْثِ .

سَأَلَ هَارُوْنُ الرَّشِيْدُ مَالِكًا أَنْ يَأْتِيَ فَأَبَى ، فَأَتَى هَارُوْنُ مَالِكًا ، وَهُوَ فِيْ مَنْزِلِهِ ، وَمَعَهُ بَنُوْهُ ، وَسَأَلَ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : مَاقَرَأْتُ عَلَى أَحَدٍ مُنْذُ زَمَانٍ ، وَإِنَّمَا يُقْرَأُ عَلَيَّ ، فَقَالَ هَارُوْنُ : أَخْرِجِ النَّاسَ حَتَّى أَقْرَأَ أَنَا عَلَيْكَ ، فَقَالَ : إِذَا مُنِعَ الْعَامُّ لِبَعْضِ الْخَاصِّ لَمْ يَنْتَفِعِ الْخَاصُّ .

وَدَخَلَ مَالِكٌ عَلَى أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ مَنْصُوْرٍ ، وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ إِذْ جَاءَ صَبِيٌّ يَخْرُجُ ثُمَّ يَرْجِعُ ، فَقَالَ لِيْ : أَتَدْرِيْ مَنْ هٰذَا ؟ فَقُلْتُ : لَا ، قَالَ : ابْنِيْ ، وَإِنَّمَا يَفْزَعُ مِنْ هَيْبَتِكَ .

وَفِيْ سَنَةِ سَبْعٍ وَّ أَرْبَعِيْنَ وَ مِائَةٍ ضُرِبَ مَالِكٌ سَبْعِيْنَ سَوْطاً لِّأَجْلِ فَتْوًى لَمْ تُوَافِقْ غَرَضَ السُّلْطَانِ ، فَغَضِبَ وَدَعَا بِهِ ، وَجَرَّدَهُ وَضَرَبَهُ بِالسِّيَاطِ ، وَمُدَّتْ يَدُهُ حَتَّى انْخَلَعَتْ كَتِفُهُ ، فَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذٰلِكَ الضَّرْبِ فِيْ عُلُوٍّ وَّ رِفْعَةٍ ، وَكَأَنَّمَا كَانَتْ تِلْكَ السِّيَاطُ حَلْياً حُلِّيَ بِهِ .

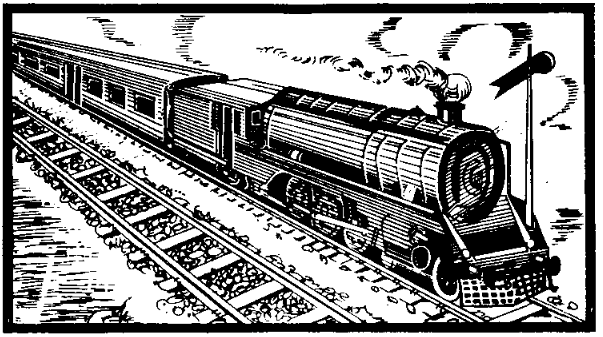
وَ كِتَابُهُ الْمُوَطَّأُ مِنْ أَشْهَرِ كُتُبِ الْحَدِيْثِ ، وَمِنَ

الْكُتُبِ الْمَقْبُوْلَةِ فِي الْاسْلَامِ ، رَزَقَكَ اللّٰهُ قِرَاءَتَهُ ، وَ الْإِنْتِفَاعَ بِهِ ، وَسَيَكُوْنُ ذٰلِكَ (إِنْ شَاءَ اللّٰهُ) فِيْ بِضْعِ سِنِيْنَ إِذَا تَقَدَّمْتَ فِي الْعِلْمِ .

تُوُفِّيَ مَالِكٌ سَنَةَ تِسْعٍ وَّسَبْعِيْنَ وَمِائَةٍ .

(٣٠) أَلْقَاطِرَةُ

—(١)—



ذَهَبَ رَشِيْدٌ مَّعَ أَبِيْهِ سَعِيْدٍ إِلَى الْمَحَطَّةِ يَسْتَقْبِلُ أَخَاهُ مَحْمُوْداً ، وَكَانَ قَادِماً مِّنْ دِيُوْبَنْد فِيْ مُسَامَحَةِ عِيْدِ الْأَضْحَىٰ .

وَكَانَ الْقِطَارُ مُتَأَخِّرًا ، فَأَخَذَ سَعِيدٌ يَتَجَوَّلُ عَلَى الْمَحطةِ يُحَدِّثُ رَشِيدًا عَنِ الْقِطَارِ وَنِظَامِ الْمَحَطَّةِ، وَانْتَقَلَ مَعَهُ إِلَى رَصِيفٍ آخَرَ .

وَكَانَ قِطَارٌ وَاقِفًا هُنَا تَصْفِرُ قَاطِرَتُهُ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا بُخَارٌ كَثِيفٌ مُتَصَاعِدٌ

قَالَ رَشِيدٌ : حَدِّثْنِي الْيَوْمَ يَاأَبِيْ! عَنِ الْقَاطِرَةِ كَيْفَ تَجُرُّ الْقِطَارَ ، وَكَيْفَ تُسْرِعُ فِي السَّيْرِ ؟

قَالَ سَعِيدٌ : لَقَدْ سَأَلْتَ بِهِ خَبِيرًا فَقَدْ كُنْتُ مُوَظَّفًا فِي الْقِطَارِ ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْهَا فِيْ تَفْصِيلٍ ، فَقُمْ بِجَانِبِيْ أَمَامَ هٰذِهِ الْقَاطِرَةِ وَلَاحِظْهَا .

أُنْظُرْ يَارَشِيدُ! إِلَى الْقَاطِرَةِ تَرَهَا صُنِعَتْ مِنَ الْحَدِيدِ، وَلَهَاسِتُّ عَجَلَاتٍ تَسِيرُ عَلَيْهَا وَهِيَ قَوِيَّةٌ جِدًّا كَأَنَّهَا عِفْرِيْتٌ مِّنَ الْجِنِّ ، تَجُرُّ قِطَارَ الْبِضَاعَةِ، وَهُوَ طَوِيْلٌ وَّثَقِيلٌ جِدًّا، وَتَجر قِطَارَ الرُّكَّابِ وَفِيهِ النَّاسُ وَ أَثْقَالُهُمْ ، وَتَجُرُّ الْقِطَارَ السَّبَّاقَ ، وَهُوَ أَسْرَعُ الْقُطُرِ يَقْطَعُ خَمْسَةً وَّ أَرْبَعِيْنَ مِيْلاً فِي السَّاعَةِ .

وَ الْقِطَارُ السَّرِيْعُ يَقْطَعُ نَحْوَ أَرْبَعِيْنَ مِيْلاً فِي

السَّاعَةِ ، وَ الْقِطَارُ الْوَقَّافُ يَقْطَعُ نَحْوَ ثَلاثِيْنَ مِيْلاً فِي السَّاعَةِ ، تَجُرُّ الْقِطَارَ مِنْ أَقْصَى الْهِنْدِ إِلىٰ أَقْصَاهَا ، مَثَلاً مِنْ بَمْبَئْ إِلَى بِشَاوَرَ ، وَمِنْ دِهْلِيْ إِلىٰ مَدْرَاسَ .

وَقُوَّةُ هٰذِهِ الْقَاطِرَةِ إِنَّمَا هِيَ الْبُخَارُ الْحَقِيْرُ الَّذِيْ لَاتَعْبَأُ بِهِ ، وَلَا تُحَاسِبُ لَهُ حِسَاباً ، وَّقَدِ اهْتَدَىٰ "اسْتِيفنسن" مُخْتَرِعُ الْقِطَارِ إِلَىٰ قُوَّةِ هٰذَا الْبُخَارِ ، وَاهْتَدَىٰ إِلىٰ تَسْخِيْرِهِ وَ الْاِنْتِفَاعِ بِهِ فِي الْأَغْرَاضِ ، وَعَلِمَ بِعَقْلِهِ وَدِرَاسَتِهِ أَنَّهُ بِقُوَّتِهِ يَحْمِلُ الْأَثْقَالَ ، وَيَنْقُلُ الْجِبَالَ ، وَيأْتِيْ بِالْعَجَائِبِ .

وَ ذٰلِكَ هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْجَاهِلِ وَ الْعَالِمِ ، وَ بَيْنَ الْعَامِيِّ وَ الْمُكْتَشِفِ ، يَرَى الْأَوَّلُ كُلَّ شَيْءٍ فَلَا يَرْفَعُ بِهِ رَأْسًا ، وَلَا يُلْقِيْ عَلَيْهِ بَالًا ، وَيَرَاهُ الثَّانِيْ فَيَعْرِفُ قِيْمَتَهُ وَيَجْتَهِدُ فِيْهِ ، حَتّىٰ يُسَخِّرَهُ لِغَرَضِهِ .

(٣١) أَلْقَاطِرَةُ

(٢)

أُنْظُرْ يَارَشِيْدُ ! إِلَىٰ هٰذَا الْمُوْقِدِ فِي الْقَاطِرَةِ ، يُلْقِيْ فِيْهِ الرَّجُلُ الْفَحْمَ الْحَجَرِيَّ ، وَفَوْقَ هٰذَا الْمُوْقِدِ حَوْضٌ مِنْ مَّاءٍ مَّتِيْنٌ جِدًّا وَفِيْهِ أَنَابِيْبُ عَدِيْدَةٌ يَسْخُنُ هٰذَا الْمَاءُ

بِالنَّارِ وَ يَتَحَوَّلُ بُخَارًا، وَيَنْتَقِلُ هٰذَا الْبُخَارُ إِلَى الْأَنَابِيبِ

وَتَعَالَ مَعِيَ نَدْخُلْ فِي الْقَاطِرَةِ ، فَإِنَّ سَائِقَهَا مِنْ أَصْدِقَائِي . وَهُنَا تَفْهَمُ تَرْكِيبَ الْقَاطِرَةِ جَيِّدًا .

أُنْظُرْ إِلَى الْأَنَابِيبِ، إِنَّهَا مُتَّصِلَةٌ بِهٰذِهِ الْآلَاتِ الدَّقِيقَةِ الَّتِي تُدِيرُ عَجَلَاتِ الْقَاطِرَةِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ هٰذَا الْبُخَارُ فِي الْأَنَابِيبِ دَفَعَ بِقُوَّتِهِ الْآلَاتِ ، فَأَدَارَهَا وَ بِدَوَرَانِهَا تَدُورُ الْعَجَلَاتُ ، وَتَسِيرُ الْقَاطِرَةُ .

وَهٰذَا هُوَ الْوَقَّادُ الَّذِي يُرَاقِبُ النَّارَ وَ الْمَاءَ، وَيُشْرِفُ عَلَيْهِمَا . وَهٰذَا صَدِيقُنَا السَّائِقُ ، وَإِذَا كَانَتِ الْقَاطِرَةُ تَجُرُّ الْقِطَارَ ، وَ تُوصِلُ الرُّكَّابَ مِنْ دِيَارٍ إِلَى دِيَارٍ، فَصَاحِبُنَا يَسُوقُ الْقَاطِرَةَ ، فَهُوَ مِفْتَاحُ الْقِطَارِ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْفَضْلُ فِي سَيْرِ الْقِطَارِ وَهُوَ يَسْهَرُ عَلَى عَمَلِهِ، وَيَقُومُ بِوَاجِبِهِ بِأَمَانَةٍ وَّجِدٍّ ، وَكَذٰلِكَ أَمِينُ الْقِطَارِ يَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ مِنَ الرُّكَّابِ، فَإِنَّهُ يُلَاحِظُ الطَّرِيقَ وَيَلْحَظُ وُقُوفَ الْقِطَارِ وَسَيْرَهُ ، وَ السَّائِقُ وَ الْقَاطِرَةُ طَوْعُ إِشَارَتِهِ، فَإِذَا هَزَّ الْبَيْرَقَ الْأَحْمَرَ وَقَفَ الْقِطَارُ ، وَإِذَا هَزَّ الْبَيْرَقَ الْأَخْضَرَ تَحَرَّكَ الْقِطَارُ .

وَانْظُرْ إِلَىٰ هٰذِهِ الآلَةِ الَّتِي فِي يَدِ السَّائِقِ هٰذِهِ... فَإِذَا رَفَعَهَا السَّائِقُ إِلَىٰ فَوْقُ، انْدَفَعَ الْبُخَارُ وَسَارَتِ الْقَاطِرَةُ، وَإِذَا ضَغَطَ عَلَيْهَا سَكَنَ الْبُخَارُ وَهَدَأَتِ الْقَاطِرَةُ، حِينَئِذٍ يَضْغَطُ السَّائِقُ عَلَىٰ آلَةٍ أُخْرَىٰ، وَهِيَ هٰذِهِ وَتُسَمَّى الْمِصَدَّ، وَتَقِفُ الْقَاطِرَةُ مِنْ سَاعَتِهَا، وَ الْعَرَبَاتُ كُلُّهَا مُرَكَّبَةٌ بِالْقَاطِرَةِ تَسِيرُ بِسَيْرِهَا، وَتَقِفُ بِوُقُوفِهَا.

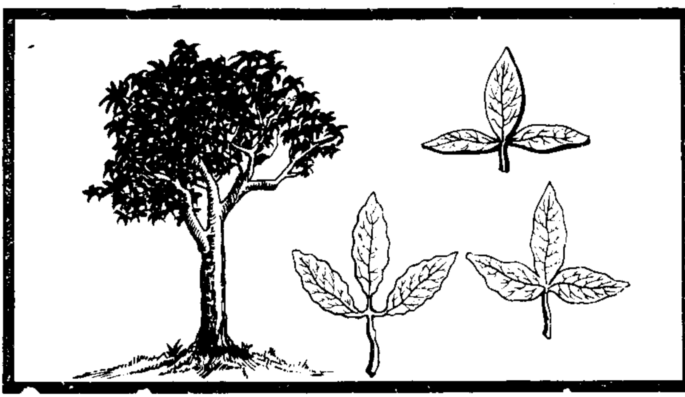
وَهٰذَا هُوَ الْخَطُّ الْحَدِيدِيُّ الَّذِي يَسِيرُ عَلَيْهِ الْقِطَارُ، وَ لَوْلَا هُوَ لَغَاصَ الْقِطَارُ فِي الْأَرْضِ، لِأَنَّ التُّرْبَةَ لَا تَحْمِلُ ثِقْلَ الْقِطَارِ.

هٰذِهِ هِيَ الْقَاطِرَةُ الَّتِي تَجُرُّ الْقِطَارَ، وَهٰذَا هُوَ الْقِطَارُ الَّذِي يُوصِلُ الرُّكَّابَ مِنْ دِيَارٍ إِلَىٰ دِيَارٍ، وَيَحْمِلُ أَثْقَالَ النَّاسِ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ يَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ

أُنْظُرْ يَا رَشِيدُ! كَيْفَ أَلْهَمَ اللّٰهُ الْإِنْسَانَ الْحِكْمَةَ وَ الصِّنَاعَةَ، وَ رَزَقَهُ الْعَقْلَ الَّذِي يُسَخِّرُ بِهِ الْحَدِيدَ وَالْبُخَارَ. أَفَلَا يَحِقُّ لَكَ أَنْ تَقُولَ إِذَا رَكِبْتَ الْقِطَارَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ».

٣٢ جِسْمُ النَّبَاتِ

—(١)—



كَانَ أَمَامَ بَيْتِ عَبَّاسٍ حَدِيْقَةٌ فِيْهَا أَنْوَاعُ الشَّجَرِ وَ النَّبَاتِ ، قَالَ لَهُ أَبُوْهُ عُمَرُ مَرَّةً فِيْ يَوْمِ عُطْلَةٍ : هَلْ رَأَيْتَ يَاعَبَّاسُ ! حَدِيْقَةَ الدَّارِ ؟ .

قَالَ عَبَّاسُ : كَيْفَ لَا يَا أَبِيْ ! وَهِيَ حَدِيْقَةُ دَارِنَا ، أَلْعَبُ فِيْهَا كُلَّ يَوْمٍ وَأَتَرَدَّدُ إِلَيْهَا صَبَاحَ مَسَاءَ .

قَالَ عُمَرُ : مَا أَظُنُّكَ رَأَيْتَهَا ! فَتَعَالَ مَعِيَ نَتَمَشَّ فِي الْحَدِيْقَةِ وَنَدْرُسُ النَّبَاتَ ، فَإِنَّهُ مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِ اللهِ ، وَكِتَابٌ يَجِبُ أَنْ تُطَالِعَهُ .

خَرَجَ عُمَرُ وَ عَبَّاسُ إِلَى الْحَدِيْقَةِ ، فَرَأَىٰ عَبَّاسُ

الْبُسْتَانِيَّ يُصْلِحُ قِطْعَــةً مِّنَ الْأَرْضِ ، و يُنَحِّي الْحَجَر وَ الْخزَفَ، ويَقْلَعُ الْحَشَائِشَ وَالْأَعْشَابَ ، فَسَأَلَ عَبَّاسُ أَبَاهُ عَنْ ذٰلِكَ .

قَالَ عُمَرُ : الرَّجُلُ يُصْلِحُ الْأَرْضَ وَيُهَيِّئُهَا لِغَرْسِ الْأَشْجَارِ، فَإِذَا بَقِيَتِ الْأَحْجَارُ و الْخَزَفُ لَمْ يَثْبُتِ الْفَسِيلُ فِي الْأَرْضِ ، وَلَمْ تَمْتَدَّ جُذُوْرُهُ فِيْ بَاطِنِ الْأَرْضِ ، وَ إِذَا تُرِكَتْ هٰذِهِ الْحَشَائِشُ الشَّيْطَانِيَّةُ امْتَصَّتْ غِــذَاءَ الْفَسِيْلِ وَذَوَى الْفَسِيْلُ ، وَالْبُسْتَانِيُّ النَّاصِحُ الْمُجْتَهِدُ يَحْرُثُ الْأَرْضَ كَمَا يَحْرُثُ الْفَلَّاحُ الْحَقْلَ ، وَيُلْقِيْ فِيْهَا السَّمَادَ وَ يَسْقِيْهَا كُلَّ يَوْمٍ ، حَتَّىٰ تُصْبِحَ الْأَرْضُ رِخْوَةً كَرِيْمَةً ، تَقْبَلُ كُلَّ مَا يُلْقَىٰ فِيهَا .

ثُمَّ يَغْرِسُ الْفَسَائِلَ فِيْ مَكَانٍ تَصِلُ إِلَيْهِ الشَّمْسُ كُلَّ يَوْمٍ .

هُنَا قَاطَعَهُ عَبَّاسٌ وَقَالَ : وَهَلْ يَحْتَاجُ النَّبَاتُ أَيْضاً إِلَى الشَّمْسِ ؟

قَالَ عُمَرُ : نَعَمْ ! يَاعَبَّاسُ !فَالنَّبَاتُ جِسْمٌ حَيٌّ نَامٍ يَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَالْهَوَاءِ وَالْمَاءِ .

وَ اسْتَمَرَّ عُمَرُ فِي حَدِيثِهِ « ثُمَّ يَغْرِسُ الْفَسَائِلَ فِي صَفٍّ وَّ يَتْرُكُ بَيْنَ فَسِيلَيْنِ فُسْحَةً يُمْكِنُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يَمْتَدَّ فِيهَا ، وَلاَ يُضَايِقَ بَعْضُهَا بَعْضاً .

وَيَحْسُنُ أَنْ تَكُونَ الْفَسَائِلُ أَتْرَاباً فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ ، وَ إِذَا كَانَتْ ذَاتَ أَزْهَارٍ فَلِأَزْهَارِهَا مِيعَادٌ وَّاحِدٌ ، لِيَتِمَّ جَمَالُ كُلِّ صَفٍّ مِّنْ صُفُوفِهَا .

وَلاَ يَسْتَرِيحُ الْبُسْتَانِيُّ بَعْدَ ذٰلِكَ ، بَلْ يَسْهَرُ عَلَىٰ هٰذَا الْفَسَائِلِ ، فَلاَ يَزَالُ يَسْقِيهَا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ ، وَّ يَقْلَعُ الْحَشَائِشَ ، وَيَعْزِقُ الْأَرْضَ حَوْلَهَا ، فَيَجْعَلُ بَاطِنَهَا ظَاهِرَهَا » .

هُنَا فَرَغَ الْبُسْتَانِيُّ مِنْ إِصْلاَحِ الْأَرْضِ وَ ذَهَبَ يَنْقُلُ فَسِيلاً ، فَتَبِعَهُ عُمَرُ وَعَبَّاسٌ ، وَوَقَفَا بِجَانِبِهِ .

٣٣ جِسْمُ النَّبَاتِ

(٢)

حَفَرَ الْبُسْتَانِيُّ الْأَرْضَ حَوْلَ الْفَسِيْلِ بِاحْتِرَاسٍ، كَأَنَّهُ يَخَافُ شَيْئًا، فَسَأَلَ عَبَّاسٌ وَالِدَهُ عَنْ ذٰلِكَ، وَقَالَ: لِمَاذَا يَتَوَانَى الْبُسْتَانِيُّ فِيْ شُغْلِهِ، وَلَا يُعَجِّلُ؟

قَالَ عُمَرُ: هُوَ يَخَافُ أَنْ يَقْطَعَ بَعْضَ الْجُذُوْرِ فَيَضُرَّ بِالْفَسِيْلِ، وَرُبَّمَا يَمُوْتُ، لِأَنَّ الْجُذُوْرَ لَازِمَةٌ لِلشَّجَرَةِ وَبِهَا حَيَاتُهَا.

قَالَ عَبَّاسٌ: وَمَا فَائِدَةُ الْجُذُوْرِ وَمَا شُغْلُهَا حَتَّى لَاتَحْيَا الشَّجَرَةُ بِغَيْرِهَا.

قَالَ عُمَرُ: اَلنَّبَاتُ إِنَّمَا يَثْبُتُ فِي الْأَرْضِ بِالْجُذُوْرِ فَهِيَ الَّتِيْ تَمْتَصُّ الْغِذَاءَ مِنَ الْأَرْضِ، وَتَبْحَثُ عَنْهُ، أَلَا تَرَاهَا مُمْتَدَّةً مُتَشَعِّبَةً فِيْ بَاطِنِ الْأَرْضِ، كَأَنَّهَا جَوَاسِيْسُ وَعُيُوْنٌ قَدِ انْبَثَّتْ لِعَمَلِهَا.

عَبَّاسٌ: وَمَا هِيَ الْأَجْزَاءُ اللَّازِمَةُ لِلنَّبَاتِ غَيْرَ الْجُذُوْرِ؟

قَالَ عُمَرُ: مِنَ الْأَعْضَاءِ اللَّازِمَةِ لِلنَّبَاتِ السَّاقُ،

وَهُــوَ الْجُزْءُ الْبَـارِزُ عَلَى الْأَرْضِ ، وهو الَّذِىْ يَحْمِلُ الْفُرُوْعَ وَالْأَوْرَاقَ، وَيَسِيْلُ فيه غِذَاءُ الشَّجَرَةِ ، وَ يَنْتَقِلُ إِلَى أَجْزَائِهَا .

وَ الْآخَرُ اللَّازِمُ لِلنَّبَاتِ الْأَوْرَاقُ وَبِهَا يَتَنَفَّسُ النَّبَاتُ ، وَ يَأْخُذُ مِنَ الْهَوَاءِ مَايُصْلِحُ بِهِ حَيَاتَهُ.

وَهٰذِهِ الثَّلَاثَةُ : الْجُذُوْرُ، وَالسَّاقُ، وَالْأَوْرَاقُ، هِيَ أَعْضَاءُ النَّبَاتِ اللَّازِمَةُ لِحَيَاتِهِ وَنَمَائِهِ ، وَيَكْفِيْكَ يَاعَبَّاسُ؛ هٰذَا الدَّرْسُ الْأَوَّلُ عَنِ النَّبَاتِ .

قَالَ عَبَّاسٌ : عَجَبًا يَا أَبِىْ ، مَاكُنْتُ أَعْرِفُ مِنْ قَبْلُ أَنَّ النَّبَاتَ جِسْمٌ حَيٌّ نَامٍ، لَهُ تَرْكِيْبٌ دَقِيْقٌ .

قَالَ عُمَرُ : وَكَذٰلِكَ كُلُّ شَيْءٍ، فَإِذَا دَرَسْتَهُ كَكِتَابٍ تَعَجَّبْتَ مِنْ صُنْــعِ اللهِ الَّذِىْ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَعَرَفْتَ أَنَّ فِىْ كُلِّ شَيْءٍ آيَةً لِلّٰهِ ، وَفِىْ ذٰلِكَ يَقُوْلُ الشَّاعِرُ :

وَ لِلّٰهِ فِىْ كُلِّ تَحْرِيْكَةٍ
وَفِىْ كُلِّ تَسْكِيْنَةٍ شَاهِدُ
وَ فِىْ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِــدُ

(٣٤) أَلْبَبْغَاءُ

أَلِفْتُهَا صَبِيحَةً مَلِيحَةْ
نَاطِقَةً بِاللُّغَةِ الْفَصِيحَةْ
عُدَّتْ مِنَ الْأَطْيَارِ وَاللِّسَانُ
يُوهِمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ
تُنْهِي إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارَا
وَ تَكْشِفُ الْأَسْرَارَ وَ الْأَسْتَارَا
بَكْمَاءُ إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَةْ
تُعِيدُ مَاتَسْمَعُهُ طَبِيعَةْ
زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةْ
وَاسْتَوْطَنَتْ عِنْدَكَ كَالْقَعِيدَةْ
ضَيْفٌ قِرَاهُ الْجَوْزُ وَ الْأَرُزُّ
وَ الضَّيْفُ فِيْ إِتْيَانِهِ يُعَزُّ
تَرَاهُ فِيْ مِنْقَارِهِ الرَّقِيقِ
كَلُؤْلُؤٍ يَلْقُطُ بِالْعَقِيقِ

تَنْظُرُ مِنْ طَرْفَيْنِ كَالْفَصَّيْنِ
فِي النُّوْرِ وَ الظُّلْمَةِ بَصَّاصَيْنِ
خَرِيْدَةٌ خُدُوْرُهَا الْأَقْفَاصُ
لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبْسِهَا خَلَاصُ
تَحْبِسُهَا وَ مَالَهَا مِنْ ذَنْبٍ
وَ إِنَّمَا ذَاكَ لِفَرْطِ الْحُبِّ
(أَبُوْإِسْحٰق الصَّابِيُّ)

٣٥ أَلْحَجَّاجُ وَالْفِتْيَةُ

أَمَرَ الْحَجَّاجُ صَاحِبَ حَرَسِهِ أَنْ يَّطُوْفَ لَيْلاً، فَمَنْ رَآهُ بَعْدَ الْعِشَاءِ سَكْرَانَ ضَرَبَ عُنُقَهُ، فَطَافَ لَيْلَةً مِّنَ اللَّيَالِيْ فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ فِتْيَانٍ يَّتَمَايَلُوْنَ، وَ عَلَيْهِمْ أَمَارَاتُ السُّكْرِ، فَأَحَاطَتْ بِهِمُ الْغِلْمَانُ وَقَالَ لَهُمْ صَاحِبُ الْحَرَسِ:

مَنْ أَنْتُمْ حَتّٰى خَالَفْتُمْ أَمْرَ أَمِيْرِالْمُؤْمِنِيْنَ، وَخَرَجْتُمْ فِيْ مِثْلِ هٰذَا الْوَقْتِ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمْ.

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتِ الرِّقَابُ لَهُ
مِنْ بَيْنِ مَخْزُوْمِهَا وَ هَاشِمِهَا

تَأْتِيــهِ بِالرَّغْــمِ وَ هِيَ صَــاغِرَةٌ

يَأْخُذُ مِنْ مَّالِهَا وَمِنْ دَمِهَا

فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ: لَعَلَّهُ مِنْ أَقَارِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ.

ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ: وَ أَنْتَ مَنْ تَكُوْنُ ؟ فَقَالَ:

أَنَا ابْنُ مَنْ لَاّ تَـنْزِلُ الدَّهْرَ قِـدْرُهُ

وَ إِنْ نَزَلَتْ يَوْماً فَسَوْفَ تَعُوْدُ

تَرَى النَّـاسَ أَفْوَاجًا إِلَىٰ ضَوْءِ نَارِهِ

فَمِــنْهُمْ قِيَـامٌ حَوْلَهَـا وَ قُـعُوْدُ

فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَ قَالَ: لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْرَفِ الْعَرَبِ.

ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ: وَأَنْتَ مَنْ تَكُوْنُ؟ فَأَنْشَدَ قَائِلاً:

أَنَا ابْنُ مَنْ خَاضَ الصُّفُوْفَ بِعَزْمِــهِ

وَ قَوَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّىٰ اسْتَقَـامَتِ

رِكَابَاهُ لَاتَنْفَكُّ رِجْـلَاهُ مِنْهُـمَا

إِذَا الْخَيْلُ فِيْ يَوْمِ الْكَرِيْهَةِ وَلَّتِ

فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَ قَالَ: لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْجَعِ الْعَرَبِ، وَ احْتَفَظَ بِهِمْ.

فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى الْأَمِيْرِ، فَأَحْضَرَهُمْ

وَكَشفَ عَنْ حَالِهِمْ، فَإذَا الْأَوَّلُ ابْنُ حَجَّامٍ ، وَّالثَّانِي ابْنُ خُضَرِيٍّ ، وَّالثَّالثُ ابْنُ حَائِكٍ ، فَتعجَّبَ مِنْ فَصَاحَتِهِمْ ، وَقَالَ لِجُلَسَائِهِ: عَلِّمُوْا أَوْلاَدَكُمُ الْأَدبَ ، فَوَاللهِ لَوْلاَ فَصَاحَتُهُمْ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ .

٣٦ أَنَا تُرَابٌ

أَنَا تُرَابٌ حَقِيْرٌ يَّطَأُنِي النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ وَنِعَالِهِمْ، وَ يَضْرِبُوْنَ بِيْ مَثَلاً فِي الْحَقَارَةِ وَ الذُّلِّ .

اَلنَّاسُ يَنْتَفِعُوْنَ بِيْ فِيْ كُلِّ سَاعَةٍ ، وَّفِيْ كُلِّ مَكَانٍ وَّزَمَانٍ، ثُمَّ يَحْتَقِرُوْنَنِيْ وَ يَهْجُوْنَنِيْ، كَالشَّعِيْرِ يُؤْكَلُ وَيُذَمُّ.

فَفِيْ مَنَاكِبِيْ يَمْشِي النَّاسُ ، وَعَلَىٰ ظَهْرِيْ يَبْنُوْنَ بُيُوْتًا وَّمَبَانِيَ عَظِيْمَةً ، وَّمِنْ بَطْنِيْ تَخْرُجُ لِلنَّاسِ حُبُوْبٌ يَّأْكُلُهَا النَّاسُ ، وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَّالزَّيْتُوْنُ وَالرُّمَّانُ، وَ النَّخْلُ وَ الزَّرْعُ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ.

وَ مِنْ بَطْنِيْ يَخْرُجُ ذٰلِكَ الْقُطْنُ الَّذِيْ بِهٖ لِبَاسُكُمْ وَ كِسْوَتُكُمْ فِي الصَّيْفِ وَ الشِّتَاءِ ،وَسَرَابِيْلُ تَقِيْكُمُ الْحَرَّ.

وَ فِيْ لِبَاسِ الْحَرِيْرِ أَيْضاً يَرْجِعُ إِلَيَّ الْفَضْلُ ، فَإِنَّ دُوْدَةَ الْقَزِّ تَتَغَذّٰى مِنْ وَّرَقِ التُّوْتِ ، وَمِنِّيْ تَتَغَذّٰى شَجَرَةُ التُّوْتِ ، وَ عَلَيَّ تَنْمُوْ وَ تَعِيْشُ ، وَ عَلىٰ ظَهْرِيْ تَحْفِرُوْنَ الْبِئْرَ الَّتِيْ تَشْرَبُوْنَ مَاءَهَا ، وَ عَلىٰ ظَهْرِيْ تَجْرِيْ الْأَنْهَارُ الَّتِيْ تَسْقِيْكُمْ ، وَتَسْقِيْ زُرُوْعَكُمْ .

وَ مِنَ الطِّيْنِ يَبْنِي الْفَخَّارِيُّ الْأَوَانِيَ وَ الظُّرُوْفَ ، الَّتِيْ تَأْكُلُوْنَ فِيْهَا وَ تَشْرَبُوْنَ ، وَ اللُّعَبُ وَ الدُّمَى الَّتِيْ يَلْعَبُ بِهَا الْأَطْفَالُ .

وَ هَــلْ تُصَدِّقُوْنَ إِذَا أَخْبَرْتُكُمْ بِأَنِّيْ مَادَّةُ هٰــذَا الْـكِتَابِ الَّذِيْ تَقْرَأُوْنَهُ ، وَ مَادَّةُ كُلِّ كِتَابٍ وَّصَحِيْفَةٍ ، فَإِنَّ مَادَّةَ الْوَرَقِ الْحَشِيْشُ الَّذِيْ يَنْبُتُ فِي الْأَرْضِ ، فَلِيَ مِنَّةٌ عَلىٰ كُلِّ عَالِمٍ وَّ طَالِبٍ ، وَلِيَ مِنَّةٌ عَلىٰ كُلِّ مَنْ عَلَيْهِ مِنَّةُ الْعِلْمِ وَ الدِّيْنِ .

وَ مِنْ بَطْنِيْ يَخْرُجُ الذَّهَبُ وَ الْفِضَّةُ ، وَالنُّحَاسُ وَ الْحَدِيْدُ ، الَّذِيْ فِيْهِ بَأْسٌ شَدِيْدٌ وَّ مَنَافِــعُ لِلنَّاسِ ، وَ الزَّيْتُ الَّذِيْ يُضِيْءُ وَ الْفَحْمُ الْحَجَرِيُّ الَّذِيْ تَسِيْرُ بِهِ الْقَاطِرَةُ ، وَالْبِتْرُوْلُ الَّذِيْ تَسِيْرُ بِهِ السَّيَّارَاتُ وَ الطَّائِرَاتُ

إِنَّكُمْ تُفْسِدُونَ أَطْيَبَ الْأَشْيَاءِ ، فَكُلُّ مَا تَلَبَّسَ بِكُمْ فَسَدَتْ رَائِحَتُهُ ، وَ ذَهَبَتْ نَضَارَتُهُ ، وَ أَنَا أُعِيدُهُ غَضًّا طَرِيًّا ؛ وَ بِهٰذَا السَّمَادِ الَّذِي تُلْقُونَهُ فِي الْحُقُولِ وَ الْفَسَائِلِ أُنْبِتُ لَكُمْ حَبًّا صَحِيحًا ، وَ فَاكِهَةً لَذِيذَةً ، وَ زُهُورًا جَمِيلَةً .

أَنَا أَمِينُ أَجْسَادِ الْأَنْبِيَاءِ ، أَنَا مَرْقَدُ الشُّهَدَاءِ ، أَنَا مُسْتَوْدَعُ الْأَوْلِيَاءِ ، أَنَا مَضْجَعُ الْعُلَمَاءِ وَ الصُّلَحَاءِ ، أَنَا مَدْفَنُ الْأُمَّهَاتِ وَ الْآبَاءِ ، فَلَا تَمْشُوا عَلَيَّ مَرَحًا ، وَ اذْكُرُوا قَوْلَ صَاحِبِكُمْ :

خَفِّفِ الْوَطْأَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ
الْأَرْضِ إِلَّا مِنْ هٰذِهِ الْأَجْسَادِ
وَ قَبِيحٌ بِنَا وَ إِنْ قَدُمَ الْعَهْـ
ـدُ هَوَانُ الْآبَاءِ وَ الْأَجْدَادِ
سِرْ إِنِ اسْتَطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُوَيْدًا
لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ

(٣٧) أَلسُّلْطَانُ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكُجْرَاتِيُ

أَلسُّلْطَانُ الْعَادِلُ الْمُجَاهِــدُ ، أَبُو الْفَتْحِ سَيْفُ الدِّيْنِ مَحْمُوْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْـكُجْرَاتِيُّ ، كَانَ مِنْ خِيَارِ السَّلَاطِيْنِ ، وُلِدَ بِكُجْرَاتَ فِيْ عَاشِرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ٨٤٩ﻫ وَقَامَ بِالْمُلْكِ بَعْدَ دَاوٗدَ شَاهْ سَنَةَ ٨٦٢ﻫ وَكَانَ يَوْمًا مَّشْهُوْدًا

إِسْتَقَلَّ بِالْمُلْكِ خَمْسًا وَّ خَمْسِيْنَ سَنَةً ، وَ جَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ الْجِهَادِ ، وَ وَسَّعَ حُدُوْدَ مُلْكِهِ إِلَىٰ مَالْوَهْ ، وَ إِلَىٰ بِلَادِ السِّنْدِ ، وَ لٰكِنَّهُ فِيْ تِلْكَ الْمُــدَّةِ الطَّوِيْلَةِ لَمْ يَطْمَحْ إِلَىٰ بِلَادِ الْمُسْلِمِيْنَ وَلَمْ يَسْتَشْرِفْ لَهَا ، وَإِذَا اسْتَوْلَى الْقَوِيُّ مِنْهُمْ عَلَى الضَّعِيْفِ قَامَ بِنُصْرَةِ الضَّعِيْفِ ، وَكَانَ قَائِمًا بِالْعَدْلِ وَالْاِحْسَانِ ، يُنَفِّذُ أَمْرَ الشَّرْعِ فِي السِّيَاسَــةِ ، وَ يُمْضِيْ حُــكْمَ الْقِصَاصِ ، وَلَا يَمْنَعُ كَوْنُ أَحَدٍ مِّنْ عُظَمَاءِ الْمُلْكِ الْخَاصَّةِ بِهِ أَنْ لَّا يَعْمَلَ بِالشَّرِيْعَةِ .

وَمِنْ مَّكَارِمِهِ قِيَامُهُ بِتَعْمِيْرِ الْبِلَادِ وَتَأْسِيْسِ الْمَسَاجِدِ ، وَ الْمَدَارِسِ وَ الزَّوَايَا ، وَ تَكْثِيْرِ الزِّرَاعَــةِ وَ غَرْسِ الْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ ، وَبِنَاءِ الْحَدَائِقِ وَ الْبَسَاتِيْنِ ، وَ تَحْرِيْضِ

النَّاسِ عَلَىٰ ذٰلِكَ، وَ إِعَانَتِهِمْ بِحَفْرِ الْآبَارِ وَ إِجْرَاءِ الْعُيُوْنِ، وَ لِذٰلِكَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ إِقْبَالاً كُلِّيّاً، وَوَفَدَ عَلَيْهِ الْبَنَّاءُوْنَ وَ الْمُهَنْدِسُوْنَ وَ أَهْلُ الْحِرَفِ وَ الصَّنَائِعِ مِنْ بِلَادِ الْعَجَمِ، فَقَامُوْا بِحِرَفِهِمْ وَ صَنَائِعِهِمْ، فَصَارَتْ كُجْرَاتُ رِيَاضًا مُخْضَرَّةً بِكَثْرَةِ الْحِيَاضِ وَ الْآبَارِ، وَ الْحَدَائِقِ وَ الزُّرُوْعِ وَ الْفَوَاكِهِ الطَّيِّبَةِ، وَ صَارَتْ بِلَادُ كُجْرَاتَ مَتْجَرَةً تُجْلَبُ مِنْهَا الثِّيَابُ الرَّفِيْعَةُ إِلَىٰ بِلَادٍ أُخْرَىٰ، وَذٰلِكَ كُلُّهُ بِمَيْلِ سُلْطَانِهَا مَحْمُوْدٍ شَاهْ إِلَىٰ مَا يَصْلُحُ بِهِ الْمُلْكُ وَ الدَّوْلَةُ، وَ يَتَرَفَّهُ بِهِ رَعَايَاهُ.

وَ مِنْ مَكَارِمِهِ قِيَامُهُ بِتَرْبِيَةِ الْعُلَمَاءِ وَ الصَّالِحِيْنَ لِمَا كَانَ مَجْبُوْلاً عَلَىٰ حُبِّ الْعِلْمِ وَ أَهْلِهِ، فَاجْتَمَعَ فِيْ حَضْرَتِهِ خَلْقٌ كَثِيْرٌ مِّنْ أَفَاضِلِ الْعَرَبِ، حَتَّىٰ صَارَتْ بِلَادُ كُجْرَاتَ عَامِرَةً آهِلَةً بِالْعُلَمَاءِ، وَوَفَدَ عَلَيْهِ الْمُحَدِّثُوْنَ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى الْحَدِيْثِ الشَّرِيْفِ، فَتَشَابَهَتْ كُجْرَاتُ بِالْيَمَنِ الْمَيْمُوْنِ، وَفَاقَتْ سَائِرَ بِلَادِ الْهِنْدِ فِيْ ذٰلِكَ.

وَكَانَ غَايَةً فِي الْعِفَّةِ وَ الْحَيَاءِ، حَسَنَ الْأَخْلَاقِ،

عَظِيْمَ الْهِمَّةِ ، كَرِيْمَ السَّجِيَّةِ ، شَرِيْفَ النَّفْسِ ، كَثِيْرَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، أَطَالَ الْمُؤَرِّخُوْنَ فِيْ مَنَاقِبِهِ وَ فَضَائِلِهِ.

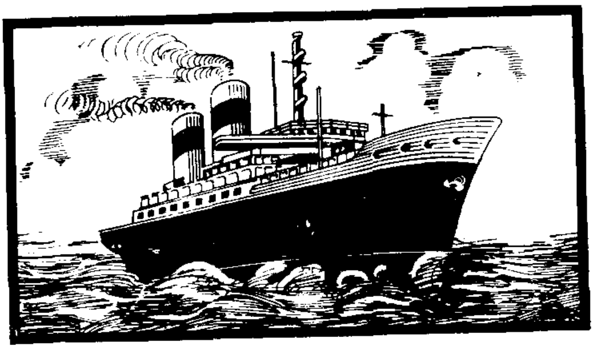
فِيْ سَنَةِ ٩١٦ھ تَوَجَّـهَ إِلَىٰ نَهْرَوَالَهْ بَتَنْ ، وَ زَارَ أَئِمَّةَ الدِّيْنِ بِهَا أَحْيَاءً وَّ أَمْوَاتًا ، وَّ عَقَدَ مَجْلِسًا خَاصًّا لِمُذَاكَرَةِ التَّفْسِيْرِ وَ الْحَدِيْثِ ، وَ أَكْثَرَ مِنَ الْجَوَائِزِ ، وَ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَ الْوَظَائِفِ ، وَ الْتَمَسَ الدُّعَاءَ ، وَكَانَ أَنْشَأَ مَضْجَعَهُ فِيْ جِوَارِ قَبْرِ مَوْلَانَا الشَّيْخِ أَحْمَدَ فِيْ سَرْكَهِيْجَ ، يَتَعَهَّدُهُ أَحْيَانًا ، وَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِأَيَّامٍ فَتَحَ الْقَبْرَ وَ جَلَسَ عِنْدَهُ وَقَالَ: اَللّٰهُمَّ إِنَّ هٰذَا أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَسَهِّلْهُ وَاجْعَلْهُ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ مَلَأَهُ فِضَّةً وَّ تَصَدَّقَ بِهَا .

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ عَصْرَ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ ثَانِيْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ٩١٧ھ وَلَهُ تِسْعٌ وَّسِتُّوْنَ سَنَةً وَ مُدَّةُ سَلْطَنَتِهِ خَمْسٌ وَّ خَمْسُوْنَ سَنَةً .

(نزهة الخواطر للشيخ عبد الحى الحسنى)

٣٨ أَلْبَاخِرَةُ

— (١) —



كَانَ النَّاسُ فِيْ قَدِيْمِ الزَّمَانِ يُسَافِرُوْنَ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ عَلَى الْإِبِلِ وَ الْبِغَالِ ، وَ عَجَلَاتِ الْخَيْلِ وَ عَجَلَاتِ الثِّيْرَانِ ، فَتَرَاهَا غَادِيَةً رَائِحَةً عَلَى الطُّرُقَاتِ وَ الشَّوَارِعِ تَحْمِلُ الرُّكَّابَ وَ الْبَضَائِعَ .

وَكَانَ النَّاسُ يَخَافُوْنَ السَّفَرَ فِي الْبِحَارِ وَيَتَحَامَوْنَهُ ، وَلٰكِنْ أَلْجَأَتْهُمُ الضَّرُوْرَةُ إِلَى السَّفَرِ فِيْهَا لِأَنَّهُ يَحْمِلُ الْأَثْقَالَ الْعَظِيْمَةَ وَ لَا يُكَلِّفُ نَفَقَةً ، فَوَصَلُوا الْأَنْهَارَ وَ الْبُحَيْرَاتِ بِالتُّرَعِ ، وَ صَارُوْا يُسَافِرُوْنَ فِيْهَا عَلَى السُّفُنِ الشِّرَاعِيَّةِ ،

وَ يَنْقُلُوْنَ بَضَائِعَهُمُ التِّجَارِيَّةَ مِنْ مَّكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ بَعِيْدٍ. وَ كَانَتْ هٰذِهِ السُّفُنُ الشِّرَاعِيَّةُ تَسِيْرُ ثَلاَثَةَ أَمْيَالٍ فِيْ سَاعَةٍ وَّاحِدَةٍ، وَّ كَانَتْ هٰذِهِ السُّفُنُ تَحْتَ حُكْمِ الرِّيَاحِ، فَإِنْ وَافَقَتْ وَصَلَتِ السَّفِيْنَــةُ فِيْ وَقْتٍ قَرِيْبٍ، وَّ إِنْ عَارَضَتْ وَقَفَتْ أَسَابِيْعَ وَ شُهُوْرًا، وَّ إِنْ عَانَدَتْ صَدَمَتْهَا بِصَخْرَةٍ فَكَسَرَتْهَا، أَوْ قَلَبَتْهَا، وَ هَلَكَ الرُّكَّابُ وَ غَرِقَتِ الْبَضَائِعُ، وَكَانَ هٰذَا يَقَعُ كَثِيْرًا حَتَّىٰ ذَهَبَ مَثَلاً، وَّ قَالَ الشَّاعِرُ:

مَا كُلُّ مَا يَتَمَــنَّى الْمَرْءُ مُــدْرِكُهُ
تَجْرِى الرِّيَاحُ بِمَا لاَتَشْتَهِى السُّفُنُ

وَ كَانَ السَّفَرُ خَطِرًا لَّايَدْرِى الْإِنْسَانُ أَيَصِلُ إِلَى الْمَنْزِلِ أَمْ يَمُوْتُ فِي الطَّرِيْقِ، فَكَانَ الْوَاحِدُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُّسَافِرَ فِيْ سَفِيْنَةٍ شِرَاعِيَّةٍ أَوْصَىٰ أَقَارِبَهُ وَ أَصْـدِقَاءَهُ بِدُيُوْنِهِ وَ بِمَا عَلَيْهِ، وَ كَانَ الْإِنْسَانُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَّقُوْلَ: إِنَّهُ يَصِلُ فِيْ شَهْرٍ أَوْعَامٍ، فَإِنَّهُ يُسَافِرُ فِيْ ظُلُمَاتِ الْبَحْرِ، وَكَانَ دُوْدًا عَــلَىٰ عُوْدٍ، لَّا يَدْرِىْ أَيَمُوْتُ فِي الطَّرِيْقِ أَمْ يَصِلُ سَالِمًا وَّ يَعُوْدُ.

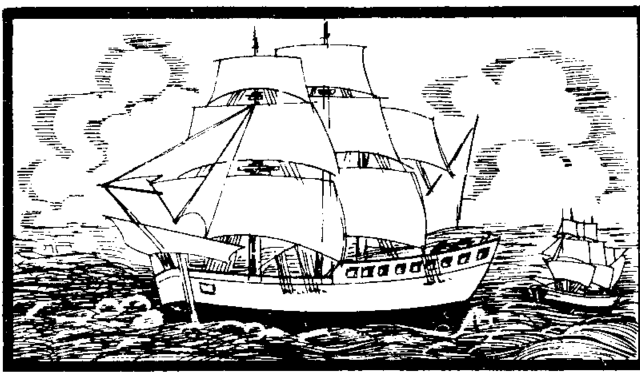
وَكَانَ النَّاسُ رَغْمَ ذٰلِكَ كُلِّهِ يُخَاطِرُوْنَ بِأَنْفُسِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ ، وَ كَانَ الْمُسْلِمُوْنَ يُسَافِرُوْنَ لِلْحَجِّ مِنْ كُلِّ بِلَادٍ ، وَّ لَا يَمْنَعُهُمْ خَطَرٌ أَوْ خَوْفٌ مِّنَ السَّفَرِ إِلىٰ بَيْتِ اللهِ ، وَأَدَاءِ فَرِيْضَةِ الْحَجِّ ، فَكَانَ الْمُسْلِمُوْنَ مِنَ الْهِنْدِ ، وَ الصِّيْنِ ، وَ جَزَائِرِ بَحْرِ الْهِنْدِ ، وَ كَذٰلِكَ مِنْ مَّرَّاكِشْ وَ بِلَادِ الْأَنْدُلُسِ يُسَافِرُوْنَ كُلَّ عَامٍ لِّلْحَجِّ ، وَقَدْ يَسْتَغْرِقُ سَفَرُهُمْ عَامًا كَامِلًا أَوْ أَكْثَرَ .

وَ كَانَ الْجَوَّابُوْنَ يَسِيْحُوْنَ فِي الْأَرْضِ ، وَيَرْكَبُوْنَ الْبَحْرَ مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصىٰ إِلَى الْمَشْرِقِ الْأَقْصىٰ ، وَكَانَ الْعَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ كَبَيْتٍ وَّاحِدٍ ، وَّالْمُسْلِمُوْنَ كَأُسْرَةٍ وَّاحِدَةٍ ، يَّنَالُ الْجَوَّابُ فِي السَّفَرِ كُلَّ مَا يَجِدُهُ فِي الْوَطَنِ .

أَهْلًا بِأَهْلٍ وَّ جِيْرَانًا بِجِيْرَانٍ .

وَقَدْ سَافَرَ ابْنُ بَطُّوْطَةَ الْمَغْرِبِيُّ ، وَ ابْنُ جُبَيْرٍ الْأَنْدُلُسِيُّ ، وَ سُلَيْمَانُ التَّاجِرُ ، إِلىٰ مُعْظَمِ الْمَعْمُوْرَةِ بِهٰذِهِ السُّفُنِ .

٣٩ أَلْبَاخِرَةُ
(٢)



مَضَى عَلَى ذٰلِكَ قُرُوْنٌ، ثُمَّ بَدَأَ النَّاسُ يُفَكِّرُوْنَ ، وَ يَخْتَرِعُوْنَ حَتَّى تَوَصَّلُوْا إِلَى سَفِيْنَةٍ تَسِيْرُ بِالْبُخَارِ ، وَكَانَ ذٰلِكَ بِالتَّدْرِيْجِ ، وَفِيْ عِدَّةِ قُرُوْنٍ .

كَانَتِ السُّفُنُ الشِّرَاعِيَّةُ تَسِيْرُ بِالْمَجَادِيْفِ ، وَ تَقَدَّمَ بَعْضُ الْأَذْكِيَاءِ فَرَكَّبَ فِيْ سَفِيْنَةٍ عَجَلَةً رَبَطَ بِهَا الْمَجَادِيْفَ ، فَإِذَا دَارَتِ الْعَجَلَةُ بَدَأَتِ الْمَجَادِيْفُ تَعْمَلُ وَ تَمْخَرُ الْمَاءَ .

ثُمَّ اهْتَدَى بَعْضُ الْأَذْكِيَاءِ إِلَى إِدَارَةِ الْعَجَلَةِ بِالْبُخَارِ ، وَ الْإِسْتِغْنَاءِ عَنِ الْيَدِ الْعَامِلَةِ ، وَلَمْ تَزَلِ الصِّنَاعَةُ تَرْتَقِيْ ،

حَتَّى ظَهَرَتْ أَوَّلُ سَفِينَةٍ بُخَارِيَّةٍ، صَنَعَهَا رَجُلٌ أَمْرِيْكِيٌّ اسْمُهُ «هِلْتَنْ كِلَرْ مَا وُنْتُ» قَطَعَتْ مِائَةَ مِيْلٍ فِيْ أَرْبَعٍ وَّ عِشْرِيْنَ سَاعَةً.

وَلَمْ تَزَلِ السُّفُنُ الْبُخَارِيَّةُ تَتَقَدَّمُ فِي السُّرْعَةِ وَالْقُوَّةِ، حَتَّى أَصْبَحَتْ تَعْبُرُ الْبَحْرَ الْأَطْلَانْتِيْكِيَّ بَيْنَ إِنْكِلْتَرَةَ وَ أَمْرِيْكَةَ فِيْ خَمْسَةِ أَيَّامٍ، وَّ كَانَ السَّفَرُ فِيْ هٰذَا الْبَحْرِ يَأْخُذُ شَهْرَيْنِ.

وَ الْبَاخِرَةُ كَالْقَاطِرَةِ تَسِيْرُ بِقُوَّةِ الْبُخَارِ، فَإِنَّهُ يُدِيْرُ الْعَجَلَةَ، وَ الْعَجَلَةُ مُتَّصِلَةٌ بِآلَاتٍ تَتَحَرَّكُ الْبَاخِرَةُ بِدَوَرَانِهَا وَ تَسِيْرُ.

وَ كَذٰلِكَ هُنَالِكَ آلَاتٌ تُوَجِّهُ الْبَاخِرَةَ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ، وَتُسَخِّرُهَا لِلرُّبَّانِ يَسِيْرُ بِهَا كَيْفَ يَشَاءُ.

وَقَدْ تَقَدَّمَتِ التِّجَارَةُ تَقَدُّمًا عَظِيْماً، وَّ أَصْبَحَ النَّاسُ يُسَافِرُوْنَ فِي الْبَحْرِ عَلَى مَتْنِ الْبَاخِرَةِ كَأَنَّهُمْ يُسَافِرُوْنَ فِي الْبَرِّ عَلَى الْقِطَارِ، أَوْ مُطْمَئِنُّوْنَ فِي الْبَلَدِ وَ جَالِسُوْنَ فِي الدَّارِ

وَ كَبُرَتِ الْمَرَاكِبُ وَتَوَسَّعَتْ، حَتَّى كَأَنَّهَا حَارَةٌ

مِّنْ حَارَاتِ الْبَلَدِ ، أَوْ قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ ، فِيهَا الْمَطْعَمُ وَ الْمَلْعَبُ وَمُنْتَزَهَاتٌ، وَتَحْمِلُ مِنَ الرُّكَّابِ مِنْ خَمْسِ مِائَةٍ إِلَىٰ أَلْفٍ .

وَ إِذَا رَأَى الْإِنْسَانُ السُّفُنَ الشِّرَاعِيَّةَ وَ الْمَرَاكِبَ الْبُخَارِيَّةَ تَجْرِىْ فِى الْبَحْرِ رُخَاءً تَعَجَّبَ ، وَرَأَىٰ تَصْدِيْقَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ « وَ سَخَّرَلَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ،وَ سَخَّرَلَكُمُ الْأَنْهَارَ » .

٤٠ جِسْمُ الطُّيُوْرِ

إِنَّ اللّٰهَ وَهَبَ لِكُلِّ حَيَوَانٍ صَغِيْرٍ وَّ كَبِيْرٍ جِسْماً لَائِقًا، وَّأَعْضَاءً يَّسْتَعِيْنُ بِهَا عَلَىٰ قَضَاءِ حَوَائِجِهِ، وَتَحْصِيْلِ قُوْتِهِ، وَسِلَاحًا يُّدَافِعُ بِهِ عَنْ نَّفْسِهِ، فَهُوَ الَّذِىْ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ .

أُنْظُرُوْا إِلَى الْفِيْلِ كَيْفَ مَدَّ اللّٰهُ فِىْ أَنْفِهِ لِيَسْتَخْدِمَهُ فِىْ حَوَائِجِهِ ، وَ يَتَنَاوَلَ بِهِ الطَّعَامَ وَالْمَاءَ،وَيُوَجِّهَهُ حَيْثُ شَاءَ ،وَفِىْ طَرَفِهِ زَائِدَةٌ يَلْتَقِطُ بِهَا الْأَشْيَاءَ الدَّقِيْقَةَ، وَقَدْ

وَرَأَيْتُمْ أَنَّ الْجَمَلَ رَقَبَتُهُ طَوِيلَةٌ ، لِأَنَّهُ كَبِيرُ الْجِسْمِ، طَوِيلُ الْأَرْجُلِ ، فَلَوْكَانَتْ رَقَبَتُهُ قَصِيرَةً لَمْ يُمْكِنْهُ أَنْ يَرْعَى الْكَلَاءَ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى يَبْرُكَ ، وَ فِي ذٰلِكَ تَعَبٌ عَظِيمٌ، وَّشُغْلٌ كَثِيرٌ، فَمَدَّ اللّٰهُ فِي عُنُقِهِ ، وَ رَأْسُهُ صَغِيرٌ ، فَكَانَ خَفِيفَ الْحَمْلِ عَلَى رَقَبَتِهِ، وَلَمَّا قَدَّرَ اللّٰهُ أَنْ يَكُونَ الْجَمَلُ سَفِينَةَ الصَّحْرَاءِ جَعَلَ أَرْجُلَهَا مُنَاسِبَةً لِّذٰلِكَ ، فَلَا تَسُوخُ فِي الرِّمَالِ ، وَ خَلَقَ فِي جَوْفِهِ كُرُوشًا وَّ أَزْقَاقًا يَّخْزُنُ فِيهَا الْغِذَاءَ وَ الْمَاءَ ، لِأَنَّ السَّفَرَ فِي الصَّحْرَاءِ يَحْتَاجُ إِلَى ذٰلِكَ كَثِيرًا .

أُنْظُرُوا إِلَى الْقَنْغَرِ وَ الْأَرْنَبِ ، تَرَوْا رِجْلَيْهِمَا الْخَلْفِيَّتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ وَكَبِيرَتَيْنِ ، وَ رِجْلَيْهِمَا الْأَمَامِيَّتَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ وَ قَصِيرَتَيْنِ ، لِيُمْكِنَهُمَا الْجَرْيُ قَفْزًا ، وَّ فِي قَدَمَيِ الرِّجْلَيْنِ الْخَلْفِيَّتَيْنِ لِلْقَنْغَرِ ظِلْفٌ حَادٌّ جِدًّا ، هو سِلَاحُهُ يَبْقُرُ بِهِ بَطْنَ عَدُوِّهِ بِطَعْنَةٍ وَّاحِدَةٍ .

كَذٰلِكَ الطُّيُورُ ، فَفِي جِسْمِهَا وَخِلْقَتِهَا آيَاتٌ لِّلّٰهِ ، فَقَدْ كَسَا اللّٰهُ جِسْمَهَا بِالرِّيشِ ، لِأَنَّهُ أَخَفُّ لِلطَّيَرَانِ ، وَ جَعَلَ عِظَامَ الطَّائِرِ رَقِيقَةً جَوْفَاءَ ، فَلَا يَعُوقُهُ ثِقَلُ

رِيْشٍ ، أَوْ جِسْمٍ عَنِ الطَّيَرَانِ .

ثُمَّ وَهَبَ أَنْوَاعَ الطُّيُوْرِ أَنْوَاعًا مِّنَ الْمَنَاقِيْرِ ، تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ طَبِيْعَةِ الطَّيْرِ وَغِذَائِهِ وَعَادَاتِهِ ، وَكَذٰلِكَ يَخْتَلِفُ تَرْكِيْبُ أَقْدَامِهِ .

أُنْظُرْ إِلَى الْعَصَافِيْرِ وَ الْحَمَامِ ، وَالْيَمَامِ وَالْغِرْبَانِ ، لَيْسَتْ أَجْسَامُهَا عَالِيَةً ، وَّ أَنَّهَا تَلْقُطُ حَبًّا صَغِيْرًا مِّنَ الْأَرْضِ ، فَلَمْ تَكُنْ فِيْ حَاجَةٍ إِلَى طُوْلِ الْأَعْنَاقِ ، وَ مَنَاقِيْرُهَا مُسْتَقِيْمَةٌ وَّ قَصِيْرَةٌ تُعِيْنُهَا فِيْ حَاجَاتِهَا .

أُنْظُرْ إِلَى الطُّيُوْرِ الَّتِيْ تَعِيْشُ فِي الْمَاءِ ، وَ تَبْحَثُ عَنْ قُوْتِهَا فِي الْمَاءِ كَالْبَطِّ وَاللَّقْلَقِ ، تَرَ أَعْنَاقَهَا وَ مَنَاقِيْرَهَا طَوِيْلَةً لِأَنَّهَا تُرْسِلُ مَنَاقِيْرَهَا فِيْ أَعْمَاقِ الْأَنْهَارِ وَ الْبِرَكِ ، وَ تَسْتَخْرِجُ قُوْتَهَا مِنْ أَحْشَائِهَا ، فَخَلَقَ اللّٰهُ لَهَا أَعْنَاقًا طَوِيْلَةً ، وَّ مَنَاقِيْرَ مُسْتَقِيْمَةً وَّ طَوِيْلَةً كَذٰلِكَ .

وَ انْظُرْ إِلَى الطُّيُوْرِ الَّتِيْ تَقْتَاتُ بِاللَّحْمِ وَ الْفَاكِهَةِ وَ تَأْكُلُهَا نَهْشًا ، كَالْحِدَاءِ و النُّسُوْرِ وَالصُّقُوْرِ لَا تَجِدُ مَنَاقِيْرَهَا مُسْتَقِيْمَةً ، لِأَنَّهَا لَا تُغْنِيْ عَنْهَا ، وَلَا تَقْضِيْ حَاجَتَهَا ، فَخَلَقَ اللّٰهُ لَهَا مَنَاقِيْرَ مُتَقَوِّسَةً حَادَّةَ الطَّرْفِ ، وَ يَكُوْنُ

طَرْفُهَا الْأَعْلَى مُتَقَدِّمًا مُتَقَوِّسًا، فَيُعِينُهَا فِي نَهْشِ اللُّحُومِ وَ قَرْضِ الْفَوَاكِهِ وَفِي الْعَضِّ عَلَيْهَا.

كَذٰلِكَ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى أَرْجُلِ الطُّيُوْرِ وَمَخَالِبِهَا، رَأَيْنَا بَيْنَهَا فَرْقًا بِحَسَبِ أَنْوَاعِ الطُّيُوْرِ وَ طَبَائِعِهَا، وَعَادَاتِهَا، وَغِذَائِهَا، فَالطُّيُوْرُ الَّتِيْ تَعِيْشُ عَلَى الْبَرِّ، وَ تَلْتَقِطُ الْحَبَّ لَيْسَتْ أَرْجُلُهَا طَوِيْلَةً، وَّ أَنَّهَا تَرْفَــعُ رِجْلَيْهَا فِيْ وَقْتٍ وَّاحِدٍ، وَّتَمْشِيْ وَثْبًا، وَ أَمَّا الطُّيُوْرُ الَّتِيْ تَعِيْشُ فِي الْمَاءِ وَ تَصِيْدُ السَّمَكَ وَ هَوَامَّ الْمَاءِ فَإِنَّهَا تُقَــدِّمُ رِجْلًا فِي الْمَشْيِ وَتُؤَخِّرُ أُخْرَىٰ كَالْإِنْسَانِ، وَتَمْشِيْ رُوَيْدًا، فَإِنَّهَا إِذَا وَثَبَتْ وَثَبَاتٍ أَوْ قَفَزَتْ أَفْلَتَهَا الصَّيْدُ.

كَذٰلِكَ الطُّيُوْرُ الَّتِيْ تَسْبَحُ فِي الْمَاءِ، وَ تَصِيْدُ فَلَهَا جِــلْدٌ رَّقِيْقٌ فِي مَخَالِبِهَــا يَصِلُ بَيْنَ أَصَابِعِهَا، فَتَنْتَشِرُ مَخَالِبُهَا كَالْمِظَلَّاتِ إِذَا نَشَرَتْ، وَتُسَاعِــدُهَا فِي السِّبَاحَــةِ مُسَاعَدَةً غَالِيَةً.

وَ الطُّيُوْرُ الَّتِيْ تَقْتَاتُ بِاللَّحْــمِ لَهَا أَرْجُلٌ قَوِيَّةٌ وَ مَخَالِبُ كَــبِيْرَةٌ، وَّفِيْ أَصَابِعِهَا أَظْفَارٌ مُّتَقَوِّسَةٌ حَادَّةُ الْأَطْرَافِ تُسَاعِدُهَا فِيْ نَهْشِ اللُّحُوْمِ، وَتَقُوْمُ أَرْجُلُهَــا

وَ مَخَالِبُهَا مَقَامَ الْأَرْجُلِ وَ الْأَيْدِيْ ، فَإِذَا مَشَتْ كَانَتْ لَهَا أَرْجُلًا تَمْشِيْ بِهَا ، وَإِذَا طَارَتْ أَوْ أَرَادَتْ أَنْ تَأْكُلَ كَانَتْ لَهَا أَيْدِيًا تَبْطِشُ ، وَهٰذَا النَّوْعُ مِنَ الطَّيْرِ قَدْ يُمْسِكُ عُوْدًا أَوْ قِطْعَةَ لَحْمٍ ، وَيَطِيْرُ فِي الْجَوِّ وَيَسْتَقِلُّ بِهِ ، فَلَا يَسْقُطُ مِنْ يَدِهِ ، وَكَثِيْرًا مَّا رَأَيْنَا الْبَازِيَّ قَدْ قَبَضَ عَلٰى طَائِرٍ كَبِيْرٍ بِمَخَالِبِهِ وَ طَارَ بِهِ إِلَى عُشِّهِ ، وَأَكَلَهُ هُنَالِكَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا .

٤ شِيْرُشَاهَ السُّوْرِيّ سُلْطَانُ الْهِنْدِ

(١)

كَانَ شِيْرُ شَاهَ مِنْ خِيَارِ السَّلَاطِيْنِ ، عَادِلًا بَاذِلًا رَّحِيْمًا شُجَاعًا مِّقْدَامًا ، وَّكَانَ أَبُوْهُ مِنْ أَوْسَاطِ النَّاسِ ، وَكَانَ شِيْرُشَاهَ يَتَعَلَّمُ فِيْ جَوْنْ پُوْر ، وَ يَقْرَأُ الْكُتُبَ الدَّرْسِيَّةَ ، وَ لَمْ يَزَلْ يَجْتَهِدُ وَ يَرْتَقِيْ حَتّٰى نَالَ الْمُلْكَ .

وَ كَانَ وَزَّعَ أَوْقَاتَهُ مِنْ يَّوْمٍ وَّ لَيْلَةٍ ، شَطْرًا مِّنْهَا لِلْعِبَادَةِ ، وَ شَطْرًا لِّلْعَدْلِ وَ الْقَضَاءِ ، وَ بَعْضَهَا لِإِصْلَاحِ الْعَسْكَرِ ، فَكَانَ يَنْتَبِهُ مِنَ النَّوْمِ فِيْ ثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، وَ يَغْتَسِلُ وَ يَتَهَجَّدُ وَ يَشْتَغِلُ بِالْأَوْرَادِ إِلَى أَرْبَعِ

سَاعَاتٍ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي حِسَابَاتِ الإِدَارَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَيُرْشِدُ الْأُمَرَاءَ فِي مَا يُهِمُّهُمْ مِنَ الْأُمُورِ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ، وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى بَرْنَامِجِ الْعَمَلِ لِئَلَّا يُشَوِّشُوا أَوْقَاتَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ بِالْأَسْئِلَةِ، ثُمَّ يَقُومُ وَيَتَوَضَّأُ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ وَيُصَلِّيهَا بِالْجَمَاعَةِ، ثُمَّ يَقْرَأُ الْمُسَبَّعَاتِ الْعَشْرَ وَ غَيْرَهَا مِنَ الْأَوْرَادِ، ثُمَّ يَحْضُرُ لَدَيْهِ الْأُمَرَاءُ فَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُومُ وَيُصَلِّي صَلَاةَ الْإِشْرَاقِ، ثُمَّ يَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ حَوَائِجِهِمْ وَيُعْطِيهِمْ مَايَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، مِنْ خَيْلٍ، وَأَقْطَاعٍ، وَأَمْوَالٍ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ، لِئَلَّا يَسْأَلُوهُ فِي غَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الْأَوْقَاتِ، ثُمَّ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْمَظْلُومِينَ وَ الْمُسْتَغِيثِينَ، و يَجْتَهِدُ فِي إِغَاثَتِهِمْ.

وَ مِنْ عَوَائِدِهِ بَعْدَ الْإِشْرَاقِ أَنَّهُ أَلْزَمَ نَفْسَهُ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ الْعَسَاكِرُ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ، ثُمَّ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَثْبُتَ فِي الْعَسْكَرِيَّةِ، فَيَتَكَلَّمُ مَعَهُ وَ يَخْتَبِرُهُ، ثُمَّ يَأْمُرُ أَنْ يُثْبَتَ اسْمُهُ فِي الْعَسْكَرِيَّةِ، ثُمَّ يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْجِبَايَاتُ الَّتِي تُورَدُ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِهِ كُلَّ يَوْمٍ، ثُمَّ يَتَمَثَّلُ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأُمَرَاءُ وَ الْمَرَازِبَةُ، وَ سُفَرَاءُ الدُّوَلِ وَ الْوُكَلَاءُ، فَيَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ، ثُمَّ

تُعْرَضُ عَلَيْهِ عَرَائِضُ الْأُمَرَاءِ وَ الْعُمَّالِ ، فَيَسْمَعُهَا وَ يُمْلِيْ جَوَابَهَا ، ثُمَّ يَقُوْمُ وَ يُقْبِلُ إِلَى الطَّعَامِ ، وَعَلَى مَائِدَتِهٖ جَمَاعَةٌ مِّنَ الْعُلَمَاءِ وَ الْمَشَايِخِ ، ثُمَّ يَشْتَغِلُ نَحْوَ سَاعَتَيْنِ بِأُمُوْرٍ خُصُوْصِيَّةٍ ، وَّيَقِيْلُ إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ ، ثُمَّ يَقُوْمُ وَ يُصَلِّيْ بِجَمَاعَةٍ ، وَ يَشْتَغِلُ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيْمِ ، ثُمَّ بِمُهِمَّاتِ الْأُمُوْرِ لِلدَّوْلَةِ ، وَ كَانَ لَا يَتْرُكُ شَيْئًا مِّنْ ذٰلِكَ فِيْ ظَعْنٍ وَّلَا إِقَامَةٍ ، وَ كَانَ يَقُوْلُ : اَلرَّجُلُ الْكَبِيْرُ مَنْ يَّصْرِفُ أَوْقَاتَهٗ فِي الْأُمُوْرِ الْمُهِمَّةِ .

وَ كَانَ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْمُهِمَّاتِ وَ يُبَاشِرُ الْأُمُوْرَ بِنَفْسِهٖ ، وَيَقُوْلُ : لَا يَنْبَغِيْ لِصَاحِبِ الْأَمْرِ أَنْ يَّسْتَصْغِرَ مَا يُهِمُّهٗ مِنَ الْأُمُوْرِ نَظَرًا إِلَى عُلُوِّ مَرْتَبَتِهٖ ، فَيُلْقِيْهَا عَلَى مَنْ حَوْلَهٗ مِنْ رِّجَالِهٖ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَجْتَهِدُوْنَ فِيْهَا ، وَ رُبَّمَا يَتَغَافَلُوْنَ عَنْهَا طَمَعًا وَّ ارْتِشَاءً .

وَ كَانَ يُعَاقِبُ الْبُغَاةَ وَ قُطَّاعَ السُّبُلِ وَ الظَّلَمَةَ أَشَدَّ عُقُوْبَةٍ ، وَّيُعَزِّرُهُمْ أَشَدَّ تَعْزِيْرٍ ، وَّكَانَ لَا تَأْخُذُهٗ بِهِمْ رَأْفَةٌ وَّ إِنْ كَانُوْا مِنْ أَصْهَارِهٖ وَ أَقْرِبَائِهٖ .

٤٢ شِيرْشَاه السُّورِيُّ سُلْطَانُ الهِنْدِ

(٢)

وَ مِنْ مَآثِرِهِ أَنَّهُ أَسَّسَ شَارِعًا كَبِيرًا مِّنْ سُنَارْ گَاؤُنْ أَقْصَى بِلَادِ بَنْگَالَهْ ، إِلَى مَاءِ نِيلَابَ مِنْ أَرْضِ السِّنْدِ ، مَسَافَتُهَا أَلْفٌ وَّخَمْسُ مِائَةِ كُرُوْهٍ ، وَّ الْكُرُوْهُ فِيْ عُرْفِ أَهْلِ الْهِنْدِ مِيْلَانِ ، وَ أَسَّسَ فِيْ كُلِّ كُرُوْهٍ رِّبَاطًا ، وَّ رَتَّبَ بِهِ طَعَامًا لِّأَهْلِ الْإِسْلَامِ خَاصَّةً وَلِلْهَنَادِكِ خَاصَّةً ، وَّ أَسَّسَ مَسْجِدًا فِيْ كُلِّ كُرُوْهٍ مِّنَ الْآجُرِّ وَ الْجِصِّ ، وَ وَظَّفَ الْمُؤَذِّنَ ، وَ الْمُقْرِئَ وَالْإِمَامَ فِيْ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَّعَيَّنَ فِيْ كُلِّ رِبَاطٍ فَرَسَيْنِ لِلْبَرِيْدِ ، فَكَانَ تُرْفَعُ إِلَيْهِ أَخْبَارُ نِيلَابَ إِلَى أَقْصَى بِلَادِ بَنْگَالَهْ كُلَّ يَوْمٍ ، وَّ غَرَسَ الْأَشْجَارَ الْمُثْمِرَةَ بِجَانِبَيِ الشَّارِعِ الْكَبِيْرِ ، فَيَسْتَظِلُّ بِهَا الْمُسَافِرُ وَ يَأْكُلُ مِنْهَا

وَ كَذٰلِكَ غَرَسَ الْأَشْجَارَ الْمُثْمِرَةَ عَلَى الطَّرِيْقِ مِنْ آ گْرَهْ إِلَى مَنْدُوْ ، وَ بَيْنَهُمَا مَسَافَةُ ثَلَاثِ مِائَةِ كُرُوْهٍ ، وَّأَسَّسَ الرِّبَاطَاتِ وَالْمَسَاجِدَ ، وَبَلَغَ الْأَمْنُ

وَ الْأَمَانُ فِي عَهْدِهِ مَبْلَغًا لَا يَسْتَطِيْعُ أَحَدٌ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ فِي الصَّحْرَاءِ إِلَى عَجُوْزٍ تَحْمِلُ مَتَاعَهَا ،

وَ كَانَ شِيْرُ شَاهَ يَتَأَسَّفُ عَلَى أَنَّهُ نَالَ السُّلْطَـةَ فِي كِبَرِ سِنِّهِ ، وَيَقُوْلُ : إِنْ سَاعَدَنِي الزَّمَانُ أَبْعَثُ رِسَالَةً إِلَى عَظِيْمِ الرُّوْمِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَرْكَبَ بِعَسَاكِرِهِ إِلَى بِلَادِ الْفُرْسِ ، وَنَحْنُ نَرْكَبُ مِنْ هَاهُنَا إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ ، فَنَدْفَعُ بِمُسَاعَدَةِ مَلِكِ الرُّوْمِ شَرَّ الْأَوْبَاشِ الَّذِيْنَ يَقْطَعُوْنَ طَرِيْقَ الْحُجَّاجِ ، وَنُحْدِثُ شَارِعًا آمِنًا إِلَى مَكَّةَ الْمُبَارَكَةِ ، وَ لٰكِنَّ الْأَجَلَ لَمْ يُمْهِلْهُ فَمَاتَ قَبْلَ بُلُوْغِهِ إِلَى تِلْكَ الْأُمْنِيَّةِ ، وَ كَانَ ذٰلِكَ فِي ثَانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيْعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ٩٥٢هـ

(نُزهة الخواطر للشيخ عبد الحيّ الحسنيّ رح)



بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

الحياة في مدينة الرسول ﷺ

هاهو ذا قد أسفر النهار ، و الناس راجعون من المسجد النبوي في سكينة و وقار ، و لكن في خفة و نشاط ، و هنا دكان يفتح في السوق ، و هنالك سكة تمشي في الحقل ، و هذا بستان من نخيل يسقي ، و ذلك أجير يشتغل في حائط على أجرة يأخذها في المساء ، قد اندفعوا إلى أشغالهم بما سمعوا من فضيلة كسب الحلال ، و طلب مرضاة الله بالمال ، ترونهم خفاف الأيدي في العمل ، ذلل اللسان بذكر الله ، عامري القلوب بالحسبة و طلب الأجر ، يحتسبون في أشغالهم مالا يحتسب المصلي اليوم في صلا ته ، مقبلين بقلوبهم إلى الله ويقالبهم إلى شغلهم ، وها هو ذا قد أذن المؤذن ، فإذا بهم ينفضون أيديهم مما كانوا فيه ، كأن

لم يكن لهم به عهد ، وخف إلى المسجد : رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيْهِمْ تِجَارَةٌ وَّلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيْتَاءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُوْنَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيْهِ الْقُلُوْبُ وَالْاَبْصَارُ .

وها هو ذا قد قضوا صلاتهم ، و انتشروا في الأرض يبتغون من فضل الله و يذكرون الله ، و قد مالت الشمس إلى الغروب فرجعوا إلى بيوتهم وقابلوا أهلهم و جلسوا إليهم يتحدثون معهم ، يلاطفونهم و يؤنسونهم طمعا في أجر من الله و رضوان ، و ناموا بعد صلاة العشاء ، و إذا بهم قائمون أمام ربهم في الأسحار ، لهم دوي كدوي النحل ، و في صدورهم أزيز كأزيز المرجل ، وينصرفون بعد صلاة الصبح إلى أشغالهم في نشاط الجندي وقوته ، كأن لم يتعبوا في النهار ، ولم يسهروا في الليل .

انظروا إلى مجالس الذكر و العلم في المسجد ، وقد ضمت صنوفا و أنواعا من الناس ، فهذا هو الفلاح الذي رأيته في النهار في حقله ، و هذا هو الأجير الذي رأيته ينزع الدلاء ، و يسقي النخيل في بستان يهودي ،

وهذا هو التاجر الذي رأيته في سوق المدينة يبيع ، و هذا هو الصناع الذي وجدته مشتغلا بصناعته ، و ليسوا الآن إلا طلبة علم ، وقد هجروا راحتهم ـ وهم في حاجة إليها بعد شغل النهار ـ و تركوا أهلهم وهم في حنين إليهم ، لأنهم سمعوا: " أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا صَنَعَ " ولأنهم سمعوا " لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ إلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَـةُ ، وَ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَه " تراهم ساكنين كأن على رؤوسهم الطير ، خاشعين كأن الوحي ينزل : " حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ " يتسابق العلم والخشوع ، فلا يدري أيهما أسبق ، وتبتدر المعاني إلى القلوب والكلمات إلى الآذان ، فلا يدري أيهما أسرع .

وقد اتفق كثير من الناس على التناوب ، فإذا غاب أحدهم عن مجلس الرسول الكريم حضر جاره أو أخوه ، فيخبر الأول بما دار في المجلس من حديث ، وما نزل من آية .

وهؤلاء هم القراء قد انقطعوا إلى العلم ، فإذا جنهم الليل انطلقوا إلى معلم لهم في المدينة ، فيدرسون الليل حتى يصبحوا ، فإذا أصبحوا فمن كانت له قوة استعذب من الماء ، وأصاب من الحطب ، ومن كانت عنده سعة اجتمعوا فاشتروا الشاة ، وأصلحوها ، فيصبح ذلك معلقا بحجر رسول الله ﷺ .

وما من أحد في المدينة إلا ويعرف الحلال والحرام ، وما يتعلق بحياته ، وحرفته ، وشغله من الأحكام ، ويحفظ من القرآن ما يقوم به في صلاته ، ثم هو مستمر في طلب العلم ، يزداد كل يوم فقها في الأحكام ، ورسوخا في الدين ، وحرصا على العمل ، وشوقا إلى الآخرة ، ورغبة في الثواب ، وعلمهم بالفضائل أكثر من علمهم بالمسائل ، وبأصول الدين أكثر من علمهم بفروعه ، أبر الناس قلوبا ، وأعمقهم علما ، وأقلهم تكلفا .

وإذا تعلم أحد منهم شيئا من الدين أسرع إلى إخوانه يعلمهم ، لأنه سمع "أَلاَ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ،

فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ " وسمعوا نبيهم يقول : "إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّماً " وسمعوا يقول : لاَحَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهْ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِيْ بِهَا ، وَيُعَلِّمُهَا ".

وهكذا انقسم المسلمون في المدينة بين طالب ومعلم ، فإما طالب و إما معلم ، بل كل واحد منهم طالب ومعلم في وقت واحد ، يأخذ من مكان ، ويدفع إلى مكان .

هل عرف التاريخ مدرسة أوسع من هذه المدرسة النبوية التي يقرأ فيها التاجر ، والفلاح ، والأجير ، والصناع ، والمحترف ، والمشغول ، والشباب الناهض ، والشيخ الفاني ؟ يتعلمون فيها بجميع قواهم ، فالأذن تسمع ، والعين تبصر ، والقلب يشعر ، والعقل يفكر ، والجوارح تعمل .

عرفوا أحكام الاجتماع في الاجتماع ، وأحكام الاختلاط في الاختلاط ، وأحكام التجارة في التجارة ، وأحكام المعاشرة في المعاشرة ، فاستطاعوا أن يحافظوا على دينهم ، و نياتهم ، وخشوعهم ، وذكرهم ، في المجامع والمجالس ، وفي صخب الأسواق ، وفتنة البيوت ،

فإذا خاضوا في الحياة لم يغلبوا على أمرهم ، شأن الذي يتعلم السباحة في بحر متلاطم ، وفي نهر فياض ، فكانوا في المسجد إذا خرجوا من المسجد ، و في الصلاة إذا انصرفوا من الصلاة ، بررة القلوب ، صادقي الوعد ، سديدي القول في المساجد و الأسواق معا ، وفي المعتكف والحانوت معا ، و في الحضر والسفر معا ، و مع الصديق و العدو معا .

حتى إذا نادى منادى الجهاد: انفروا خفافا و ثقالا و جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله . وهتف هاتف الجنة : و سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموت و الأرض . أقفل التاجر دكانه ، و ترك الفلاح سكتــه ، و رمى الصناع آلاته ، و ترك الأجير رشاء دلــوه ، و خرجوا في سبيل الله لا يلوون على شيء ، كأنهم كانوا من ذلك على ميعاد ، و في ديارهم وأهلهم على مسامحة و رخصة .

و ترونهم يتجولون في البلاد ، و يسيحون في الأرض ، كأنهم على ظهور الخيل ، و ولدوا على متون

الإبل ، يعدون غدوة أو روحة في سبيل الله أفضل من الدنيا و ما فيها ، يصلون النهار بالليل ، و الشتاء بالصيف ، و هم أينما رحلوا و نزلوا مدارس سيارة ، ومساجد متنقلة ، و هكذا نشروا الدين من أقصى الأرض إلى أقصاها ، و من شرقها إلى غربها .

(من رسالة "إلى ممثلي البلاد الإسلامية" : للمؤلف)

❖الأسئلة :

١ـ ماذا كان يفعل الصحابة إذا سمعوا الأذان ؟

٢ـ بعد قضاء الصلاة ماذا يصنع المسلمون ؟

٣ ـ تحدث عن مجالس الذكر في مدينة الرسول .

٤ ـ من هم القراء؟

٥ـ احفظ قوله تعالى : وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

❖استعمل الكلمات التالية في جمل مفيدة :

اجر ، العلم ، النبي ، حسد ، صخب ،

(٢)

المنارة تتحدث

(١)

خرجت يوما من مدينة دهلي أروح نفسي من صخب الأسواق ، وعناء الأشغال ، وذهبت إلى منارة قطب الدين خارج دهلي .

ورأيت هذه المنارة الشامخة ، فإذا هي آية في الهندسة و البناء ، مبنية من الحجارة الصلبة الحمراء ، تنطق بعظمة القدماء .

وبينما أنا أدور حول هذه المنارة بين قبور وقصور ، وأفكر في ضعف الإنسان وقوة البنيان ، إذا صوت يرن في أذني ، ويقول : " أيها الرجل ! اسمع " .

والتفت فلم أر أحدا ، وسرحت طرفي فإذا المكان هادئ ، ليس هنا داع ولا مجيب ، وليس هنا إلا الحجارة الصماء البكماء.

وإذا صوت يتردد : "أيها الرجل ! اسمع " فأصغيت إلى هذا الصوت ، وقد دنوت من المنارة ، فرأيت عجبا .

رأيت عجبا إذ سمعت المنارة تتكلم ، فقلت : لم أر كاليوم حجارة تنطق ، ومنارة تتحدث!

وإذا صوت أجهر و أوضح من قبل : اسمع أيها الرجل ، ولا تخف ، فقد أنطقني الله الذي أنطق كل شيء ، هنالك وقفت أستمع لهذا الصوت ، فإذا المنارة تقول :

أنا واقفة هنا منذ أكثر من سبعة قرون ، لم أبرح مكاني ساعة ، ولم أغمض عيني طرفة ، أشاهد تقلبات الزمان ، وتحول الملك والسلطان ، كأني قطب يدور حولي رحى الحوادث.

وقد رأيت في هذه المدة من العجائب ما أضحكني قليلا ، ومن المحزنات ما أبكاني طويلا ، ولولا أن قلبي من حجر لانشق حزنا .

و لا انكر أني رأيت في هـذه المدة ملوكا عـادلين ، و رجالا من العلماء والصالحين ، قرت بهم عيني ، وزالت بهم أحزاني .

وها أنا اقص عليك خبري ، وما جرى في هذه البلاد بين سمعي و بصري .

سمعت أن السلطان محمود الغزنوي هو الذي فتح هذه البلاد للإسلام ، ودوخها من الشمال إلى الجنوب ، وهزم الأحزاب والجنود المجندة لملوك الهند ، فكان برهانا على أن الإيمان يغلب العدد ، وذلك في فجر القرن الخامس الهجري .

و بعد قرن ونصف غزا الهند السلطان شهاب الدين الغوري ، و هو الذي رسخت به قدم المسلمين في هذه البلاد ، و قامت لهم دولة مستقلة .

ولكن الذي فتح هذه البلاد في الحقيقة ، وأخضعها للإسلام هـو الرجل الصالح الشيخ معين الدين الجشتي ، الذي اهتدى به إلى الإسلام ألوف من المشركين ، و كان دعاؤه سلاحا للغوري و جُنة .

أنا أقول: : "سمعت" لأني لم أكن في تلك الأيام ، فأنا وليدة القرن السابع ، فقد بناني قطب الدين منارة لجامع : " قوة الإسلام " و تم بنائي على يد شمس الدين ، و بقيت فريدة منذ ولدت .

ومن حسنات الإسلام أنه جعل العبيد سادة ، والمماليك ملوكا ، فقد خلف الغوري مملوكه قطب

الدين ، وخلفه مملوكه شمس الدين ، واستمرت دولة المماليك (٨٧)سنة جاء في خلالها ملوك يتجمل تاريخكم بهم ، كالقائد قطب الدين أيبك ، والملك الصالح ناصر الدين محمود بن التمش ، والملك العادل غياث الدين بلبن .

وفي عصر السلطان شمس الدين كان في دهلي الشيخ الكبير قطب الدين بختيار الكعكي ، وطالما رأيت السلطان شمس الدين يدخل عليه في الليل ، و يخدمه ، و يغمز رجليه ، و يبكي .

و انقرضت دولة سادتي المماليك ، والأرض لله يورثها من يشاء ، وجاء الخلج ، ورأيت من غرائب الإنسان عما كريما يقتله ابن أخيه و ختنه .

ولكن علاء الدين بعد ما قتل عمه جلال الدين ضبط البلاد ، وسن القوانين ، وعين الأسعار ، وبسط الأمن ، وأوغل في الهند.

وقضي على الخلجيين بالزوال بعد (٣١)سنة ، سنة الله في الأرض ، و ورثهم آل تغلق ، و كان منهم ملك غريب الأخلاق ، أعني محمد تغلق ، الملك العاقل

المجنون ، الذي أراد أن يحول العاصمة إلى دولت آباد ، ولكن الله رحم وحشتي ، ولم يفلح الملك .

و خلفه شاب صالح من بيته اسمه فيروز ، الذي بني المساجد و المدارس ، و أنشأ الشوارع و الرباطات ، و رد المظالم .

وفي هذا العهد كان العبد الصالح الشيخ نظام الدين البدايوني ، وكانت له زاوية عامرة يؤمها مئات من الطالبين ، فكانت إمارة روحية في جنب إمارة مادية ، تفوقها في السلطان على القلوب .

حكم آل تغلق (١٣٥) سنة ، مدة طويلة ، ثم طوي بساطهم - و الحكم لله - وآل الأمر إلى اللودهيين ، وكان أوسطهم سكندر اللودهي ، وكان عادلا فاضلا ، يحب العلم والعلماء .

وفي هذا العهد ازدهرت مدينة جون بور ، و بلغت أوجها في عهد إبراهيم شاه الشرقي (٨٠٤ هـ-٨٤٤هـ) و كنت أسمع أحاديث ملكها ، وأخبار علمائها كملك العلماء القاضي شهاب الدين الدولت آبادي ، والشيخ أبي الفتح بن عبد المقتدر الدهلوي ، و قصص جوامعها و مدارسها .

وازدهرت كذلك مدينة "أحمدآباد" وفاقت الهند بملوكها الراشدين ، وعلمائها المحدثين ، وبصنائعها ، وكثرة جنانها ، وحدائقها ، وحسن نظامها ، وكنت أسمع أخبار محمود شاه و ابنه مظفر شاه الحليم (٨٦٢ هـ ـ ٩٣٢هـ) فكأني أسمع أخبار رجال خير القرون .

❖ الأسئلة :

١ـ من الذي أنطق المنارة ؟

٢ـ بأي لسان تحدثت المنارة ؟

٣ ـ اذكر أسماء الملوك العادلين.

٤ـ في أي عهد ازدهرت مدينة جونفور؟

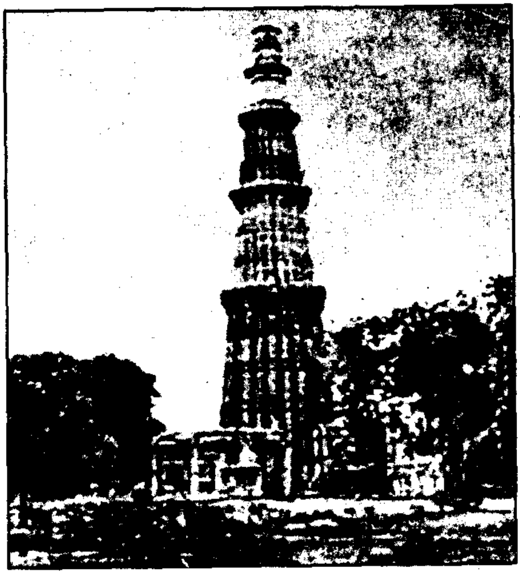
٥ ـ بين معنى الكلمات التالية واستعملها في الجمل المفيدة :

عناء ـ سرّحت ـ الشامخة ـ لم أبرح ـ دوّخ ـ انقرضت ـ يغمز.

③

المنارة تتحدث

٢



وفي عهد إبراهيم اللودهي سنة (٩٣٣هـ)جاء بابر ، وهو من آل تيمور من كابل ، وكسر جنود اللودهي ، وهي مئة ألف مقاتل في ساحة باني بت باثني عشر ألف مقاتل ، فكان برهانا على أن العزيمة تغلب الكثرة ، وأسس دولة المغول ، التي لها دوي في العالم ، وآثار خالدة في "الهند" .

وفي عهد ابنه همايون نهض شير شاه السوري ، فطرد همايون إلى "إيران" و أسس دولة منظمة لم تسبق ، وعمل أعمالا جليلة ، لو وزعت على عدة ملوك لوسعتهم ، فأنشأ شارعا مسيرته أربعة أشهر ، و غرس عليه الأشجار، وبني عليه المنازل والمساجد ، وذلك كله في خمس سنوات ، ولا أزال أغبط "سهسرام" إذ كانت عاصمته ومدفنه ، وهنا تخلفت دهلي ، و سبقتها مدينة صغيرة .

وخلف همايون الذي استرد ملكه بمساعدة شاه إيران ابنه الأمي أكبر .

وهو الذي مرق من الإسلام ، واخترع دينا جديدا وعاند المسلمين ، وقد أنجاني الله من مصاحبته ، إذ اتخذ " آكره " عاصمته .

وخلفه ابنه جهانكير ، وكان أفضل من أبيه ، ودون ابنه وحفيده ، واضمحلت آثار أكبر في عهده .

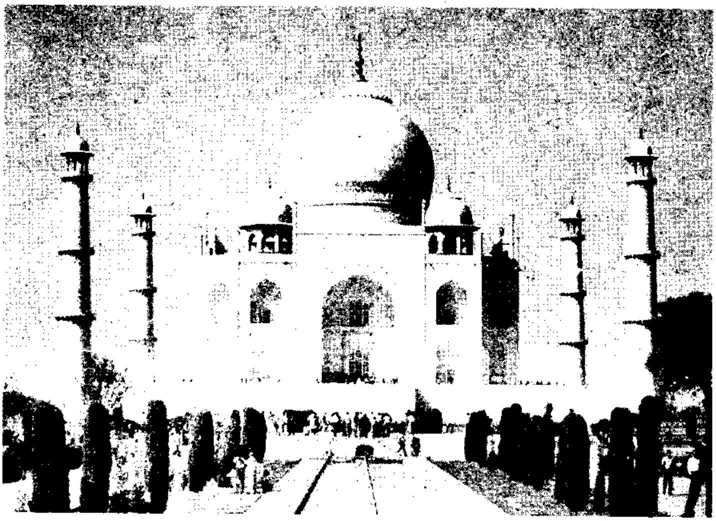
وفي هذا العصر نهض المصلح الكبير الشيخ أحمد

السرهندي المجدد (م١٠٣٤هـ) فقلب التيار، وغير الله به الليل والنهار، وانتصر به الدين، وزالت به دولة المبتدعين.

وفي هذا العصر سعدت الهند أيضا بوجود عالم كبير، خدم علم الحديث، وصنف، ودرس طويلا، وهو العلامة عبد الحق البخاري (م١٠٥٢هـ) وأنا سعيد بأنه لايزال في جواري.

وخلف جهانكير ابنه شاه جهان، وهو صاحب الآثار الجميلة في الهند، بنى جامعا في دهلي من أجمل مساجد المسلمين في العالم، وبنى القلعة الحمراء، وبنى على قبر زوجه التاج محل، وهي الدرة اليتيمة في البناء، وما وددت أن أبرح من مكاني إلا لأراه.

وخلف شاه جهان ابنه السلطان أورنك زيب عالمكير، وهو رجل هذا البيت الرشيد، فأمر بتدوين الفقه، وأبطل المكوس والمظالم عن المسلمين، وضرب الجزية على المشركين، ونصب المحتسبين، وأقام دولة العلم والدين.



تاج محل

ومن سوء حظ المسلمين في هذه البلاد أن خلفاء أورنك زيب لم يكونوا رجالا أكفاء في الدين والسياسة، فأصبحت السياسة هزلا ، والدولة ألعوبة ، ملوك يحكمون صباحا و يقتلون مساءا، و يستبدلون كالخلقان من الثياب .

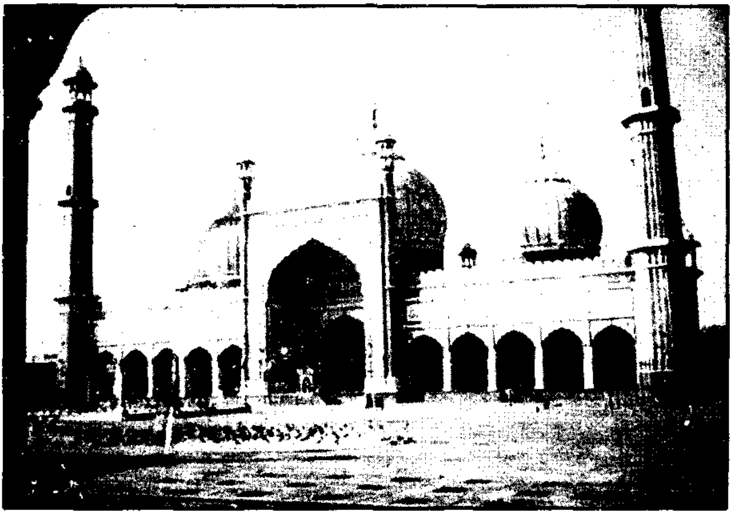
ولا أضيع وقتك الثمين في سرد أسمائهم الفارغة .

وهنا رأيت ما أبكاني ، فقد فسدت أخلاق المسلمين في هذا العصر ، فشا فيهم الفجور ، وعمت الخمور ، وكثرت الملاهي ، وأقبل الناس على اللهو واللعب ،

والرقص ، و الغناء ، فكأن لم يبعث نبي ، ولم ينزل كتاب ، و الناس في جاهلية .

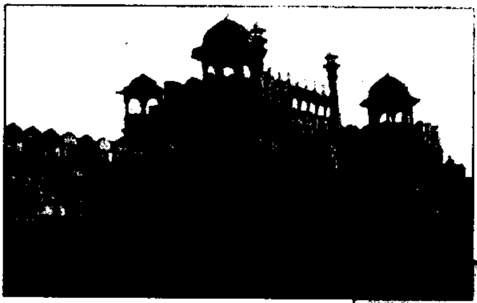
و كنت أذكر قول الله تعالى : " وَ إِذاَ أَرَدْناَ أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْناَ مُتْرَفِيْهَا فَفَسَقُوْا فِيْهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنٰهَا تَدْمِيْراً " وأخاف بطشه .

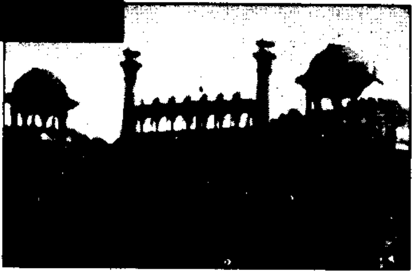
وفي عهد محمد شاه (م١١٦١هـ) بلغ السيل الزبي ، وطم الوادي على القرى ، فبعث الله على دهلي عبادا له أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار .



جامع شاه جهان في دهلي

جاء نادر شاه سنة (١١٥١هـ) من إيران ، فوضع فيهم السيف ، وبلغ القتلى من الهنديين في دهلي مئة ألف ونيفا ، وسالت بدمائهم الشوارع ، ولم يغمد السيف إلا بعد ثلاثة أيام .





القلعة الحمراء في دهلي

ولم يفق أهل دهلي والمسلمون من سكرتهم ، فاجتمع عليهم المرهتة والسكه اجتماع الأكلة على القصعة ، وفي كل يوم غارة ، ونهب ، وسلب ، وإهانة ، وجلاء ، فخربت قرى كثيرة ، وهدمت مساجد ذكر فيها اسم الله كثيرا ، وعجز المسلمون عن مقاومتهم ، ودخل في قلوبهم الجبن ، والخوف .

هنالك رحم الله هذه الأمة الهندية ، فبعث لها أحمد شاه الأبدالي من أفغانستان سنة (١١٧٤هـ)فنازل المرهتة في ساحة باني بت ، وقتل منهم نحو مأتي ألف ، وهزمهم هزيمة لم تقم لهم بعدها قائمة .

و في هذه الأيام العقيمة أنجبت دهلي رجلا عظيما ، و هو الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم ، فنادى بالمسلمين إلى الدين ، و انتقد الأمراء الجائرين ، والشيوخ المبتدعين ، وخرج العلماء الراسخين ، والدعاة المخلصين ، و صنف الكتب البديعة في علوم الدين .

وشمر هو و أبناؤه النجباء الشيخ عبدالعزيز ، والشيخ رفيع الدين ، والشيخ عبد القادر ، وابن ابنه الشيخ إسماعيل ـ دفين بالاكوت ـ عن ساق الجد في خدمة الدين ، فمن مترجم للقرآن ، و من شارح للحديث ، ومن فقيه يضرب إليه أكباد الإبل ، ومن مزك للنفوس ، ومن مدرس للحديث الشريف ، ومن مجاهد بالسيف وشهيد في سبيل الله ، ومن مهاجر إلى بيت الله ، والهند تباهي بهذا البيت الشريف الأقطار الأخرى ، وتنشد :

أولئك أبنائي فجئني بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجــامع

❖ **الأسئلة :**

١ ـ من الذي طرد همايون إلى إيران ؟
٢ ـ اذكر بعض مكارم شير شاه السوري .
٣ ـ كيف كان الملك أكبر ؟
٤ ـ ماهى المآثر الحسنة التي تركها عالمكير .
٥ ـ استعمل الكلمات الآتية في جمل اسمية :
ساحة، دوى ، الآثار ، الملاهي ، ألعوبة .

(٤)
المنارة تتحدث

(٣)

أراك يا سيدي قد سئمت حديثي و طول القيام هنا، فاصبر قليلا لعلي أخفف عن نفسي بعض ما أجده من الحزن .

نسيت أن أذكر لك أن الإنكليز قد دخلوا الهند في القرن السادس عشر المسيحي تجارا و أسسوا شركة

تجارية سموها الشركة الهندية الشرقية، و كانت بذرة فساد أغفلها الملوك المسلمون في بساطتهم و حسن ظنهم، وبقيت هذه الشركة تشتغل بالتجارة حتى اضطرب حبل الدولة المغولية فطمع رجالها إلى الملك والسياسة، و صاروا يتدخلون في الأمور ، و يحرشون بين الأمراء ، و يضربون بعضهم ببعض ، وينتهزون فرصة بعد فرصة ، حتى أصبحوا قوة في الهند .

و لم يزل أمر الإنكليز يقوى ، وأمر الهنديين يضعف حتى أخذوا في الجنوب "كرناتك" وفي الشرق "كلكتة " و ذلك كله بمال الهند، و رجالها، لم يبذلوا في سبيل ذلك درهما ، ولا دما من قبل أنفسهم .

وقد عني بأمر الإنكليز فتى شهم ، وهو النواب سراج الدولة أمير "مرشدآباد " ، وكانت بينه وبين الإنكليز وقعة في بلاسي سنة(١١٧١ هـ ١٧٥٧م) غدر فيها الوزير مير جعفر، وانسل إلى الإنكليز فانهزم سراج الدولة، وانتقلت مقاطعة " بنكال " إلى الإنكليز .

واجتهد الأمراء مرة ثانية ، واجتمع مير قاسم ختن مير جعفر، أمير " مرشدآباد" وشاه عالم "ملك

دهلي" والنواب شجاع الدولة ، أمير "أودهـ" بجنوده الكثيفة ، وقاتلوا الإنكليز، وهم أقل منهم عددا، ولكن أحسن منهم نظاما، فانهزم الهنديون ، و انكسروا في ساحة بكسر سنة (١١٧٨هـ ـ ١٧٦٤م) فكان برهانا على أن النظـام يغلب الزحام ، و كانت للإنكليز اليد العليـا ، و الكلمة النافذة ما بين "كلكتة" و "دهلى" .

ثم قام الفتى الأبي الغيور السلطان تيبو أمير ميسور، وقاتل الإنكليز قتالا شديدا، و هزمه الإنكليز بقوة المسلمين والمرهتة سنة (١٢١٤هـ ـ ١٧٩٩م) وغدر الوزير مير صادق ، وانسل إلى الإنكليز، ومات السلطان الشهيد في ساحة القتـال موت الأبطال مدافعا عن دينه و وطنه .

و أراد الله أن يبتلي أهل الهند، فمنحهم فرصة أخرى ، فنهضت عصابة من الشبان المخلصين ، يقودها فتى من أهل بيت الرسول ﷺ قد جاء من الشرق ، كنت أراه كثيرا في مدرسة الشيخ عبد العزيز ـ رحمة الله عليه ـ و مسجد الشيخ عبد القادر ، واشتهر سريعا باسم السيد أحمد ، و تهـافت عليـه النـاس من كل جانب ،

و بايعه محمد اسماعيل ابن أخي الشيخ عبد العزيز ـ رحمة الله عليه ـ و عبد الحي ختن الشيخ ، وعالم "دهلي" الكبير، والعلماء والصلحاء وطاف هؤلاء في البلدان والقرى . و بثوا دعوة الرجوع إلى الدين والتمسك بالكتاب والسنة ، وأشعلوا في الصدور شعلة الجهاد، و اجتمع حولهم أناس هم خير من وقعت عليهم عيني دينا و عبادة ، و خلقا ومعاشرة ، وغيرة وحماسة ، فكانوا بالليل رهبانا وبالنهار فرسانا، وفي الدين أبدالا، وفي القوة أبطالا .

و هاجر هؤلاء سنة (١٢٤١هـ) إلى ثغور الهند ، و رفعوا راية الجهاد ضد السكه، و بايع الناس إمامهم السيد أحمد، و كانت الحرب بينهم وبين السكه سجالا، وسمعت بعد قليل أنهم فتحوا أرضا واسعة، وأسسوا إمارة على منهاج الخلافة الراشدة ، ونفذوا فيها أحكام الشرع ، و أقاموا الصلاة ، و آتوا الزكاة ، و أمروا بالمعروف ، و نهوا عن المنكر، و فتحوا بيشاور عاصمة الثغور ، فعظم شأنهم ، وكاتبوا أمير بخارى ، وجترال ، وأمراء أفغانستان ، وكانوا يريدون أن يقيموا دولة شرعية مستقلة في الهند .

كنت أسمع ذلك كله ، والناس يفرحون ، وأنا أخاف لأني لم أكن آمن عليهم من المسلمين الغدر والخيانة ، و هما من أمراض المسلمين ، و لم تذهب دولتهم إلا بغدر المسلمين و خيانتهم ، ونفاقهم - و سامحني يا سيدي في هذا العتاب المرفلي العذر - و كنت أخاف ذلك خاصة فى تلك البلاد ، و لم تمض يا سيدي أيام قليلة حتى وقع ما كنت أحذره ، فقد سمعت أنه غدر بهم الأمراء الأفغان، و قتلوا نوابهم و عمالهم سجدا وقياما، وسمعت أنهم الآن في طريقهم إلى كشمير.

ثم سمعت بعد أيام أنهم دهمهم العدو في وادي بالاكوت في جبال هزارا، و ذلك بدسيسة بعض المسلمين أيضا، و قتل أكثرهم ، ولم ينج منهم إلا القليل، وكانت هذه الحادثة الأليمة سنة (١٢٤٦هـ).

وهكذا ضاعت هذه الفرصة الثمينة، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

و أعود إلى حديث الإنكليز و أقول : إنهم اختلقوا ذنوبا على الأمراء ، كما سمعت في قصة الذئب

و النعجة ، و انتزعوا " بنجـاب" و "السند" و " بورمـا " و " أودهـ " و امتلكوها ٠

و انتبه الهنديون من سباتهم ، و اجتهدوا أن يتخلصوا من الإنكليز سنة (١٨٥٧م) ٠

فكانت ثورة كبيرة ، ولكن فشلت أيضا بسوء نظام الهنديين ، و رسخت قدم الإنكليز، و عاقبوا الهنديين عقابا شديدا، وعذبوهم عذابا أليما ، و فتكوا بالبيت الملكي فتكا شديدا، و أسروا بهادر شاه ، و نفوه إلى "رنكون" ٠

ومن ذلك اليوم أفل نجم المسلمين في هـذه الديار و انحطوا في الدنيا والدين ، و رضوا بالذل و العبودية ، و فسدت الأخلاق ، و سقطت الهمم ، و ضـاقت الأرزاق ، و غلت الأسعـار ، و عمت المجاعـات ، و عطلت المـدارس ، و أقفرت الزوايا ، و أوحشت المساجد٠

وفي سنة (١٩٤٧م) تحررت البلاد من الإنكليز ، ووقعت اضطرابات هائلة ، وهاجر كثير من المسلمين من بلادهم ، و قامت لهم دولة في شمالي الهند الغربي ،

و بقي سائرهم في الحكومة الهندية ، و قد فقدوا نشاطهم ، و استولى عليهم اليأس ۰

و لست قانطا يا سيدي من رحمة الله : " وَ هَلْ يَقْنَطُ مِنْ رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّوْنَ " ۰

ولم أيأس من نهضة المسلمين، فإني رأيتهم طول هذه المدة كالشمس إذا غربت في جهة طلعت في جهة أخرى ، و أنهم لم يغب لهم نجم إلا وطلع لهم نجم آخر، فإن مستقبل العالم معقود بناصيتهم ، وإن الله لا يحب الفساد في الأرض ، ولا يرضى لعباده الكفر ۰

اقرأ على أمتك مني السلام ، وقل لها : إني أشهد الله أن هذه الأمة ما أفلحت إلا بالتمسك بالدين، وما خسرت إلا بالغفلة عن الدين ، و لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، هذا الذي شهدته و اختبرته في هذه القرون المتطاولة : " وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيْرٍ " ۰

و لما انتهت المنارة من كلامها ، انصرفت عنها ، و رجعت إلى مكاني ، و بت ليلتي أفكر فيما سمعت ، وبادرت في الصباح فقيدت حديث المساء ۰

❖ الأسئلة :

١ـ كيف دخل الانكليز في الهند و بسطوا نفوذهم فيها ؟
٢ـ من هذا الفتى الشهم الذي عني بأمر الانكليز؟
٣ ـ عرف بالإمام السيد أحمد الشهيد بذكر بعض خصائصه .
٤ـ متى تحررت الهند من الإنكليز وماذا حدث بعد ذلك ؟
٥ ـ بدل الأفعال الماضية في السطور الآتية بأفعال طلبية ؟

قنط، رضي ، انتبه ، يجول ، أفكر ، بادرت .

(٥)

عمر بن الخطاب و أم البنين

لدى عمر أمير المؤمنينا — قفوا بي وقفة المتهيبينا
مليك ذو مآثر باسقات — يقصر عن مداها السابقونا
خوالد ما عفت قدما ولكن — يعطر نشر ذكراها القرونا
فمن يمدح لمكرمة فإني — نظمت بمدحه عقدا ثمينا
وهاكم ماروى العباس عنه — أراه بانتباهكم قمينا
يمثل صورة للبؤس فينا — و يملي عبرة للحاكمينا

❖ ❖ ❖

يقول:لقد دعاني الملك وهنا — فكنت له بجولته خدينا
أفزته محبته لشعب — يعز عليه يوما أن يهونا

سرى متنكرا والليل قر ... إلى الأثلات يفتقد الشؤونا

يطوف في الخيام عساه يلقى ... بمنزوياتها رهطا حزينا

فمر هناك بامرأة عجوز ... حواليها صغار يعولونا

وقدر أركزته على أثاف ... غلى عبثا لتعليل البنينا

تقول: ودأبها التنفيخ ! صبرا ... بني، ستأكلون و تشبعونا

فظل الملك يمعن ناظريه ... بها حينا وبالأولاد حينا

وطال وقوفه في الحي حتى ... توجس أن يريب به الظنونا

يمينا ليس يبغي البين حتى ... يرى الأولاد قد ملؤوا البطونا

وما زالوا كذلك بضع ساع ... تنفخ في الوقود ويصرخونا

فعيل تصبرا، ودنا إليها ... وحيا قائلا: ما تصنعينا ؟

وما لبنيك ينتحبون؟ قالت: ... جياع ! قال: لم لم يأكلونا؟

أجابت! والمحاجر دامعات ... أأطعم صبيتي الماء السخينا

فما في القدر غير حصى وماء ... أحاول أنهم يتعللونا

لعلهم متى ملوا انتظاري ... وساورهم نعاس يهجعونا !!

فقال لها: لقد أخطأت رأيا ... وأورثت الصغار ضنى و هونا

فلم لم تعرضي شكواك يوما ... على عمر أمير المؤمنينا؟

إذًا لكفاك مر العيش مما ... يجود ولم يكن عمر ضنينا

فقالت: لا سقت عمر الغوادي ... ونكس بنده في العالمينا

لقد سمحت بظلمي مقلتاه ... و تحميلي الخصاصة والأنينا

فراع فؤاده ما تدعيه ... وقال لها: بربك أخبرينا
فقالت: قد أمال الطرف عنا ... ولم يعبأ بما قد حل فينا
أيغفل عن سوائمه مليك ... يسمي نفسه الراعي الأمينا؟
عليه أن يفتش في الرعايا ... و يرتاد المزارع و الحزونا؟
عساه أن يرى مثلي عجوزا ... تبيت الليل تنتظر المنونا
فينعم من خزينته بشيء ... تعيل به بنيها المدنفينا
فكم عاف يمنعه حياء! ... فلا يجري مع المتسولينا
يكاد يموت من ظمأ وجوع ... ولا يبغي أكف المحسنينا
إذا ملك تغاضى عن ذويه ... فيحسب في عداد الظالمينا
فقال لها: صدقت، فعن قليل ... نعود بما تيسر، فأنظرينا

وسار وسرت محتذيا خطاه ... كأن بنا إلى وطر حنينا!
أكر وراءه تحت الدياجي ... و تنبحنا الكلاب وتقتفينا
إلى بيت المؤنة حيث أمسى ... هنالك ينبش الذخر الدفينا
وما هو غير لمح الطرف حتى ... حملت السمن واحتمل الطحينا
وعدنا والدقيق عليه يذرى ... فعفر عارضيه والجبينا
يكاد ينوء تحت الحمل لكن ... مشى طول المسافة مستكينا
كأني إذ عرضت يدي عليه ... ضربت على صفاة لن تلينا
فقال: اصمت فما حملت عني ... ذنوبي يوم يجزى المذنبونا

إلى الأولاد يا عباس سر بي ... أمد لكشف كربتهم يمينا
أنأكل كل يوم كل لون ... وهم من جوعهم يتضورونا
و نسرح في ربوع الأنس دوما ... وهم من جوعهم يتململونا
ونرقد لا نبالي بالبلايا ... وهم لنبالها مستهدفونا
جفاني عند رؤيتهم رقادي ... و واصلني صداع لن يبينا
وكدت أحس أن الأرض مادت ... وجوف الغمر أوشك يحتوينا
إلى الأولاد يا عباس أمحو ... خطاي و أغسل العار المبينا
فويم الله ما القلل الرواسي ... كحمل ظلامة المستضعفينا
فأزجينا الخطى في المهل حتى ... طوينا منه قاحلة شطونا
فأدركنا العجوز على قتاد ... وقد أغضت من التعب الجفونا
وجفت قدرها فوق الأثافي ... فكان ثمالها كدرا وطينا
فأفرغها، و أفعمها دقيقاً ... بيمناه، ودس به السمونا
وكاد الوقد تحت القدر يخبو ... فأولج في بقاياه غصونا
مكبا لا يثبطه دخان ... تناول منخريه والعيونا
يجيد الطبخ تحريكا وغليا ... كأنك تشهد الطاهي الفطينا
فأنضجه ونحن بجانبيه ... أبى إصراره أن يستعينا
و أسرع. والبشاشة ملء فيه ـ ... بتلقيم الصغار الجائعينا
يتامى ما حنا أحد عليهم ... ولا عرفوا سواه أبا حنونا
ومال إلى العجوز فقال: مهلا ... أقلي اللوم والتزمي السكونا

سنذكر للأمير بلاك إنا إلى عرش الإمارة منتمونا
كفاك كآبة وطوى وسهدا فنامي ملء جفنك وأصبحينا

وكان غد لدى عمر رهيبا عليها حيث أدركت اليقينا
لدى عمر، وقد رشقت سهاما من التنديد بات بها طعينا
فيالك موقفا حرجا تمنت لشدة روعها ألا تكونا
ولكن نالها منه التفات نفى عنها التأثر و الشجونا
فأجزل رفدها بعد اعتذار و بدل شدة الأيام لينا
فراحت وهي تروي عنه عدلا وإحسانا وفرط تقى و دينا

كذا كان الخليفة من قديم مثالا للملوك الصالحينا

(الأستاذ جرجي نخلة سعد)

❖ الأسئلة :

١ـ بم اشتهر عمر بن الخطاب ؟
٢ـ ما قصة المرأة العجوز مع صغارها الجائعين ؟
٣ـ كيف اكتشف عمر حاجة المرأة العجوز ؟
٤ـ من حمل كيس الدقيق ؟ ولماذا ؟
٥ـ متى ارتسمت البشاشة على وجه عمر بن الخطاب ؟
٦ـ اذكر قصة عن ملك عادل

٦

الإمام أبو حامد الغزالي

ولد أبو حامد محمد الغزالي بطوس سنة (٤٥٠هـ) وكان والده يغزل الصوف ، و يبيعه في دكانه بطوس ، و كان فقيرا صالحا ، لا يأكل إلا من كسب يده ، و يطوف على المتفقهة ، ويجالسهم ، وينفق عليهم بما يمكنه ، و كان إذا سمع كلامهم بكى ، و تضرع ، وسأل الله أن يرزقه ابنا فقيها واعظا ، فاستجاب الله دعوته ، ولما حضرته الوفاة وصى به ، و بأخيه أحمد إلى صديق له من أهل الخير، فلما مات أقبل الرجل على تعليمهما إلى أن فني ذلك الذي خلفه لهما أبوهما، فقال لهما: اعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما ، و أنا رجل فقير ، لا مال لي ، فأرى أن تلجآ إلى مدرسة ، فإنكما من طلبة العلم ، فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما ، ففعلا ذلك ، و كان هو السبب في سعادتهما ، و علو درجتهما.

قرأ الغزالي في صباه طرفا من الفقه ببلده على أحمد بن محمد الراذكاني ، ثم سافر إلى جرجان إلى الإمام أبي نصر الإسماعيلي ، و علق عنه التعليقة ، ثم رجع إلى طوس ، قال الغزالي ، قطعت علينا الطريق ، و أخذ العيارون جميع ما معي ، و مضوا ، فتبعتهم فالتفت إليّ مقدمهم ، و قال : ارجع ويحك ، و إلا هلكت ، فقلت له: أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد علي تعليقتي فقط ، فما هي بشيء تنتفعون به ، فقال لي: وما هي تعليقتك ؟ فقلت : كتب في تلك المخلاة ، هاجرت لسماعها ، و كتابتها ، و معرفة علمها ، فضحك و قال : كيف تدعي أنك عرفت علمها وقد أخذناها منك، فتجردت من معرفتها ، وبقيت بلا علم؟! ثم أمر بعض أصحابه فسلم إلي المخلاة ، قال الغزالي : هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به في أمري ، فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين ، حتى حفظت جميع ما علقته ، و صرت بحيث لو قطع علي الطريق لم أتجرد من علمي .

وقدم الغزالي " نيسابور" ولازم إمام الحرمين، وجد، و اجتهد حتى برع في المذهب ، و الخلاف ، و الجدل ، و الأصلين ، و المنطق ، و قرأ الحكمة ، و الفلسفة ، و أحكم كل ذلك ، و فهم كلام أرباب هذه العلوم ، و تصدى للرد عليهم و إبطال دعاويهم ، و صنف في كل فن من هذه العلوم كتبا جليلة .

ولما مات إمام الحرمين خرج الغزالي إلى " المعسكر" قاصدا الوزير نظام الملك ، إذ كان مجلسه مجمع أهل العلم، فناظر الأئمة والعلماء في مجلسه ، و قهر الخصوم ، و ظهر كلامه عليهم ، و اعترفوا بفضله ، وتلقاه الصاحب بالتعظيم والتبجيل ، و ولاه تدريس مدرسة ببغداد، وأمره بالتوجه إليها، فقدم بغداد في سنة (٤٨٤هـ) و درس بالنظامية ، و أعجب الخلق حسن كلامه ، و كمال فضله ، و فصاحة لسانه ، و نكته الدقيقة ، و إشاراته اللطيفة ، و أحبوه .

و أقام على تدريس العلم و نشره بالتعليم ، والفتيا، و التصنيف مدة ، عظيم الجاه ، زائد الحشمة ، عالي الرتبة ، مسموع الكلمة، مشهور الاسم . وعلت

حشمته و درجته في بغداد حتى كانت تغلب حشمة الأكابر، و الأمراء، و دار الخلافة ٠

ثم تبرمت نفسه مما كان فيه من الجاه، وكثرة الطلبة، والاقتدار على العلوم وتدريسها، واعتراه شك في العلوم ، وظهر له أنه لامطمع في سعادة الاخرة إلا بالتقوى ، وكف النفس عن الهوى ، والإقبال على الله تعالى ، وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال ، وفكر في نفسه ، فإذا هو مقبل على علوم غير مهمة ، ولا نافعة في طريق الآخرة ، وتفكر في نيته ، فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى ، فتيقن أنه على خطر ، ولم يزل يفكر في مفارقة بغداد وترك التدريس قريبا من ستة أشهر ، و أورث ذلك حزنا في القلب بطل معه الهضم ، وتعدي إلى ضعف القوى ، حتى يئس منه الأطباء ، و أشاروا عليه بالترويح ، و خف عليه الإعراض عن الجاه و المال ففارق بغداد ، و فرق ما كان معه من المال ، ولم يدخر إلا قدر الكفاف ، وحج البيت الحرام ، ثم دخل الشام ، و أقام به قريبا من سنتين ، لا شغل له إلا العزلة ، والخلوة ، والرياضة ، والمجاهدة ، اشتغالا

بتزكية النفس ، وتهذيب الأخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، ثم توجه إلى بيت المقدس ، فجاور به مدة ، ثم إلى دمشق ، واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع ، و صنف التصانيف المشهورة التي لم يسبق إليها ، مثل : إحياء علوم الدين ، و صادف دخوله يوما المدرسة الأمينية فوجد المدرس يقول : قال الغزال ، وهو يدرس من كلامه ، فخشي الغزالي على نفسه العجب ، ففارق "دمشق" وأخذ يجول في البلاد ، فدخل منها إلى مصر ، وتوجه منها إلى الإسكندرية ، فأقام بها مدة ، و استمر يجول في البلدان ، و يزور المشاهد ، و يروض نفسه ، ويجاهدها ، واستفاد من صحبة الشيخ أبي على الفارمدي ، و انكشفت عليه علوم وحكم ، و علت مداركه ، و عاد إلى الوطن ، و آثر العزلة.

والزم بالعود إلى نيسابور والتدريس بها في المدرسة النظامية ، فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات ، ودرس مدة يسيرة ، و كل قلبه معلق مما فتح عليه من الطريق ، ثم رجع إلى مدينة طوس ، و اتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء ، و زاوية للصوفية ، و وزع أوقاته

على وظائف من ختم القرآن ، و مجالسة أرباب القلوب ، و التدريس لطلبة العلم ، و إدامة الصلاة و الصيام وسائر العبادات ، بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته ، و لحظات من معه عن فائدة ، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى في يوم الاثني ١٤/جمادى الآخرة سنة ٥٠٥هـ .

قال أخوه أحمد: لما كان يوم الخميس وقت الصبح توضأ أخي أبوحامد ، و صلى ، و قال: علي بالكفن ، فأخذه ، و قبّله ، و وضعه على عينيه ، و قال: سمعا و طاعة للدخول على الملك ، ثم مد رجليه ، و استقبل القبلة ، و مات قبل الإسفار .

وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث الرسول ﷺ و مجالسة أهله ، و مطالعة الصحيحين البخاري و مسلم ، و مات و كتاب الصحيح للبخاري على صدره .

كان الغزالي - رحمه الله - شديد الذكاء، سديد النظر ، عجيب الفطرة ، عالي الهمة ، مفرط الإدراك ، قوي الحافظة ، بعيد الغور ، غواصا على المعاني الدقيقة ، مناظرا قوي الحجة.

❖ **الأسئلة :**

١ ـ متى ولد أبو حامد الغزالي ؟ وأين ؟
٢ ـ ماذا تعلم الغزالي في صباه ؟
٣ ـ اذكر ثلاث صفات اشتهر بها الغزالي ؟
٤ ـ سم كتابا ألفه الغزالي .
٥ ـ متى توفي أبو حامد الغزالي ؟

❖ **ضع كل كلمة مما يلي في المكان المناسب لها :**

(النفس ، التدريس ، الحجة ، ختم ، الأخلاق، الذكاء)

ـ اشتغل الغزالي بتزكية ....و تهذيب .... ..
ـ وزع أوقاته على وظائف من ..... القرآن و .....
ـ كان الغزالي شديد ....قوي ....

⑦

بين والد جندي وولــد فقيــه

خرج فروخ أبو عبد الرحمن في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازيا، و ولده ربيعة حمل في بطن أمه ، و خلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار ، فقدم المدينة بعد سبع و عشرين سنة ، و هو راكب فرسا ، في يده رمح ، فنزل عن فرسه ، ثم دفع الباب برمحه ، فخرج ربيعة ، فقال له : يا عدو الله! أتهجم

على منزلي ؟

فقال : لا ·

وقال فروخ : يا عدو الله! أنت رجل دخلت على حرمتي ·

فتواثبا ، وتلبب كل واحد منهما بصاحبه ، حتى اجتمع الجيران فبلغ مالك بن أنس والمشيخة ، فأتوا يعينون ربيعة ، فجعل ربيعة يقول : والله لا فارقتك إلا عند السلطان ، وجعل فروخ يقول : والله لا فارقتك إلا بالسلطان ، و أنت مع امرأتي ، و كثر الضجيج .

فلما بصروا بمالك سكت الناس كلهم ، فقال مالك : أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ : هي داري وأنا فروخ مولى بني فلان ، فسمعت امرأته كلامه فخرجت فقالت : هذا زوجي ، و هذا ابني الذي خلفته و أنا حامل به ، فاعتنقا جميعا وبكيا ، فدخل فروخ المنزل ، و قال : هذا ابني ؟

قالت : نعم !

قال : فأخرجي المال الذي لي عندك ، وهذه معي أربعة آلاف دينار .

فقالت : المال قد دفنته ، و أنا أخرجه بعد أيام .

فخرج ربيعة إلى المسجد ، و جلس في حلقته ، و أتاه مالك بن أنس ، و الحسن بن زيد ، و ابن أبي علي اللهبي ، و المساحقي ، و أشراف أهل المدينة ، و أحدق الناس به ، فقالت امرأته : اخرج صل في مسجد الرسول ﷺ ، فخرج فصلى ، فنظر إلى حلقة وافرة ، فأتاه فوقف عليه ، ففرجوا له قليلا، و نكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره ، و عليه طويلة ، فشك فيه أبو عبد الرحمن ، فقال : من هذا الرجل؟

فقالوا له : هذا ربيعة بن أبي عبدالرحمن .

فقال أبوعبد الرحمن : لقد رفع الله ابني ، فرجع إلى منزله ، فقال لوالدته : لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحدا من أهل العلم و الفقه عليها .

فقالت أمه : أيما أحب إليك ، ثلاثون دينارا ، او هذا الذي هو فيه من الجاه ؟

قال : لا والله ، إلا هذا .

قالت : فإني أنفقت المال كله عليه ،

قال : فوالله ما ضيعته .

(تاريخ بغداد للخطيب : ج ٨، ص ٤٢١ ـ ٤٢٢)

❖ الأسئلة :

١ ـ إلى اين خرج فروخ ؟

٢ ـ كم ترك عند زوجته من المال ؟

٣ ـ كيف ربت زوجة فروخ ابنها ربيعة ؟

٤ ـ على اى شيء صرف المال كله ؟

٥ ـ ماذا قال فروخ عندما علم بأن المال قد أنفق بأجمعه على تربية ابنه ؟

خذ كلمة من السطر الأول مع ما يناسبها من السطر الثاني لتكون جملة مفيدة :

رمح تربيـــة كثر حلقـــــة

الضجيج وافرة صالحة طويل

(٨)

فاكهة الهند

إن كـنـت تبـغـي أطـيـب اللـذات

فعليك صاح بأنبه الثمـرات

في حسـن مرأى في نباهـة سيـرة

في لطف ذات في سمو صفات

يا حسـن حمـرتها وخضـرتهاوصفـر

تها على الأشجار في الروضات

و ترى ثمارا علقت في غصننها
مختوم راح في أكف سقاة
لم يختلف كمثالها الأثمار في
الألوان والأذواق والهيئات
هذا، ولا تحسبه صنفا واحدا
بل جملة الأصناف مختلفات
سبحان من بالفضل فضلها على
أشهى مذوقات ومشمومات
بالجامعية فاقت الأثمار كا
لإنسان فاق جميع حيوانات
جل القدير من في ثمرة
بالصنع يجمع سائر الثمرات
وإذا تجلى في الغصون رأيته
دانى الصفات بعيد موصوفات
لله در بهائها و وفائها
من غصنها تنفك بالعبرات
للمرء فيه منتهى حاجاته
تغنيه عن ماء وعن أقوات
وإذا دعاك الله صاح فواته
و تمتعن به قبيل فوات

فإذا انقضت أيامــه كالبــرق لا
يجديك حينئذ سوى الحسـرات
لا غرو إن قصـرت مـداهـا إن أيــام
السّـــرور تمـــر كالســاعات
ياصــاح ما هــذا الجمود فقم بنـا
نخــرج إلى الأنهــار والدوحــات
فالغيـم تبـكي مثـل صـب هـائـــم
والبرق يضحك نحو مبتسمات
والـورق يصفـق باتفـاق غصـونـهـا
والطير يسجع باختلاف لغات
أو مــا تــرى الـمـاء المبـارك كيـف
أنبت سـائـر الأزهـار والحبـات
فـدع التنسـك سـاعـة بخـلاعـة
نقضي فرائض هـذه الأوقـات
نلهـو و نترامـى الثمـار وجوهـهـا
وقشورهـا ببـدائع الحـــركات
نفــري شـــرور الــدهر عنــا يومنــا
بتـــرنم يحيـى العظـام رفـات
ولئن يلمـك اللائمون فقل لهــم
الاضطـــرار يبيـح محظـورات

(الشيخ ذوالفقار علي الديوبندي)

❖ الأسئلة :

١ـ أنشد الأبيات التي أعجبتك من هذه القصيدة .

٢ ـ اذكر محاسن الأنبج .

٣ـ ماهو الفصل الذي يوجد فيه الأنبج .

٤ ـ اذكر البيت الذي يشير إلى أن فصل الأنبج قصير .

٥ ـ اذكر خمسة تشبيهات وردت في القصيدة .

(٩)
حديث القمر

(١)

كانت السماء مصحية لا غيم فيها ، و الليلة مقمرة ، و كان هشام يطالع القمر كأنما يطالع فى كتاب .

و كان أبوه يرى ذلك فى الليالى المقمرة فأراد أن لا يضيع هذا النظر و لا يخلو من درس .

قال الوالد: يا هشام ! أراك تنظر إلى القمر طويلا كأنك تتمتع بمنظره .

هشام :- نعم يا أبى إن منظره جميل جدا لا أكاد أملأ عينى منه ، ولو قدرت لصعدت إليه بسلم .

الوالد: وكم تقدر بعده ياهشام و أى سلم أو منارة تراها تكفيك للصعود إلى القمر ؟

هشام :- إنى لم أر يا أبى سلما رفيعا جدا ، ولكنى أقدر إذا كانت هنالك منارة ارتفاعها ضعف منارة قطب الدين فى دهلى لأمكن الصعود إلى القمر .

الوالد:- وكم ارتفاع منارة قطب الدين يا هشام .

هشام :- سمعت أن ارتفاعها مائتان و اثنتان و أربعون قدما أو ثمانون ذراعا . و ذلك ارتفاع كبير .

الوالد:- سبحان الله إنك ولد بسيط ، إن القمر يا ولدى يبعد من الأرض مأتى ألف وخمسين ألف ميل وهو أقرب الكواكب إلى الأرض .

هشام :- ففى كم مدة يصل الإنسان إلى القمر إذا سافر إليه ؟

الوالد:- إذا سافر الإنسان إلى القمر فى قطار يسير خمسين ميلا فى ساعة فانه يصل إلى القمر فى نحو سبعة أشهر .

وإذا كانت الطائرة تطير خمس مأة ميل فى ساعة فالانسان يصل إلى القمر بالطائرة فى يومين و عشرين ساعة .

هشام:- يا سبحان الله ! أبى تقول إن القمر أقرب الكواكب إلى الأرض فهل القمر كوكب ؟

الوالد:- نعم يا ولدى القمر و الشمس و الأرض و النجوم كلها كواكب ، منها القريب ومنها البعيد ، ومنها الصغير و منها الكبير .

هشام :- شيئ غريب ، فهل الشمس أقرب الكواكب إلى الأرض و لذلك نورها ساطع و قوى جدا ؟

الوالد :- لا يا ولدى الشمس تبعد من الأرض مقدار ثلاثة وتسعين مليون ميل ، فالانسان يصل إلى الشمس فى ذلك القطار فى مأتى عام و عشرة أعوام .

هشام :- الله أكبر ، لأى شئ هى ساطعة واضحة جدا ؟

الوالد:- لأنها أكبر من الأرض بمليون و ثلاث مأة ألف مرة ، و لولا هذا البعد الشاسع لكانت

أسطع و أوضح .

هشام :- و هل هذه النجوم التى نراها كالنقط صغيرة جدا .

الوالد :- لا يا ولدى ! إن بعض النجوم أكبر من الشمس بكثير ، و لكنها أبعد عنها كذلك بكثير ، حتى إن بعضها لا يرى إلا بالمكبرة .

❖ الأسئلة :

١ ـ لماذا كان ينظر هشام إلى القمر؟

٢ ـ كم ارتفاع منارة قطب ؟

٣ ـ في كم مدة يصل الإنسان إلى القمر بالقطار الذى يسير خمسين ميلا في ساعة ؟

٤ ـ كم تكبر الشمس من الأرض ؟

٥ ـ استخرج الأسماء من الجملة الآتية :

هل هذه النجوم التى نراها كالنقط صغيرة جدا ٠

(١٠)

حديث القمر

(٢)

هشام :- و كيف الناس فى عالم القمر ، و كيف ديانتهم و أخلاقهم ، و كيف المساجد و المدارس ؟ و هل فى المدارس اختبار سنوى ، و كتب صعبة و معلمون غلاظ ؟

الوالد :- إنك لسئول و حديث ، و هل إذا خبرتك بأن عالم القمر ليس فيه مدارس أو هنالك مدارس و لكن ليس فيها اختبار و امتحان ، والمعلمون كلهم رحمة و شفقة لا يعاقبون ولا يغضبون فهل تهاجر من الأرض إلى القمر ؟

هشام :- نعم يا أبى إذا هاجرت معى و هاجرت معنا أمّنا و أسرتنا ، و لكنى أعدك بأنى أقرأ هنالك .

الوالد :- يؤسفك أن القمر ليس فيه عمران و لا

يوجد فيه السكان بل هو قاع صفصف ، لأن البرد هنالك شديد لا يطيقه الانسان .

هذا ما وصل إليه الانسان و انتهى إليه علمه إلى هذا الوقت ، و من يدرى؟ لعله يثبت خلاف ذلك غدا! فان علم الانسان ناقص ، و هو كالكوكب السيار يتحول ويتغير .

فقد نقض العلم الحديث العلم القديم و من يقدر أن يقول: إنه لا ينقض هذا الحديث أحدث منه و أحكم منه؟ فالآلات تتحسن وترتقى والانسان فى اكتشاف واختبار .

فالأمس كان الناس يعتقدون أن الشمس تدور حول الأرض و أن الأرض ساكنة مسطحة ، ويستدلون على ذلك بكل شيئ ، ثم أثبتوا بالدلائل والاختبار أن الأرض مستديره كروية الشكل تدور حول الشمس ، وإذا خالف ذلك إنسان رآى إليه الناس شزرا ، وظنوا أنه من رجال القرون الماضية .

❖ الأسئلة :

١- هل تدور الشمس حول الأرض ؟

٢- علم الإنسان ناقص ، بأي شيئ شبّهه المؤلف .

٣ - هل يوجد في القمر عمران ؟

٤ - لو هاجرت إلى القمر تذهب إلى المدرسة ؟

٥ - حدد الفاعل والمفعول و تابع كل منها في الجملة الآتية :

" فقد نقض العلم الحديث العلم القديمَ.

(١١)

حديث القمر

(٣)

هشام :- ومن أين هذا النور يا أبى و هل هنالك قمر آخر ؟

الوالد:- هذا النور عارية من الشمس ، فان نور الشمس ينعكس فى القمر فيستنير كما ينعكس نور المصباح فتستنير المرآة .

هشام:- و ما هو الخسوف يا أبى ؟ فقد رأيت القمر ليلة الجمعة مخسوفا ، و رأيت الناس يتصدقون ويصلون .

الوالد:- القمر يدور حول الأرض و ....

هشام :- و هل القمر أصغر من الأرض ؟

الوالد:- نعم ، الأرض أكبر من القمر خمسين مرة فالقمر يدور حول الأرض ، و الأرض كما علمت تدور مع القمر حول الشمس ، فاذا حالت الأرض بين القمر والشمس أصبحت حجابا للقمر وانقطع عنه نور الشمس وأظلم القمر ، فاذا حجبت الأرض جرم القمر كله احتجب القمر كله ، و إذا حجبت بعض جرمه احتجب و أظلم هذ الجزء فقط !

هشام :- لم أفهم ذلك جيدا يا أبى !

الوالد:- انظر ! هذا مصباح منير، وهذه مرآة مصقولة و قد أشرقت المرآة بنور المصباح أليس كذلك يا عزيزى ؟

هشام :- بلى يا سيدى !

الوالد:- و لماذا أظلمت هذه المرآة الآن و أين ذهب النور المنعكس فيها ؟

هشام:- لأنك وقفت بينهما فحجبت النور عن المرآة ،

والمرآة المسكينة ليس نورها فيها بل يأتيها من المصباح .

الوالد:- صدقت يا ولدى ، و كذلك القمر مع الشمس لا يزال مستنيرا بنورها حتى يحول بينهما حائل ، والحائل هو الأرض فقط .

هشام:- و لماذا لا تحول الأرض دائما بين الشمس و القمر و لماذا لا ينخسف القمر دائما ؟

الوالد:- أحسنت السؤال ، و ذلك لأن القمر يتزحزح قليلا عن مكانه فى الدوران ، فلا تجتمع الشمس و القمر و الأرض على خط واحد إلا فى النادر ، و إذن ينخسف القمر أو تنكسف الشمس .

هشام:- و لا بد أن الشمس تنكسف إذا حال القمر بين الشمس و الأرض فيحجب نور الشمس عن الأرض بطبيعة الحال .

الوالد:- إنك لولد فطن ، و قد أصبت فى القياس .

هشام:- و ماذا ينبغى لنا أن نعمل عند الكسوف والخسوف .

الوالد:- كان الناس في قديم الزمان يعتقدون أن الشمس و القمر إنما ينكسفان لحادثة مهمة في الأرض لموت رجل جليل مثلا ، ومات إبراهيم ابن محمد عليه السلام فانكسفت الشمس فقالوا : إنما انكسفت الشمس لموت ابن الرسول ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى دخل المسجد فدخل المسلمون فصلى بهم ركعتين حتى انجلت الشمس فقال : "إِنَّ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَّ لاَ لِحَيَاتِه فَإِذَا رَأَيْتُمُوْهَا فَصَلُّوْا وَادْعُوْا حَتَّى يُكْشَفُ مَا بِكُمْ " .

وقال: "إِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَ لاَ لِحَيَاتِه ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوْهَا فَافْزَعُوْا إِلَى الصَّلاَةِ " .

❖ الأسئلة :

١ - أنى للقمر نوره؟

٢ - الشمس والقمر أيهما أكبر ؟

٣ - لماذا تنكسف الشمس ؟

٤ - كم مرة يصغر القمر من الشمس ؟

٥ - صحح الأخطاء الواردة في الجمل التالية :

- القمر أكبر من الأرض
- الشمس أقرب إلى الأرض من القمر .
- الشمس تدور حول الأرض .
- إن في القمر أسواقا و مدارس و مدينة زاخرة .

(١٢)

السلطان مظفر حليم الكجراتي

(١)

السلطان الفاضل العادل السلطان مظفر المحدث الفقيه مظفر بن محمود بن محمد بن أحمد بن محمد بن مظفر الكجراتي، أبو النصر شمس الدين مظفر شاه الحليم صاحب الرياستين، ولد يوم الخميس لعشر بقين من شوال سنة خمس و سبعين و ثمان مأة بأرض كجرات ، ونشأ في عهد السلطة ورضع من لبان العلم وتنبل في أيام أبيه ، وقرأ على مجد الدين محمد بن محمد الأيجي العلامة وعلى غيره من العلماء، و أخذ الحديث عنه وعن الشيخ المحدث جمال الدين محمد بن عمر بن المبارك الحميري الحضرمي الشهير ببحرق ، وتدرب في الفنون الحربية حتى فاق أسلافه في العلم

والأدب وفي كثير من الفعال الحميدة، وقام بالملك بعد والده يوم الثلاثاء، ثالث شهر رمضان سنة ٩١٧ هـ من الهجرة ، وافتتح أمره بالعدل والسخا ، والنجدة والجهاد وسد الثغور وإكرام العلماء .

وكان غاية في التقوى والعزيمة والعفو والتسامح عن الناس ولذلك لقبوه بالسلطان الحليم ، وكان جيد القريحة سليم الطبع ، حسن المحاضرة عارفا بالموسيقى، مشاركا في أكثر العلوم والفنون ، ماهرا في الفنون الحربية ، من الرمى والضرب بالسيف والطعن بالرماح والفروسية والمصارعة ، خطاطا جيد الخط ، كان يكتب النسخ والثلث والرقاع بكمال الجودة ، وكان يكتب القرآن الحكيم بيده ثم يبعثه إلى الحرمين الشريفين ، و حفظ القرآن في حياة والده أيام الشباب .

و كان يقتفي آثار السنة السنية في كل قول و فعل ، و يعمل بنصوص الأحاديث النبوية ، و ربما يذكر الموت و يبكي ، و يكرم العلماء ويبالغ في تعظيمهم ، وكان لا يحسن الظن بمشايخ عصره في بداية حاله ثم مال إليهم .

ولم يزل يحافظ على الوضوء و يصلي بالجماعة ويصوم رمضان و لم يقرب الخمر قط ، و لم يقع في عرض أحد ، وكان يعفو ويسامح عن الخطائين ، ويجتنب الإسراف والتبذير وبذل الأموال الطائلة على غير أهلها.

وكان كثير التفحص عن أخبار الناس ، عظيم التجسس عن أخبار الممالك ، وربما يغير زيه ولباسه ويخرج من قصره آناء الليل والنهار و يطلع على الأخبار و يستكشف الأسرار.

قال الآصفي : إنه وصل إليه يوما من القاضي بجانبانير رسول الطلب وقد تظلم منه تاجر خيل ، فكما بلغه وعلى ما كان عليه في حال الخلق أجاب الرسول وخرج ماشيا إلى مجلس القاضي ، وجلس مع خصمه بين يديه ، وادعى التاجر عليه أنه لم يصله ثمن أفراسه و ثبت ذلك ، و أبى التاجر أن يقوم من مجلسه قبل أداء الثمن ، و حكم القاضي به ، فمكث السلطان مع خصمه إلى قبض التاجر الثمن ، و كان القاضي لما حضر السلطان في المحكمة وسلم عليه لم يتحرك من

مجلسه وما كفاه ذلك حتى إنه أمره أن لا يترفع على خصمه ويجلس معه ، والسلطان لا يخرج عن حكمه، ولما قبض التاجر الثمن وسأله القاضي هل بقيت لك دعوى عليه و قال لا، عند ذلك قام القاضي من مجلسه وسلم على عادته فيه و نكس رأسه في ما يعتذر به ، وأجلسه في مجلس حكمه كما كان ، و جلس إلى جنبه ، وشكره على عدم مداهنته في الحق حتى إنه قال : لو عدلت عن سيرتك هذه رعاية لي لانتصفت للعدالة منك و أنزلتك منزلة آحادالناس لئلا يأتي بعدك غيرك بما أتيت ، فجزاك الله عني خيرا بوقوفك مع الحق فمثلك يكون قاضيا، فأثنى عليه القاضي وقال : مثلك يكون سلطانا.

قال الآصفي : ومن بره المستفيض لأهل الحرمين الشريفين أنه نجر مركبا و شحنه بالقماش الثمين و أرسله إلى ميناء الحجازجدة وجعله وما فيه صلة لهم ، وله بمكة المشرفة رباط يشتمل على مدرسة و سبيل وعمارة غيرها ، و عين وقفا يتجهز محصوله إلى مكة في كل موسم للمدرسين بمدرسته و الطلبة و سكنة

الخلاوي والخدم وما في معناه ، و يتجهز سواه لأهل الحرمين و كان ذلك مستمرا في أيامه.

و من مآثره الحسنة بالحرمين مصحفان بخطه المنسوب ، كتبها بقلم الثلث المجرد بماء الذهب ، وإمام الحنفية مخصوص بالقراءة فيهما ، و ربعتان أيضا بخطه كذلك ، و للمصحفين والربعتين وقف مخصوص يتجهز كل عام إلى الحرمين الشريفين لقارىء المصحف وقراءة الأجزاء وشيخ الربعة ومفرقها والحافظ لها والداعي له عند الختم والسقاء في الوقت والنقيب والفراش ، وقد رأيت ذلك وكان مستمرا إلى شهادة السلطان محمود .

❖الأسئلة :

(١) متى ولد السلطان مظفر حليم و كيف كانت أسرته ؟

(٢) كيف كان يتفحص عن أخبار الناس ؟

(٣) اذكر قصته مع القاضي بجانبانير ؟

(٤) اذكر بعض أعمال برّه لأهل الحرمين الشريفين ؟

(٥) بين معاني الكلمات التالية بذكر أبواب الأفعال و جمع الأسماء ؟

رضع - يقتفي - تنبل - النجدة - القريحة - قماش - شحن - يتجهز -

(١٣)

السلطان مظفر حليم الكجراتي

(٢)

ومن نوادر فعاله أنه لما تغلب مدني رائ على بلاد مالوه وضيق على المسلمين وخرج محمود شاه الخلجي صاحب مالوه من بلاده هاربا عنه إلى كجرات ؛ نهض السلطان مظفر الحليم من بلاده إلى مالوه سنة ثلاث و عشرين وتسع مائة بعساكره، فوصل إلى " دهار" ثم إلى " مندو" و نزل على القلعة وشرع في المحاصرة ، و أما مدني رائ فإنه لما بلغه نزول السلطان " بديوله" قال لأصحابه: قرب منا المظفر ولا سبيل إلى الحرب إلا إذا حضر " رانا سانجا " صاحب جتور فاكفوني أنتم القلعة و أنا أسير إليه و أصل به ، وعلى هذا ودعهم وعزم لطلبه، فلما نزل السلطان على القلعة خرج يوما نخبة من رجال القلعة على أن يشتبكوا بالمسلمين ، وكانوا حذرين فشدوا عليهم و قتلوا منهم كثيرا وهرب الباقون و تركوا السيف و اعتمدوا الخديعة فطلبوا الأمان لتسليم القلعة وترددوا فيه أياما ، ثم سألوا

الأمان لأموالهم ، فلما أجيبوا طلبوا المهلة للجمعة ثم سألوا التباعد عن القلعة ليأمنوا في الخروج ، فلما فعل ذلك بلغه وصول " رانا سانجا " إلى "أجين" فغضب السلطان و ركب على ربوة مرتفعة هناك وجلس عليها ، و أما الأمراء فكل منهم في سلاحه الكامل في ظل علمه واقف تحت الربوة ، فطلب من بينهم عادل خان الفاروقي صاحب برهان فور وقلده إمارة العسكر المجهز لحرب صاحب جتور و خلع عليه و قلده سيفا وحياصة و مجنا وتسعة من الخيل وحلقة من الأفيال ، وأوصاه وودعه ، و كذلك طلب فتح خان صاحب راذهن فور و أعطاه مثله ، و كذلك طلب قوام خان ثم أوصاهما بعادل خان وودعهما، ثم استدعى عسكر هؤلاء ووعدهم جميلا وخص وجوه العسكر بالأقبية و أمر بسائرهم بالتنبل على عادة الهند في الرخصة لهم ، و نهض إلى منزله الأول و جد في أسباب الفتح و دخل القلعة عنوة في ثاني يوم نزوله ، وعمل السيف فيهم ، وكان آخر أمرهم أنهم دخلوا مساكنهم وغلقوا الأبواب واشعلوها نارا فاحترقوا و أهليهم ، و السلطان تحت المظلة ،

وهكذا محمود و هما يسيران رويدا رويدا و الدماء تسيل كالعين الجارية في سكك القلعة من كل جانب إلى مخارج الماء منها ، و بلغ عدد القتلى من الكفرة تسعة عشر ألفا سوى من غلق بابه و احترق و سوى أتباعهم ، فلما وصل السلطان إلى دار سلطنة الخلجي التفت إليه وهنأه بالفتح وبارك له في الملك و أشار بيده المباركة إلى الباب ، وقال له ! بسم الله ادخلوها بسلام آمنين ، وعطف عنانه خارجا من القلعة إلى القباب ودخل الخلجي منزله واجتمع بأولاده وأهله ، وسجد شكرا لله سبحانه ، فلما بلغ مدني رائ شهق شهقة وغشى عليه ، وسمع رانا سانجا بعادل خان وقرب من أجين فاضطرب وقال لمدنى رائ : ما هذه الشهقة قد قضى الأمر ! فان عزمت على أن تلحق بأصحابك فها عادل خان يسمع نفيره ، وإلا فادرك نفسك ، ثم أمر به فحمل على فيل وخرج من أجين إلى جهاته خائبا، وتبعه عادل خان إلى ديبال فور وتوقف بها حتى جاءه الطلب .

ثم إن الخلجي تفقد ذخائره وهيأ الضيافة ونزل إلى مظفر شاه السلطان و سأله التشريف بالطلوع

فأجابه ، فلما فرغ من الضيافة دخل به في العمارات التي كانت من آثار أبيه وجده فأعجب بها و ترحم عليهم ، ثم جلسا في جانب منه وشكره الخلجي وقال : الحمد لله الذي أراني بهمتك ما كنت أتمناه بأعدائي ولم يبق لي الآن إرب في شيء من الدنيا ، و السلطان أولى بالملك مني وما كان له فهو لي ، فأسألك قبول ذلك وللسلطان أن يقيم به من شاء ، فالتفت السلطان إليه وقال له: إن أول خطوة خطوتها إلى هذه الجهة كانت لله تعالى ، والثانية كانت لنصرتك وقد نلتها فالله يبارك لك فيها و يعينك عليه ، فقال الخلجي : خلا الملك من الرجال فأخشى ضياعه ، فأجابه مظفر شاه الحليم وقال له : أما هذا فمقبول ، سيكون آصف خان معك باثني عشر ألف فارس إلى أن يجتمع رجالك ، فطلب الخلجي أن يكون عنده ولده تاج خان وألح عليه ، فأجابه إلى ذلك ، ووعده بالنصر في جميع الأوقات ، وقال لآصف خان : مالك ولأصحابك كافة من الجراية والولاية عندي فهي على حالها إلى أن ترجعوا إلى منازلكم ، وما يعطيكم الخلجي فهو مضاف إليه

للتوسع في الوقت ، و أمر للخلجي بخزانة ثم ودعه ونزل .

وقيل : إن مظفر شاه لما فتح القلعة و دخلها سأله أركان دولته أن يستأثر بها فالتفت إلى الخلجى وقال له: احفظ باب القلعة برجال لا يدعوا أحدا يدخلها بعد حتى من ينتسب إلى ، فطلب الخلجي أن يمكث أياما فأبى ونزل ، ثم بعد ثلاث أضافه الخلجي ودار به في المباني التي لا يعرف لها نظير في الهند ، و انتهى إلى بناء بابه مغلق فاستفتحه و دخل إلى حجر هنالك ، فأمر الطواشية بفتحها واستدعاء من فيها ، فإذا بنساء برزن في حلى وحلل قل أن رأت العين مثلهن ، و بأيديهن أصناف الجواهر، وما منهن إلا من سلمت ونثرت ما بأيديها على قدم السلطان ، فأشار بأن يحتجبن ، لأن النظر إلى الأجنبية لا يحل ، فقال الخلجي : كلهن ملكي وأنا مالك والعبد وما ملك لمولاه ، فدعا له وعاد إلى قبابه .

فلما نهض للمسير راجعا نزل الخلجي ومعه تاج خان و اصف خان وشيعه إلى حده وسأله الدعاء ورجع ،

ورخص السلطان لعادل خان فرجع إلى برهان فور ووصل السلطان بالفتح والدعاء إلى جانبانير ؛ وكان يوم دخوله مشهودا كثر فيه الدعاء له من سائر عباد الله تعالى .

وكان فتح مندو في ثاني عشر من صفر سنة أربع وعشرين وتسع مائة ، وهو من نوادر الوقائع لا يذكر مثله لأحد من ملوك الهند وسلاطينها بل سلاطين غيرها من البلاد .

و أعجب من ذلك أن هذا الخلجي و أسلافه كانوا من أعداء دولتهم ، فإن جده محمود شاه الخلجي الكبير سامحه الله يصول عليهم مرة بعد مرة أخرى و في كل مرة يخسر ويخيب في أمله، و أبوه غياث الدين الخلجي خرج إلى كجرات لنصرة كفار الهند على محمود شاه الكجراتي الكبير، وكذلك جده في أيام محمد شاه الكجراتي-سامحهما الله تعالى. ولله در من قال :

هيهات لا يأتي الزمان بمثله
إن الزمان بمثله لبخيل

❖الأسئلة :

١ ـ من تغلب على بلاد"مالوه "وضيق على المسلمين هناك ؟

٢ ـ ماذا قال السلطان مظفر حليم لما عرض عليه الخلجى ملكه ؟

٣ ـ متى تم فتح "مندو"؟

٤ ـ كيف كان تعامل الخلجى و أسلافه مع السلطان قبل الغزو و نصرته له ؟

٥ ـ حدد الحال و ذاالحال والمفعول المطلق فى الجمل الآ تية .

أ ـ ادخلوها بسلام آمنين .

ب ـ عطف عنانه خارجا من القلعة .

ج ـ هما يسيران رويدا رويدا .

(١٤)

السلطان مظفر حليم الكجراتي

(٣)

قال الآصفي وفي سنة إحدى و ثلاثين وتسع مأة خرج السلطان إلى مصلى العيد للاستسقاء و تصدق و تفقد ذوي الحاجة على طبقاتهم وسألهم الدعاء ، ثم تقدم للصلاة وكان آخر ما دعا به كما يقال : اللهم إني عبدك ولا أملك لنفسي شيئاً فان تك ذنوبى حبست القطر فها ناصيتي بيدك فأغثنا يا أرحم

الراحمين ، قال هذا و وضع جبته على الأرض واستمر ساجدا يكرر قوله يا أرحم الراحمين ، فما رفع رأسه إلا و هاجت ريح و نشأت سحابة ببرق و رعد ومطر ، ثم سجد لله شكرا و رجع من صلاته بدعاء الخلق له وهو يتصدق وينفح بيده بالمال يمينا وشمالا .

وبعد الاستسقاء بقليل اعتراه الكسل ثم ضعف المعدة .... وفي خلال ذلك عقد مجلسا حفلا بسادة الأمة ومشايخ الدين و صوفية اليقين ، واجتمع بهم وتذاكروا في ما يصلح بلاغا للآخرة ، إلى أن تسلسل الحديث في رحمة الله سبحانه و ما اقتضاه منه واحسانه ، فأخذ يشرح ما من الله عليه من حسنة ونعمة و يعترف بعجز شكرها إلى أن قال : وما من حديث رويته عن أستاذى المسند العالى مجد الدين بروايته له عن مشايخه إلا و أحفظه و أسنده و أعرف لراويه نسبته و ثقته وأوائل حاله إلى وفاته ، وما من آية إلا و من الله على بحفظها و فهم تأويلها و أسباب نزولها و علم قراءتها ، و أما الفقه فاستحضر منه ما أرجو به مفهوم " مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ " ولى مدة أشهر

أصرف وقتى باستعمال ما عليه الصوفية وأشتغل بما سنه المشايخ لتزكية الأنفاس عملا بما قيل : " مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ " وها أنا أطمع في شمول بركاتهم متعللا بعسى و لعل ، وكنت شرعت بقراءة معالم التنزيل وقد قاربت إتمامه إلا أني أرجو أن أختمه فى الجنـــة إن شاء الله تعالى ، فلا تنسوني من صالح دعائكم ، فإني أجد أعضائي فقدت قواها ، فدعا له الحاضرون بالبركة فى العمر.

قال : و في سنة ٩٣٢هـ على خروجه من جانفانير ظهرت منه مخائل المستودع بفراق الأبد لها ولأهلها وأكثر من أعمال البر فيها وفى طريقه إلى أحمد آباد ، و لما نزل بها كان يكثر من التردد ، إلى قبور الصالحين ويكثر من الخير بها ، وكان له حسن ظن بالعلامة خرم خان فقال له يوما : نظرت فى ما أوثر به أولى الاستحقاق من الانفاق ، فاذا أنا بين إفراط في صرف بيت المال وتفريط فى منع أهله ، فلم أدر إذا سئلت عن ذلك بماذا أجيب ؟

وفي آخر أيامه وكان يوم الجمعة قام إلى القصر واضطجع إلى أن زالت الشمس فاستدعى بالماء وتوضأ وصلى ركعتى الوضوء ، وقام من مصلاه إلى بيت الحرم واجتمعت النسوة عليه آئسات باكيات يندبن أنفسهن حزنا على فراق لا اجتماع بعده ، فأمرهن بالصبر المؤذن بالأجر ، وفرق عليهن مالا ثم ودعهن واستودعهن الله سبحانه وخرج وجلس ساعة ثم استدنى منه راجه محمد حسين المخاطب بأشجع المللك ، وقال له : قد رفع الله قدرك بالعلم ، أريد أن تحضر وفاتى تقرأ على سورة يسين وتغسلني بيدك وتسامحنى فيه ، فامتن بما هو أهله وفداه ودعا له ، وسمع أذانا فقال أهو فى الوقت فأجاب أسد الملك هذا أذان الاستدعاء لاستعداد صلاة الجمعة ويكون فى العادة قبل الوقت ، فقال أما صلاة الظهر فأصليها عندكم وأما صلاة العصر فعند ربى فى الجنة إن شاء الله تعالى ، ثم أذن للحاضرين فى صلاة الجمعة وطلب مصلاه ، وصلى ودعا الله سبحانه بوجه مقبل عليه وقلب منيب إليه ، دعاء من هو مفارق للقصر مشرف على القبر ، ثم كان آخر دعائه " رَبِّ قَدْ

آتَيْتَنِيْ مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِيْ مِنْ تَأْوِيْلِ الْأَحَادِيْثِ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيٌّ فِيْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِيْ مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِيْ بِالصَّالِحِيْنَ " وقام من مصلاه و يقول : استودعك الله واضطجع على سريره وهو مجتمع الحــواس و وجهه إلى القبلــة ، و قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، و فاضت نفسه و الخطيب على المنبـر يدعو له .

و كان ذلك في ثاني جمادى الأولى سنة ٩٣٢هـ وكان حمل تابوته إلى " سركهيج " ودفن عند والده طيب الله ثراه ، ويحسن الاستشهاد هنا بما رثى به العماد الكاتب سلطانه المللك العادل نور الدين الشهيد رحمه الله .

ياملكا أيامه لم تـزل | بفضله فاضلة فاخرة
ملكت دنياك وخلفتها | وسرت حتى تملك الآخرة

(نزهة الخوطر للسيد عبد الحى الحسنى)

❖ الأسئلة :

١- اذكر ما دعا به السلطان في صلاة الاستسقاء؟
٢ - ما فعل السلطان في آخر أيامه ؟
٣ - ما هو آخر دعائه قبل الوفاة ؟

٤ - في أي يوم توفي السلطان وأين دفن ؟

٥ - ميِّز المنصوبات في البيتين الآتيين واذكر عواملها :

يا ملكا أيامه لم تزل بفضله قاضلة فاخرة
ملكت دنياك وخلفتها وسرت حتى تملك الآخرة

(١٥)

رسول المسلمين عند قائد قواد الفرس

أرسل سعد قبل القادسية ربعي بن عامر رسولا إلى رستم قائد الجيوش الفارسية و أميرهم ، فدخل عليه ، وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة ، و زرابي الحرير ، و أظهر اليواقيت و اللآلىء الثمينة ، و الزينة العظيمة ، و عليه تاجه و غير ذلك من الأمتعة ، و قد جلس على سرير من ذهب .

و دخل ربعي بثياب صفيقة ، و سيف ، و ترس ، وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل ، وربطها ببعض تلك الوسائد، و أقبل و عليه سلاحه و درعه ، و بيضته على رأسه ، فقالوا له : ضع سلاحك .

فقال : إني لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتموني ، فإن تركتموني هكذا و إلا رجعت .

فقال رستم : ائذنوا له .

فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق ، فخرق عامتها.

فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه ، لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه و رجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضى إلى موعود الله .

قالوا : و ما موعودُ الله ؟

قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، و الظفر لمن بقي .

فقال رستم : قد سمعت مقالتكم ، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه و تنظروا ؟

قال : نعم ! كم أحب إليكم؟ يوما أو يومين ؟

قال: لا ، بل حتى نكاتب أهل رأينا و رؤساء قومنا !

فقال : ما سن لنا رسول الله ﷺ أن نؤخر الأعداء عند اللقاء من ثلاث ، فانظر في أمرك وأمرهم ، و اختر واحدة من ثلاث بعد الأجل .

فقال : أسيدهم أنت ؟

قال : لا ، ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم.

فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قط أعز و أرجح من كلام هذا الرجل ؟

فقالوا : معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا و تدع دينك إلى هذا الكلب ، أما ترى إلى ثيابه ؟

فقال : ويلكم لا تنظروا إلى الثياب ، وانظروا إلى الرأى ، والكلام، والسيرة ، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل ، و يصونون الأحساب .

(البداية والنهاية ـ ج ٧ ص ٤٠)

✥ الأسئلة :

١ ـ ما اسم المسلم الذي أرسله سعد رسولا إلى رستم ؟

٢ ـ ماذا فعل ربعي بن عامر عندما دخل على رستم ؟

٣ ـ قال رستم : ما جاء بكم ؟ اذكر إجابة ربعي له .

٤ ـ ما موعود الله لمن قتل في سبيل الله ؟

٥ ـ المسلمون كالجسد الواحد. اذكر حديثا نبويا يوضح ذلك .

أكمل الجمل التالية بكلمات مناسبة من النص :

ـ زين مجلس رستم بالنمارق ..... وزرابي ....

ـ الله ... لنخرج من نشاء من عبادة ... إلى عبادة ....

ـ إن ... يستخفون بالثياب .... و يصونون .....

(١٦)

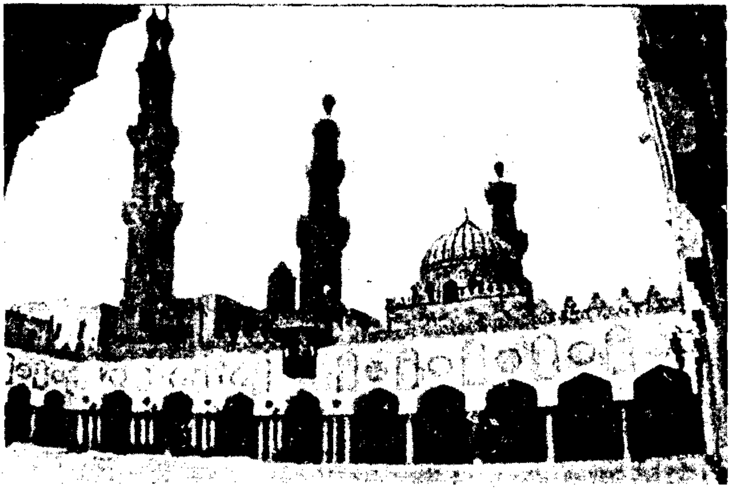
الجامع الازهر

الجامع الأزهر هو ذلك المسجد الكبير القائم فى مدينة "القاهرة" لأكثر من تسعة قرون ونصف ، وفيه تلك الجامعة الدينية الكبرى ، وهو أول مسجد أسس بالقاهرة أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلى مولى المعز لدين الله الفاطمى لما اختط القاهرة ، إذ شرع فى بنائه لست بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هجرية ، وتم بناؤه لتسع من رمضان سنة ٣٦١ هجرية .

وكان حال هذه المدرسة كأمثالها من المعاهد العلمية ودور التعليم ، بدأت صغيرة لكنها ما لبثت أن اتسع نطاقها و عظم شأنها بما أفاض عليها الملوك

والأمراء حتى أصبحت منبعا للتعليم الدينى ، وطبق صيتها الخافقين فانحدر إليها الطلبة من أقصى المسكونة ، وتخرج منها العلماء والأئمة فى كل فرع من فروع العلم الدينى وغيره .

وقد زاد الملوك والأمراء فى بنائه ووسعوا فى نواحيه وشادوا مساكن للطلاب "أروقة" وأسكنوا فيها من لم يكن له مسكن يأوى إليه ، ولا سيما الغرباء وأودعوا فيها كتب التدريس والمراجعة .



جامعة الأزهر

كان الأزهر يسير على نظام سهل يكاد يكون فطريا أساسه التقوى وقوامه احترام الدين وأهله ، فلم يكن به

من مظاهر نظامات هذه الأيام وتدبيراتها شيئ .

كان الطالب يدخله مختارا بلا قيد ولا شرط و يختلف إلى من أراد من العلماء لتلقى العلم عنه ، ويبقى فيه ماشاء أن يبقى ، فاذا آنس من نفسه علما كافيا وملكة يتمكن بها من إفادة غيره جلس للتدريس حيث يجد مكانا خاليا ، وعرض نفسه على الطلبة فكانوا إذا وجدوه على علم التفوا حوله وقبلوا يده ، وإذا رأوا غير ذلك انصرفوا عنه ، وتلك هى شهادة العالمية التى كان يعطاها العلماء .

وفى سنة ١٢٨٨ هجرية وضع أول قانون للأزهر وصدرت بعد ذلك عدة قوانين .

وفى ٣ محرم سنة ١٣٥٥هـ صدر مرسوم باعادة تنظيم الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية ونفذ كقانون من قوانين الدولة .

وقد أنشئ قسم عام بالقاهرة ألحق بالجامع الأزهر من سنة ١٣٥٢هـ لسد حاجة من يريد التوسع فى أحكام الدين و اللغة العربية ، و قد خص الأزهر دون سائر المعاهد بالتعليم العالى والتخصص.

وأنشئ قسم من الأزهر للتخصص فى علوم الدين واللغه العربية و التاريخ الاسلامى و التربية و الوعظ والارشاد .

وكليات الجامع الأزهر هى : (١) كلية الشريعة (٢) كلية اللغة العربية (٣) كلية أصول الدين .

وشيخ الجامع الأزهر هو الامام الأكبر لجميع رجال الدين والمشرف الأعلى على السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم والدين فى القطر المصرى كله .

وللجامع الأزهر مجلس يسمى المجلس الأعلى للأزهر يشرف على شئونه وإدارته ، ويرأس هذا المجلس شيخ الجامع الأزهر .

بلغت ميزانية الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية لسنة ١٩٣٦-١٩٣٧م المالية ٣٢٣٩٧٦ جنيها مصريا .

ويبلغ عدد الوظائف الدائمة الخاصة للمدرسين والموظفين ٧٧٦، وعدد الوظائف المؤقتة ١٠٢

ويلغ عدد طلبة الأزهر سنة ١٩٣٦-١٩٣٧م الدراسية ١١١٣٠ طالب .

ومعظم طلبة الأزهر من المصريين والسوريين والأتراك و المغاربة وبعضهم يأتى من الأفغانستان والصين وبغداد وبورنيو والهند وجاوه والعجم وسنار والصومال وجنوب إفريقيا وغيرها .

وكان فى الأزهر مجموعة كبيرة من الكتب متفرقة فى أروقته وفى جهات متعددة منه ، فلما توجهت العناية إلى إصلاح الأزهر وتحسين حاله أنشئت فى سنة ١٨٩٧م دار كتب عامة تسمى " دار الكتب الأزهرية الكبرى" تجمع ما تفرق فى أروقة الأزهر من الكتب ، ورتب لها ما يلزم من المال والعمال ، وما زالت هذه الدار تتدرج فى الرقى حتى أصبحت تحتوى على ٧٢٦٢٧ مجلدا بين مخطوط ، ومطبوع ، وفيها من أمهات الكتب ونادرها مالا يوجد فى دار كتب أخرى .

(تقويم مصر بتلخيص)

❖ الأسئلة :

(١) أين الجامع الأزهر ؟ ومن أسسه ؟

(٢) كيف كان نظام التعليم فى الأزهر قديما ؟

(٣) متى وضع أول قانون للأزهر ؟

(٤) عدد البلدان التى يتوافد منها الطلاب الى الأزهر ؟

(٥) اكتب الأعداد التالية بالألفاظ العربية .

سنة ١٩٣٦ م ـ عام ١٣٢٢هـ - ١١١٣٠ طالب، ٢٣١ وظيفة ـ ٧٧٢ موظف – ٧٢٦٢٧ مجلداً .

(١٧)

أدب القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لاَتُقَدِّمُوْا بَيْنَ يَدَىِ اللهِ وَرَسُوْلِهِ وَاتَّقُوا اللهَ ، إِنَّ اللهَ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ، يَاآَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لاَتَرْفَعُوْا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىِّ وَلاَ تَجْهَرُوْا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُوْنَ ، إِن الَّذِيْنَ يَغُضُّوْنَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُوْلِ اللهِ أُولٰئِكَ الَّذِيْنَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوْبَهُمْ لِلتَّقْوٰى ، لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّأَجْرٌ عَظِيْمٌ ، إِنَّ الَّذِيْنَ يُنَادُوْنَكَ مِنْ وَّرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُوْنَ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوْا حَتّٰى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ ، وَاللهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ، يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنْ جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوْا أَنْ تُصِيْبُوْا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ

فَتُصْبِحُوْا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِيْنَ ، وَاعْلَمُوْا أَنَّ فِيْكُمْ رَسُوْلَ اللهِ ، لَوْ يُطِيْعُكُمْ فِىْ كَثِيْرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيْمَانَ وَزَيَّنَهُ فِىْ قُلُوْبِكُمْ ، وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوْقَ وَالْعِصْيَانَ ، أُولٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُوْنَ ، فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَنِعْمَةً ، وَاللهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ ، وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ اقْتَتَلُوْا فَأَصْلِحُوْا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِىْ تَبْغِىْ حَتَّىٰ تَفِيْءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ ، فَإِنْ فَآءَتْ فَأَصْلِحُوْا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوْا ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِيْنَ ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوْا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ ؛ يَآأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَنْ يَّكُوْنُوْا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰٓ أَنْ يَّكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ، وَلاَ تَلْمِزُوْا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوْا بِالْأَلْقَابِ ، بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوْقُ بَعْدَ الْإِيْمَانِ ، وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُوْنَ ، يَآأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اجْتَنِبُوْا كَثِيْرًا مِّنَ الظَّنِّ ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَّلاَ تَجَسَّسُوْا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَّأْكُلَ لَحْمَ أَخِيْهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوْهُ ، وَاتَّقُوْا اللهَ ، إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيْمٌ ، يَآأَيُّهَا

النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَّأُنْثَى وَ جَعَلْنكُمْ شُعُوْبًا وَّقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوْا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ خَبِيْرٌ ، قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوْا وَ لكِنْ قُوْلُوْا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيْمَانُ فِىْ قُلُوْبِكُمْ ، وَإِنْ تُطِيْعُوْا اللهَ وَرَسُوْلَهُ لاَ يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً ، إِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوْا وَ جَاهَدُوْا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِىْ سَبِيْلِ اللهِ ، أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُوْنَ ، قُلْ أَتُعَلِّمُوْنَ اللهَ بِدِيْنِكُمْ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِىْ السَّمٰوَاتِ وَمَا فِىْ الأَرْضِ ، وَاللهُ بِكُلِّ شَيْئٍ عَلِيْمٌ ، يَمُنُّوْنَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوْا ، قُلْ لاَ تَمُنُّوْا عَلَىَّ إِسْلاَمَكُمْ ، بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيْمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ ، إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاللهُ بَصِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ .

(سورة الحجرات)

❖ الأسئلة :

(١) كيف يتأدب المؤمن مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته وبعد وفاته ؟

(٢) ما واجب المؤمن إذا جاءه فاسق بنبأ ؟

(٣) إذا وجد المؤمنون فئتين مقتتلين فما دورهم إزاءهما ؟

(٤) بم شبه الله الاغتياب ؟ اذكر بعض أضرار الاغتياب .

(٥) أعرب هذه القطع القرانية .

- واعلموا أن فيكم رسول الله .
- إن بعض الظن إثم .
- ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم .

(١٨)

شيخ الاسلام الحافظ ابن تيمية

ولد أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية بحران ، يوم الإثنين فى ١٠وقيل ١١ ربيع الأول سنة ٦٦١هـ ، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير ، كانوا قد خرجوا من بلاد حران مهاجرين بسبب جور التتر ، فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة لعدم الدواب ، وكاد العدو يلحقهم ، ووقعت العجلة فابتهلوا إلى الله تعالى واستعانوا به فنجوا ، وقدموا دمشق فى أثناء سنة ٦٦٧هـ وسمع هناك من أكثر من مائتى شيخ ، و لازم السماع مدة سنين واشتغل بالعلوم وحفظ القرآن ، وأقبل على الفقه ، وبرع فى النجوم ، وأقبل على التفسير إقبالا كليا حتى حاز فيه قصب السبق ، كل ذلك وهو ابن

بضع عشرة سنة ، ولم يزل على ذلك خلفا صالحا برا بوالديه تقيا ورعا ناسكا صواما قواما ذاكرا لله فى كل أمر ، وعلى كل حال ، رجاعا إلى الله تعالى فى سائر الأحوال والقضايا ، وقافا عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، لا تكاد نفسه تشبع من العلم ولا تروى من المطالعة ، ولا تمل من الاشتغال ولاتكل من البحث ، وكان يحضر المجالس والمحافل فى صغره يتكلم ويناظر ويفحم الكبار ، ويأتى بما يتحير منه أعيان البلد فى العلم ، وأفتى وله نحو ١٧ سنة ، وشرع فى الجمع والتأليف من ذلك الوقت ، ومات والده فكان من كبار الحنابلة وأئمتهم ، درس بعده بوظائف و له ٢١ سنة فاشتهر أمره ، و بعد صيته فى العالم ، وأخذ فى تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسى من حفظه،فكان يورد ما يقوله من دون توقف ولا تلعثم ، وحج سنة ٦٩١هـ ورجع وقد انتهت إليه الامامة فى العلم والعمل ، ولم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة ، ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة، حبس مرارا فى مسائل فقهية وكلامية وحبس

مرة ببرج ، وكان موضعه فسيحا فصار الناس يدخلون إليه ويقرأون عليه ويبحثون معه ، ونقل إلى الجب ، ونفى من بلاد ونقل من بلاد إلى بلاد .

وقاموا عليه فى شهر رمضان سنة ٧١٩هـ ، وأكد عليه المنع من الفتيا ثم عقدله مجلس آخر فى رجب سنة ٧٢٠هـ ثم حبس بالقلعة ، ثم أخرج فى عاشوراء سنة ٧٢١هـ ثم قاموا عليه مرة أخرى فى شعبان ٧٢٦هـ بسبب مسألة الزيارة ، واعتقل بالقلعة ، فلم يزل بها إلى أن مـــات فى ليلة الإثنين و العشرين من ذى القعدة سنة ٧٢٨هـ ، وصلى عليه بجامع دمشق ، وصار يضرب بكثرة من حضر جنازته المثل ، وأقل ما قيل فى عددهم إنهم خمسون ألفا .

قال الذهبى : كان يقضى منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجح ، وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه ، وما رأيت أسرع انتزاعا للآيات الدالة على المسألة التى يوردها منه ، ولا أشد استحضارا للمتون وعزوها منه ، كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة ،

وكان آية من آيات الله فى التفسير والتوسع فيه ، وأما أصول الديانة ومعرفة أقوال المخالفين فكان لا يشق غباره فيه ، هذا مع ما كان عليه من الكرم و الشجاعة والفراغ عن ملاذ النفس ، ولعل فتاواه فى الفنون تبلغ ثلث مأة مجلد بل أكثر ، وكان قوالا بالحق لا تأخذه فى الله لومة لائم .

كان أبيض أسود الرأس واللحية قليل الشيب ، شعره إلى شحمة أذنيه ، وكأن عينيه لسانان ناطقان ، ربعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين ، جهورى الصوت فصيحا ، سريع القراءة ، تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم ، لم أر مثله فى ابتهاله واستغاثته وكثرة توجهه ، وأنا لا أعتقد فيه عصمة وكان بشرا من البشر تعتريه حدة فى البحث وغضب ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك .

وكان محافظا على الصلاة والصوم معظما للشرائع ظاهرا وباطنا لايؤتى من سوء فهم ، فان له الذكاء المفرط ، ولا من قلة علم،فإنه بحر زخار،ولا كان متلاعبا بالدين ولا ينفرد بمسائله بالتشهى ، ولا

يطلق لسانه بما اتفق بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس و يبرهن ويناظر .

قال الأقشهرى فى رحلتـــــه : ابن تيمية بارع فى الفقه والأصلين والفرائض والحساب وفنون أخر ، وما من فن إلا له فيه يد طولى وقلمه ولسانه متقاربان .

وقال شمس الدين ابن الحريرى قاضى الحنفية بدمشق : إنه منذ ثلاث مأة سنة مارأى الناس مثله .

وكان ابن تيمية يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث ، فيورد فى ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر ما لا يقدر أحد على أن يورده فى عدة مجالس ، كأن هذه العلوم بين عينيه فيأخذ منها ما يشاء ويذر .

وكان يمر بالكتاب مطالعة مرة فينتقش فى ذهنه وينقله فى مصنفاته بلفظه ومعناه ، وكان من أذكياء العالم ، وله فى ذلك أمور عظيمة ، منها أن محمد بن أبى بكر السكاكينى عمل أبياتا على لسان ذمى فى إنكار القدر ، فوقف عليها ابن تيمية فثنى إحدى رجليه على الأخرى ، وأجاب فى مجلسه قبل أن يقوم بمأة و تسعة عشر بيتا .

وكان دائم الابتهال ، كثير الاستغاثة ، قوى التوكل ، رابط الجأش ، له أوراد وأذكار يدمنها قلبية وجمعية .

❖ **الأسئلة :**

(١) اين و متى ولد شيخ الاسلام ابن تيمية ؟

(٢) مذ متى بدأ ابن تيمية يفتى و متى أكد عليه المنع من الفتيا ؟

(٣) صف هندام ابن تيمية .

(٤) ما هى العلوم التى برع فيها شيخ الاسلام ؟

(٥) أذكر وجه الاعراب فى الكلمات التى عليها الخط .

- وما رايت أسرع انتزاعاً للآيات منه .
- ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة
- حبس مراراً فى مسائل فقهية .

(١٩)

كيف تعملت الاسلام فى الأندلس النصرانية

أطلعنى الله على دين الاسلام بواسطة والدى رحمة الله عليه وأنا ابن ستة أعوام أو أقل . مع أنى كنت إذ ذاك أروح إلى مكتب النصارى لأقرأ دينهم ثم أرجع إلى

بيتى فيعلمنى والدى دين الاسلام ، فكنت أتعلم فيهما معا ، وسنى حين حملت إلى مكتبهم أربعة أعوام،فأخذ والدى لوحا من عود الجوز كأنى أنظر الآن إليه مملسا من غير طفل ولا غيره ، فكتب لى فيه حروف الهجاء وهو يسألنى حرفا حرفا عن حروف النصارى تدريبا وتقريبا ، فاذا سميت له حرفا أعجميا كتب لى حرفا عربيا فيقول لى هكذا حروفنا ، حتى استوفى لى جميع حروف الهجاء فى كرتين ، فلما فرغ عن الكرة الأولى أوصانى أن أكتم ذلك حتى عن والدتى وعمى وأخى وجميع قرابتنا ، وأمرنى أن لا أخبر أحداً من الخلق ثم شدد على الوصية ، وصار يرسل والدتى فتسئلنى ما الذى يعلمك فأقول لها : لاشيئ ، فتقول : اخبرنى بذلك ولا تخف لأنى عندى الخبر بما يعلمك : فأقول لها : أبدا ما هو يعلمنى شيئا ، وكذلك كان يفعل عمى و أنا أنكر أشد الانكار ، ثم أروح إلى مكتب النصارى و إلى الدار فيعلمنى والدى إلى أن مضت مدة ، فأرسل إلى من إخوانه فى الله الأصدقاء ، فلم أقر لأحد قط بشيئ مع أنه - رحمه الله تعالى - قد ألقى نفسه للهلاك

لامكان أن أخبر بذلك عنه فيحرق لا محالة ، لكن أيدنا الله سبحانه وتعالى بتأييده ، وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته بين أظهر أعداء الدين .

وقد كان والدى رحمه الله تعالى يعلمنى حينئذ ما كنت أقوله عند رؤيتى للأصنام ، وذلك أنه قال لى : إذاأتيت إلى كنائسهم ورأيت الأصنام فاقرأ فى نفسك سرا قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوْا لَهُ ، إِنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُـوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ لَـنْ يَّخْلُقُوْا ذُبَاباً وَّلَوِ اجْتَمَعُوْا لَهُ ، وَ إِنْ يَّسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئـاً لاَّ يَسْتَنْقِذُوْهُ مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوْبُ " وَ "قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُوْنَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُوْنَ " إلى آخرها ، وغير ذلك من الآيات الكريمة وقوله تعالى : "وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيْماً ، وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيْحَ عِيْسَى بْنَ مَرْيَمَ رَسُوْلَ اللهِ ، وَمَا قَتَلُوْهُ وَمَا صَلَبُوْهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِيْنَ اخْتَلَفُوْا فِيْهِ لَفِىْ شَكٍّ مِّنْهُ ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوْهُ يَقِيْناً ، بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ اللهُ عَزِيْزاً حَكِيْماً " .

فلما تحقق والدى رحمه الله تعالى أنى أكتم أمور دين الإسلام عن الأقارب فضلاً عن الأجانب ، أمرني أن أتكلم بافشائه لوالدتي وعمى وبعض أصحابه الأصدقاء فقط ، وكانوا يأتون إلى بيتنا فيتحدثون في أمر الدين وأنا أسمع ، فلما رأى حزمى مع صغر سنى فرح غاية الفرح وعرفنى بأصدقائه وأحبائه وإخوانه في دين الإسلام فاجتمعت بهم واحداً واحداً .

وسافرت الأسفار لأجتمع بالمسلمين الأخيار من "جيان" مدينة ابن مالك إلى غرناطة وإلى قرطبة وأشبيلية وطليطلة وغيرها من مدن الجزيرة الخضراء ، - أعادها الله تعالى للإسلام - فتلخص لي من معرفتهم أنى ميزت سبعة رجال كانوا كلهم يحدثونني بأمور غرناطة وماكان بها في الإسلام حينئذ وبما أقوله بعد وقلته قبل،فسندى عال لكونه ما تم إلا بواسطة واحدة بيني وبين الإسلام بها .

فباجتماعي بهم حصل لي خير كثير - ولله المنة - وقد قرأوا كلهم رحمهم الله على شيخ من مشايخ غرناطة - أعادها الله للإسلام - يقال له الفقيه

اللوطورى - رحمه الله تعالى ونفعنا به - فإنه كان رجلاً صالحاً ولياً لله فاضلاً زاهداً ورعاً عارفاً سالكاً ، ذا مناقب ظاهرة مشهورة و كرامات ظاهرة مأثورة ، قد قرأ القرآن الكريم في مكتب الإسلام بغرناطة قبل استيلاء العدو عليها ، وهو ابن ثمانية أعوام ، وقرأ الفقه وغيره على مشايخ أجلاء حسب الإمكان ، لأن الوقت ضاق في السر والإعلان ، لشدة القتال والحصر الذي كان عليهم مع صغر سنه ، ثم بعد مدة يسيرة انتزعت غرناطة من أيدي المسلمين أجدادنا ، وقد أذن العدو في ركوب البحر والخروج منها لمن أراده وبيع ما عنده وإتيانه لهذه الديار الإسلامية - أبقاها الله تعالى عامرة بالإسلام إلى يوم الدين - وذلك في مدة ثلاثة أعوام ، ومن أراد أن يقيم علي دينه وماله فليفعل بعد شروط اشترطوها وإلزامات كتبها عدو الدين على أهل الإسلام ، فلما تحركوا لذلك أجدادنا وعزموا على ترك ديارهم وأموالهم ومفارقة أوطانهم للخروج من بينهم ، وجاز إلى هذه الديار التونسية والخضرة الخضراء بعثة من جاء إليها

حينئذ ، ودخلوا في زقاق الأندلس المعروف بهذا الاسم ، وذلك سنة اثنتين وتسع مأة ، وكذلك للجزائر وتطوان وفاس ومراكش وغيرها ، ورأى العدو العزم فيهم لذلك نقض العهد فردهم رغم أنوفهم من سواحل البحر إلى ديارهم ، ومنعهم قهراً عن الخروج واللحوق باخوانهم وقرابتهم لديار الإسلام ، وقد كان العدو يظهر شيئاً ويفعل بهم آخر ، مع أن المسلمين أجدادنا استنجدوا مراراً ملوك الإسلام كملك فاس ومصر حينئذ ، فلم يقع من أحدهما إلا بعض مراسلات ليقضى الله أمراً كان مفعولاً .

ثم بقى العدو ويحتال بالكفر عليهم غضباً ، فابتدأ يزيل لهم اللباس الإسلامي والجماعات والحمامات والمعاملات الإسلامية شيئاً فشيئاً مع شدة امتناعهم والقيام عليه مراراً ، وقتالهم إياه ، إلى أن قضى الله سبحانه ما قد سبق في علمه ، فبقينا بين أظهرهم وعدو الدين يحرق بالنار من لاحت عليه أمارة الإسلام ويعذبه بأنواع العذاب ، فكم أحرقوا وكم عذبوا وكم نفوا من بلادهم وضيعوا من مسلم ، فانا لله وإنا

إليه راجعون .

((سيدي محمد بن عبد الرفيع الأندلسي (١٠٥٢هـ)))

الأسئلة :

١ ـ لماذا أمر أبو سيدي الأندلسي أن يكتم تعليمه الإسلام عن جميع أقربائه ؟

٢ ـ ماذا علمه أبوه أن يقول عندما يرى الأصنام ؟

٣ ـ لأي غرض سافر أسفاراً كثيرة ؟

٤ ـ من كان الفقيه اللوطوري ؟

٥ ـ بين موقع الإعراب من الكلمات المخطوطة في الجملة التالية :

ـ بقي العدو يحتال بالكفر عليهم غضبا .

ـ فابتدأ يزيل لهم اللباس الإسلامي .

ـ كم أحرقوا و ضيعوا من مسلم .

(٢٠)

وصف قلم

أهدى إلى سيدي[1] قلماً رشيقاً من دكن

(١) يعني الشاعر به الأستاذ الكبير السيد سليمان الندوي وقد أهدى إلى الناظم قلماً مطبوعاً عليه اسمه في رجوعه من حيدر آباد دكن .

يا حبذا تلك العلى | من ماجد حبر الزمن
هو خير ما يهدى إلى | باغى العلوم والفنن
يسقى العباد بريقه | ودمائه يحيى السنن
كم خامل نالوا به | ذكراً رفيعاً في الوطن
كم معدم حازوا به | مالاً عظيماً في المحن
تفرى الأمور بجده | ولمجده يعنو الزمن
سيف صقيل في الوغى | موت ذريع بالرسن
يرمى البغاة بسهمه | وبطرفه تخبو الفتن
كم عاجز يقوى به | بعد التذلل والوهن
كم صاغر يلقى به | عزاً عزيزاً والمنن
يرقى اللديغ بنفثه | فيهب يمشى من وسن
يروى الظماء زلاله | فكأن غماماً قد هتن
يشفى العليل بطبه | وبسحره يغبى الفتن
كم مفحم ألقى به | خطبات سحبان اللسن
يسقى الجديب بنبعه | فإذا به روض أغن

فلثمته متبركاً
وحسبته إحدى المنن

(محمد ناظم الندوي)[٦]

✣ **الأسئلة :**

١ ـ ما فائدة القلم ؟

٢ ـ كيف يكون القلم سيفا ؟

٣ ـ أى بيت يدل على ان القلم يرفع الأمة الذليلة ؟

كيف يحتل الكاتب محل الخطيب المصقع ؟

٥ ـ حدد الفاعل والمفعول والحال في البيت التالي :

فلثمته متبركا   و حسبته إحدى المنن

(٢١)

عالمكير بن شاه جهان سلطان الهند

(١)

الإمام المجاهد المظفر المنصور السلطان بن السلطان أبو المظفر محي الدين محمد أورنغ زيب عالمكير بن شاه جهان الغازي المؤيد من الله ، القائم بنصرة الدين الذي أيد الإسلام وفتح الفتوحات العظيمة وساس الأمور وأحسن إلى الرعايا ، وصرف أوقاته في القيام بمصالح الناس وبما يرضى به رب

العالمين من صيام وقيام ورياضة لا يتيسر بعضها لآحاد الناس فضلاً عن الملوك والسلاطين ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ولد ليلة الأحد بخمس عشرة خلون من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وألف بقرية دوحد على مأة أميال من أجين ، وسبعين ميلاً من بروده ، من بطن أرجمند بانو بنت آصف خان أبي الحسن بن غياث الدين الطهراني في أيام جده جهانكير بن أكبر شاه ، ونشأ في مهد السلطة وتنبل في أيام جده وأبيه ، وقرأ العلم على مولانا عبد اللطيف السلطان بوري ومولانا محمد هاشم الكيلاني والشيخ محي الدين بن عبد الله البهارى وعلى غيرهم من الأساتذة ، وأخذ خط النسخ عن الحاج القاسم والنستعليق عن السيد علي بن محمد مقيم الماهرين في الخط حتى كتب خط المنسوب وصار مضرب المثل في جودة الخط ، وبرز في كثير من العلوم والفنون وبايع الشيخ محمد معصوم بن الشيخ أحمد السرهندي ، وأخذ الطريقة عن الشيخ سيف الدين بن محمد معصوم المذكور ، وكان يلازمه بأمر والده لذلك

حتى حصلت له نفحة منه وبشره بأشياء ، واشتهر ذكره في حياة والده وعظم قدره فولاه والده الأعمال العظيمة في أرض دكن فباشرها أحسن مباشرة ، ثم حصل لوالده مرض صعب عطله عن الحركة ، وكان ولي عهده من بعده أكبر أولاده دارا شكوه ، فبسط يده على البلاد وصار هو المرجع والسلطان معنى ، فلم ترض نفوس إخوته بذلك فنهض شجاع من بنكاله ومراد بخش من كجرات وعالمكير من أرض دكن ، كل منهم يريد أن يقبض على أخيه دارا شكوه ويتولى المملكة ، فاتفق عالمكير ومراد بخش على ذلك فقاتلاه وغلبا عليه ، ثم احتال عالمكير على مراد بخش وقبض عليه ، واعتقل أخويه ثم قتلهما لأمور صدرت منهما ، وأفتى العلماء أنهما استوجبا القتل ، وحبس والده في قلعة أكبر آباد وهيأ له ما يشتهيه من ملبوس ومأكول وأهل الخدمة من الجوارى والغلمان ، وكانت جهان آرا بيكم بنت شاه جهان تقيم مع والدها في القلعة ، والسيد محمد الحسيني القنوجي يلازمه ، يشتغل عليه و يذاكره في ما ينفعه في عقباه .

وجلس عالمكير على سرير الملك سنة ثمان وستين وألف فافتتح أمره بالعدل والإحسان ورفع المظالم والمكوس ، وأسر غالب ملوك الهند المشهورين وصارت بلادهم تحت طاعته ، وجبيت له الأموال وأطاعته البلاد و العباد ، ولم يزل في اجتهاد من الجهاد ولم يرجع إلى مقر ملكه وسلطنته بعد أن خرج منه ، فكلما فتح بلاداً شرع في فتح أخرى حتى لحقت حدود ملكه في الجهة الشمالية إلى حدود خيوه وبخارا ، وفي الجهة الجنوبية إلى البحر المحيط ، وفي الجهة الغربية إلى سومنات على شاطئ بحر الهند ، وفي الجهة الشرقية إلى بوري منتهى أرض أريسه .

وكان عالمكير عالماً ديناً تقياً متورعاً متصلباً في المذهب ، يتدين بالمذهب الحنفي لا يتجاوز عنه في قول ولا فعل ، وكان يعمل بالعزيمة وكان يصلي الصلوات المفروضة في أوائل أوقاتها بالجماعة في المسجد مهما كان ، ويقيم السنن والنوافل كلها ، ويصلي صلاة الجمعة في الجامع الكبير، ولو كان غائبا عن البلدة لأمر من الأمور يأتيها يوم الخميس ويصلي صلاة

الجمعة ثم يذهب حيث يشاء ، وكان يصوم في رمضان في شدة الحر، ويحي الليالي بالتراويح ، ويعتكف في العشرة الأخيرة من رمضان في المسجد ، وكان يصوم يوم الاثنين والخميس والجمعة في كل أسبوع من أسابيع السنة ، ويصوم في أيام ورد عن النبي ﷺ أنه كان يصوم فيها ، وكان يخرج الزكاة من أمواله قبل أن يجلس على سرير الملك وبعده مما خص لنفسه من عدة قرى وبعض معادن الملح للمصارف الخاصة من نقير وقطمير ، وكان يريد أن يرحل إلى الحرمين الشريفين للحج و الزيـارة في أيام والده فلم يرض بفراقه ، وبعد ذلك لم تمهله المصالح الملكية ، ولكنه كان يرسل الناس إلى الحرمين الشريفين للحج والزيارة ويبذل عليهم العطايا الجزيلة ويبعث إليهما أموالاً طائلة لأهل الحوائج في أيام الحج بعد سنة أو سنتين ، ويوظف الذاكرين والذاكرات ويجعل لهم الأرزاق السنية ، ويداوم الطهارة بالوضوء و يحافظ على الأذكار والأدعية المأثورة عن النبي ﷺ في غالب أوقاته ، ويحي الليالي المتبركة بالصلاة والصدقة وصحبة

العلماء والمشايخ في المسجد ، وكان يحترز عن كل سوء و مكروه منذ نعومة أظفاره ، لم يشرب الخمر قط ولم يقارب إمرأة لا تحل له ، وكان لا يستمع للغناء بالمزامير منذ جلس على سرير الملك مع أنه كان ماهراً في الايقاع والنغم ، وما كان أن يلبس الملبوسات غير المشروعة وما كان أن يأكل في الظروف الذهبية والفضية ، وأمر أن تصاغ الجواهر الثمينة في الحجر اليشب مقام الذهب ، ونهى الأمراء أن يلبسوا غير المشروع ، وكان يمنعهم أن يتذاكروا بين يديه بكذب وغيبة و قول الزور ، وأمرهم أن يعبروا عن الأمور المستكرهة إن وقع لهم حاجة إلى ذلك ، وكان موزعاً لأوقاته ، فوقت للعبادة و وقت للمذاكرة ، و وقت لمصالح العسكر ، و وقت للشكاة ، و وقت لقراءة الكتب و الأخبار الواردة عليه كل يوم و ليلة من مملكته لا يخلط شيئاً بشيء .

❖ الأسئلة :

(١) اين ولد عالمكير ومن أمه ؟

(٢) أى منطقة ولاه أبوه ؟

(٣) متى جلس عالمكير على سرير الملك ؟

(٤) بأى مذهب كان يتدين عالمكير ؟

(٥) استعمل الكلمات التالية فى الجمل المفيدة التى تتكون على الأقل من أربع كلمات .

نعومة أظفاره - تصاغ - المصالح - المملكة - يخلط - يحترز .

(٢٢)

عالمكير بن شاه جهان سلطان الهند

(٢)

ومن مآثره الجميلة أنه حفظ القرآن الكريم بعد جلوسه على سرير الملك ، فأرخ بعض العلماء لبدء حفظه من قوله "سنقرئك فلا تنسى " ولتمامه من قوله " لوح محفوظ " .

وكانت له معرفة بالحديث ، له كتاب الأربعين جمع فيه أربعين حديثاً بعد الولاية ، وترجمها بالفارسية وعلق عليها فوائد نفيسة ، وكانت له مهارة تامة في الفقه يضرب به المثل في استحضار المسائل الجزئية .

وكان بارعاً في الخط ، كتب مصحفاً بيده قبل جلوسه على السرير ، وبعثه إلى مكة المباركة ، وبعد جلوسه مصحفاً آخر وبعثه إلى المدينة المنورة ، وانتسخ الألفية لابن مالك في صباه وأرسلها إلى مكة ، لينتفع بها الناس من أهل البلدة المباركة ، وكان ماهراً في الإنشاء والترسل ، لم يكن له نظير في زمانه في ذلك ، وقد جمع المؤلفون شيئاً كثيراً من رسائله في كتب كثيرة ، وكان مقتدراً على الشعر ولكنه كان قليل العناية به ، يمنع الناس من أن يضيعوا أوقاتهم في ذلك .

و كان ماهراً في الرمي و الطعن و الضرب والفروسية ، وغيرها من الفنون الحربية شجاعاً مقداماً باسلاً ، وكان والده شاه جهان يوماً يتفرج في البرج المشرف على نهر جمن على مصارعة الأفيال ، وكان عالمكير أيضاً في الزحام ، وهو يومئذ في الرابع عشر من سنه ، وكان على فرس ، وإذا بفيلة قد ثارت ، ففر الناس كلهم و ثبت عالمكير وتوجهت إليه الفيلة ، ولفت فرسه بخرطومها وصرع عالمكير من صهوة الفرس ثم قام وسل

السيف عليها ، وجاء الناس ودفعوا الفيلة بالضرب والطعن وإيقاد النار.

وكان سخياً جواداً كريماً يبذل على الفقراء وأهل الحاجةالعطايا الجميلة ويسامحهم في الغرامات ، أبطل ثمانين نوعاً من المكوس في سنة تسع وستين وألف ، ونهى عن مطالبة الأبناء بغرامات الآباء ومصادرة أموالهم في القضاء ، وبذل أموالاً طائلة على إصلاح الشوارع والطرق في نواحي الهند ، وحفر الآبار وأجرى العيون وأسس الجسور ورباطات وحمامات ومساجد واصطبلات لابن السبيل يستريح الناس بها ، نظلوا آمنين مطمئنين ، و بذل الأموال الطائلة في بناء المساجد ، وبنى مساجد كثيرة في أرض الهند ، وعمر القديمة منها ، وجعل الأرزاق للأئمة والمؤذنين والرواتب للمساجد من بسط وسرج وغير ذلك ، وأسس دور العجزة في أكثر البلاد زيادة على ما كانت فى العصور الماضية ، و المارستانات في أكثر بلاده ، وكان يرسل العطايا الجميلة إلى أهل الحرمين الشريفين ـ زادهما الله شرفاً ـ بعد سنة أو سنتين ، ووظف خلقاً كثيراً من

العلماء والمشايخ ليشتغلوا بالعلم والإفادة منقطعين فارغي القلوب عن هموم الدنيا ، و كان يتصدق بتسع و أربعين ألفاً ومأة ألف في السنة غير ما يتصدق به في الأعياد والمواسم .

وكان مقتصداً في الخيرات غير مسرف في المال لا يعطى الشعراء شيئاً ولا لأهل الايقاع والنغم خلافاً لأسلافه فإنهم كانوا يبذرون في المال تبذيراً كثيراً ، وإذا وظف العلماء أو أقطعهم اشترط بالدرس والإفادة لكيلا يتخذوها ذريعة لأخذ المال فقط .

وكان مجبولا على العدل والاحسان وفصل القضاء على وفق الشريعة المطهرة ، أمر العلماء أن يدونوا المسائل والأقضية من كل باب من أبواب الفقه ، فدونوها وصنفوا الفتاوى العالمكيرية في ست مجلدات كبار اشتهرت في الأقطار الحجازية والمصرية والشامية والرومية ، وعم بها النفع وصارت مرجعاً للمفتين ، وأنفق على جمعها مأتى ألف من النقود ، وأمر القضاة أن يقضوا بها .

وكان يظهر كل يوم بدار العدل بعد الإشراق فيعرض عليه ناظر العدلية الأقضية فيحكم بما ألقى الله سبحانه في روعه ثم يطلب الناظر بالديوان الخاص فيعرض عليه المتظلمين فيستنطق المتخاصمين ويتأمل في الأقضية ويحكم بما أراه الله سبحانه .

وهو أول من وضع الوكالة الشرعية في دور القضاء ، فولى رجلاً من أهل الدين والأمانة في دور القضاء بكل بلدة وعمالة ليكونوا وكلاء عنه فيما يستغاث عليه في الحقوق الشرعية والديون الواجبة عليه ، وأجاز للناس أن يستغيثوا عليه عند القاضى ، وهو أول من نصب المحتسبين في بلاده ، وامتاز في الملوك التيمورية في ذلك .

قال المحبى في خلاصة الأثر : هو ممن يوصف بالملك العادل الزاهد فإنه مع سعة سلطانه.يأكل في شهر رمضان رغيفاً من خبز الشعير من كسب يمينه ، ويصلى بالناس التراويح ، وأمر من حين ولي السلطنة برفع المكوس والمظالم عن المسلمين ، ونصب الجزية بعد أن لم تكن على الكفار ، وتم له ذلك مع أنه لم يتم

لأحد من أسلافه ، أخذ الجزية منهم لكثرتهم وتغلبهم على إقليم الهند ، وأقام فيها دولة العلم ، وبالغ في تعظيم أهله ، وعظمت شوكته ، وفتح الفتوحات العظيمة ، وهو مع كثرة أعدائه وقوتهم غير مبال بهم مشتغل بالعبادات ، وليس له في عصره من الملوك نظير في حسن السيرة ، و الخوف من الله تعالى ، والقيام بنصرة الدين .

توفي عالمكير في دكن في شهر ذي القعدة الحرام سنة ١١١٨هـ وأقام في الملك خمسين سنة .

(نزهة الخواطر للشيخ عبد الحي الحسني)

❖ الأسئلة :

(١) اذكر بعض مآثر عالمكير ؟

(٢) اذكر القصة التى دلت على عظم جراءته ؟

(٣) بماذا أمر عالمكير العلماء ؟

(٤) أين توفى عالمكير وما عام وفاته ؟

(٥) اقلب الأفعال الماضية إلى أفعال الأمر والنهي فى الجملة المذكور أدناه ، و اذكر أبوابها :

- و إذا وظف العلماء أو أقطعهم اشترط بالدرس والإفادة .

(٢٣)

تجارة رابحة

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلّهِ مَا فِى السَّموَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ، يَآ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لِمَ تَقُوْلُوْنَ مَا لاَ تَفْعَلُوْنَ ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُوْلُوْا مَا لاَ تَفْعَلُوْنَ ، إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الَّذِيْنَ يُقَاتِلُوْنَ فِىْ سَبِيْلِه صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوْصٌ ، وَ إِذْ قَالَ مُوْسى لِقَوْمِـه يٰقَوْمِ لِـمَ تُؤْذُوْنَنِى وَقَدْ تَّعْلَمُوْنَ أَنِّىْ رَسُوْلُ اللهِ إِلَيْكُمْ ، فَلَمَّا زَاغُوْا أَزَاغَ اللّهُ قُلُوْبَهُمْ ، وَ اللّهُ لا يَهْدِىْ الْقَوْمَ الْفَاسِقِيْنَ ، وَإِذْ قَالَ عِيْسَى بْنُ مَرْيَمَ يٰبَنِيْ إِسْرَآئِيْلَ إِنِّى رَسُوْلُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُوْلٍ يَّأْتِىْ مِنْ بَعْدِىْ اسْمُهٗ أَحْمَدُ ، فَلَمَّا جَآءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوْا هٰذَا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ ، وَمَنْ أَظْلَمَ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعىٰ إِلَى الْإِسْلاَمِ ، وَاللّهُ لاَ يَهْدِىْ الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ ، يُرِيْدُوْنَ لِيُطْفِؤُا نُوْرَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَاللّهُ مُتِمٌّ نُوْرِهٖ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَ ، هُوَ الَّذِىْ أَرْسَلَ رَسُوْلَهُ بِالْهُدَى وَدِيْنِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّيْنَ كُلِّهٖ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُوْنَ ، يَآ أَيُّهَا

الَّذِيْنَ آمَنُوْا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيْمٍ ، تُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ وَتُجَاهِدُوْنَ فِىْ سَبِيْلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ، وَمَسٰكِنَ طَيِّبَةً فِىْ جَنّٰتِ عَدْنٍ ، ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ ، وَ أُخْرَى تُحِبُّوْنَهَا ، نَصْرٌ مِّنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيْبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَ ، يَآ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا كُوْنُوْا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّيْنَ مَنْ أَنْصَارِىْ إِلَى اللهِ ، قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ ، فَآمَنَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ بَنِيّ إِسْرَآئِيْلَ وَكَفَرَتْ طَآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوْا ظَاهِرِيْنَ.

(سورة الصف)

❖ الأسئلة :

١ ـ ما هو أكبر مقتا عند الله؟

٢ ـ من يحبهم الله من المقاتلين في سبيله؟

٣ ـ لِمَ أزاغ الله قلوب بني إسرائيل ؟

٤ ـ ماذا قال عيسى بن مريم لبني إسرائيل ؟

٥ ـ أذكر شروط التجارة التي تنجي المؤمنين .

٦ ـ وماذا يترتب لهم على هذه التجارة .

(٢٤)

الشيخ نظام الدين اللكهنوى

الشيخ الامـام العـالم الكبيـر ، العلامـة الشهير صاحب العلوم والفنون وغيث الافادة الهتون العالم بالربع المسكون ، أستاذ الأساتذة وإمام الجهابذة الشيخ نظام الدين بن قطب الدين بن عبد الحكيم الأنصارى السهالوى ثم اللكنوى ، الذى تفرد بعلومه وأخذ لواءها بيده ، لم يكن له نظير فى زمانه فى الأصول والمنطق والكلام .

ولد بسهالى وتوفى والده مقتولا وهو فى الرابع عشر أو الخامس عشر من سنه ، فانتقل إلى لكهنؤ مع صنوه الكبير محمد سعيد فأعطى عالمكير بن شاه جهان سلطان الهند قصرا بذلك المقام لأبناء الشيخ الشهيد يعرف بفرنكى محل ، لأنه كان من أبنية تاجر أفرنكى ، فلما اطمأن قلبه خرج من لكهنؤ وذهب إلى بلدة جائس و قـرأ أكثر الكتـب الدراسية علـى ملا على قلى الجائسى ، ثم ذهب إلى بلدة بنارس و تلمذ على الحافظ

أمان الله بن نور الله البنارسى وقرأ عليه شرح المواقف ، ثم رجع إلى بلدة لكهنؤ وتلمذ على الشيخ غلام نقشبند بن عطاء الله اللكهنوى وقرأ عليه الرسالة القوشجية فى الهيئة ، وقرأ فاتحة الفراغ وله خمس وعشرون سنة ، ثم تصدى للدرس والافادة فتكاثر عليه الطلبة وخضع له العلماء وطارت مصنفاته فى حياته إلى الأمصار والبلاد وتلقى نظام درسه في مدارس العلماء بالقبول ، واشتهر (بالدرس النظامى) و انتهت إليه رئاسة التدريس فى أكثر بلاد الهند .

وكان مع تبحره فى العلوم وسعة نظره على أقاويل القدماء عارفا كبيرا ، زاهدا شديد التعبد ، عميم الأخلاق ، حسن التواضع، كثير المؤاساة بالناس ، و كان لا يتقيد بتكبير العمامة و تطويل الأكمام و الطيلسان، أخذ الطريقة القادرية عن الشيخ عبد الرزاق بن عبد الرحيم البانسوى ، و بايعه و له أربعون سنة .

قال السيد غلام على البلغرامى فى " سبحة المرجان" : أنا دخلت لكهنؤ فى التاسع عشر من ذى

الحجة الحرام سنة ثمان و أربعين و مأة و ألف ، واجتمعت بالملا نظام الدين فوجدته على طريقة السلف الصالحين يلمح على جبينه نور التقديس .

ومن مصنفات الشيخ نظام الدين شرحان على مسلم الثبوت للقاضى محب الله الأطول و الطويل ، و شرح على منار الأصول ، و شرح على تحرير الأصول لابن الهمام ، وشرح على المبارزية ، و حاشية على شرح هداية الحكمة للشيرازى ، و حاشية على الشمس البازعة للجونفورى ، و حاشية على شرح العضدية للدوانى ، و حاشية على الحاشية القديمة ، و له المناقب الرزاقية كتاب بالفارسى فى أخبار شيخه عبد الرزاق .

و أما تلامذته فانهم كثيرون ، أجلهم السيد كمال الدين العظيم آبادى ، والسيد ظريف العظيم آبادى ، والعلامة كمال الدين فتح بورى ، والشيخ غلام محمد البرهان فورى ، و مولانا حقانى التاندوى ، والشيخ عبد الله الأميتهوى ، والشيخ أحمد بن غلام نقشبند اللكهنوى ، وحمد الله بن شكر الله السنديلوى ، و الشيح عبد الرشيد الجونفورى المدفون بلكهنؤ ،

و الشيخ وجيه الدين الدهلوى ، ومولانا غلام محمد عمر الشمس آبادى ، ومولانا غلام فريد المحمد آبادى ، ومولانا محمد المالكى التلمسانى ، والسيد شاكر الله السندولوى ، والشيخ محمد حسن بن غلام مصطفى ، وضنوه محمد ولى ، والشيخ أحمد عبد الحق بن محمد سعيد ، و ولده ملك العلماء عبد العلى محمد ، وخلق كثير من الناس .

توفى يوم الأربعاء لثمان خلون من جمادى الأولى سنة ١١٦١هـ فى حصاة المثانة وقد جاوز سبعين سنة .

(نزهة الخواطر للشيخ عبد الحى الحسنى)

❖ الأسئلة :

١ ـ لماذا سمى القصر الذي سكنه الشيخ نظام الدين بفرنكي محل ؟

٢ ـ على من قرأ أكثر الكتب الدراسية و أين قرأ ؟

٣ ـ ماذا قال فيه السيد غلام علي البلكرامي ؟

٤ ـ أذكر بعض أسماء مصنفاته و تلاميذه .

٥ ـ حدد أبواب الأفعال و أوزان الجموع في الجملة الآتية :

تصدى للدرس فتكاثر عليه الطلبة و خضع له العلماء وطارت مصنفاته إلى الأمصار .

(٢٥)

من الشنق إلى النفى

(١)

فى اليوم الثانى من شهر مايو سنة ١٨٦٤م جلس ايدوردس القاضى الانكليزى على كرسى فى محكمة أنباله ، وجلس بجنبه أربعة من وجهاء البلد ليروا رأيهم فى القضية ، و وقف أمام هؤلاء أحد عشر رجلا تنطق وجوههم وملامحهم بشرفهم و براءتهم ، ولكنهم من كبار الجناة والمجرمين ، فانه يقال : إنهم دبروا مؤامرة ضد الحكومة الانكليزية فى الهند ، وكانوا يساعدون أنصار السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد والمجاهد الجليل الشيخ إسمعيل الشهيد على حدود أفغانستان بالمال والرجال يرسلونها سرا من داخل البلاد بحكمة عجيبة ، وكانوا وضعوا لمراسلاتهم لغة رمزية ، وكانوا يجمعون إعانات من رعايا الانكليز أنفسهم ، ويرسلونها إلى مركز الثوار ، عثرت على ذلك الحكومة بوشاية جندى مسلم فى جنود الانكليز، وأسرتهم فى بتنه

وتهانيسر ولاهور وحاكمتهم ، وهذا يوم يصدر فيه الحكم عليهم .

غصت المحكمة بالزائرين فقد كانت القضية حديث المجالس ، وحان صدور الحكم فشخصت الأبصار وأصغت الآذان واضطربت القلوب وخفتت الأصوات ، وإذا بالقاضى يتكلم فى صوت الغضبان ويخاطب شابا جميلا قويا يظهر أنه ربيب نعمة وسليل شرف .

"إنك يا جعفر رجل عاقل متعلم ولك معرفة حسنة بقانون الدولة و أنت عمدة بلدك ومن سراته ، ولكنك بذلت عقلك وعلمك فى المؤامرة والثورة على الحكومة ، وكنت واسطة فى انتقال المال والرجال من الهند إلى مركز الثوار ، ولم تزد إلا أن جحدت وعاندت ، ولم تثبت أنك كنت مخلصا وناصحا للدولة ، وها أنا ذا أحكم عليك بالإعدام ومصادرة جميع ما تملك من مال وعقار ، ولا يسلم جسدك بعد الشنق إلى ورثتك بل يدفن فى مقبرة الأشقياء بكل مهانة ، وسأكون سعيداً مسرورا حين أراك معلقا مشنوقا " .

استمع الشاب فى سكينة و وقار ولم يتغير ولم يضطرب ، ولما انتهى القاضى من كلامه قال محمد جعفر : إن النفوس والأرواح بيد الله تعالى ، يحي و يميت وإنك أيها القاضى لا تملك حياة ولا مماتا ولا تدرى من السابق منا إلى منهل الموت .

فوالله ما أدرى وإنى لصادق
علـى أينـا تغـدو المنيـة أول

ثار الرجل غضبا وجن جنونه ، ولكنه قد أطلق آخر سهم من سهامه لا يملك غيره .

استبشر محمد جعفر حين صدر عليه الحكم وتهلل وجهه فرحا ، وكأنما تمثلت له الجنة ، وتمثلت له الحور والقصور ، و تمثل بيت الشاعر .

هذا الذى كانت الأيام تنتظر
سَيُـوفِ لله أقـوام بمـا نـذروا

قضى الناس العجب مما رأوا ، ودنا إلى محمد جعفر ضابط انكليزي يقال له بارسن ، وقال له : لم أر كاليوم قد حكم عليك بالإعدام وأنت مسرور مستبشر، قال محمد جعفر: و ما لى لا أفرح ولا أستبشر و قد

رزقنى الله الشهادة فى سبيله ، و أنت يا مسكين لا تدرى حلاوتها.

وحكم القاضى على رجلين آخرين بالاعدام أحدهما شيخ تلوح عليه سيما الصالحين وآية العابدين قد تلقى النبأ فى سرور وشكر، وهو مولانا يحيى على الصادقبورى أمير هذه الجماعة ، والآخر شاب يظهر أنه من الأغنياء والتجار الكبار وأن أصله من بنجاب وهو الحاج محمد شفيع ، وحكم على الثمانية الباقية بالنفى المؤبد .

سمع الناس المجتمعون الحكم فى حزن وأسف شديد ، و فاضت العيون و سالت الدموع ، واجتمع الناس من رجال ونساء على جانبى الشارع إلى السجن ينظرون إلى هؤلاء البؤساء ويرثون لهم .

و وصلوا إلى السجن ونزعت ثيابهم وألبسوا ثياب المجرمين ، وسجن كل واحد من الثلاثة فى حجرة ضيقة مظلمة ، لا يدخل فيها الهواء ولا ينفذ فيها النور ، وباتوا فيها فى حر شديد بشر ليلة بات قوم ، وجاءت بكرة برقية تسمح لهم بالمبيت فى الميدان .

و فى النهار أعيدوا إلى حجراتهم الضيقة ، وكان لا يمكن لأحد أن يعيش فى مثل هذه الحجرة الضيقة مدة أسبوع ، ففتح بابها وعين جندى ليحرس هؤلاء الجنود أكثرهم من الكفار ، فكان مولوى يحيى على يغتنم الفرصة ويأتسى بأسوة يوسف الصديق عليه السلام ، و يخاطب الحارس ويقول : " أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُوْنَ خَيْرٌ أَمِ اللّٰهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ " فيظل الرجل باكيا،فاذا نقل من مكانه حزن حزنا شديدا .

وهكذا غرس الشيخ فى قلوب كثير من أصحاب السجن عقيدة التوحيد وبذر فيها بذور الإيمان ، وكم من رجال أسلموا ، و كم من ناس تابوا ، وكان الشيخ لا يضيع فرصة ، فاذا صادف أحدا أمره بالمعروف ونهاه عن المنكر .

ويدأ زبانية السجن يضعون لهؤلاء حبلا وعودا للشنق على مرأى منهم ومسمع ، وهؤلاء يرون كل ذلك مطمئنين ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

أما مولانا يحيى على فهو من أشد الناس فرحا، كأنه من شوق الجنة فى الجنة ومن انتظار النعيم فى

النعيم ينشد الأبيات فى حنين و وجد ، ويتمثل بما قال سيدنا خبيب رضى الله عنه عند شنقه .

ولست أبالى حين أقتل مسلما

على أى شق كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ

يبارك على أوصال شلو ممزع

وكذلك رفقته ، وجوه ضاحكة مستبشرة ، ونفوس هادئة مطمئنة ، وقلوب راضية مسرورة ، خشوع فى الصلاة ، وعبادة فى نشاط ، وذكر وتسبيح وتلاوة آيات وحنين و وجد ، و إنشاد أبيات .

❖ الأسئلة :

١ ـ سم وجهاء البلد الأربعة ؟

٢ ـ ما جريمة هؤلاء الأربعة لدى الحكومة الإنجليزية ؟

٣ ـ من هما اللذان حكم القاضي عليهما بالإعدام ؟

٤ ـ أي غرس غرس و بذرة بذر الشيخ مولوي يحي في قلوب المسجونين ؟

٥ ـ حدد أداة الشرط و فعله و جوابه في البيت الآتي و كون ثلاث جمل على مثاله :

وذلك في ذات الإله و إن يشاء

يبارك على أوصال شلو ممزع

(٢٦)

من الشنق إلى النفى

(٢)

مات القاضى الانكليزى الذى حكم على هؤلاء الثلاثة بالاعدام فجأة على إثر الحكم ، وجن الضابط الانكليــزى بارسن ، الذى ألقى القبض على محمد جعفر، وضربه يوما من الساعة الثامنة صباحا إلى الساعة الثامنة مساءا، ومات فى جنونه شرٌ ميتة ، فكان كما أنذر محمد جعفر " و رب أغبر اشعث لو أقسم على الله لأبَره " .

وكان يدخل إلى السجن كثير من الانكليز والأفرنجيات ، يتفرجون على هؤلآء السجناء ويشمتون بمصير الأعداء ، وكانوا يقضون العجب من سرورهم ونشاطهم ، ويسألونهم لماذا لا تحزنون يا هؤلاء وأنتم على عتبة الموت و على موعد من الشنق ؟ فيجيبونهم : هذا لأجل الشهادة التى ليس فوقها نعمة وسعادة .

ويرجعون إلى الحكام الانكليز ويحدثونهم بما رأوا وبما سمعوا ، فيزدادون غيظا على غيظ ، ولكن ما ذا

يصنعون ؟ إنهم إذا أطلقوهم فقد أطلقوا أعداءا قد ثاروا على الدولة ، وإنهم سيرجعون إلى ذلك ، وإذا شنقوهم وقتلوهم فقد بلغوهم أملهم واجتهدوا فى سرورهم .

قد عز على الانكليز كل ذلك ولم تطب أنفسهم به ، فكروا فى القضية وفكروا وفكروا و وجدوا طريقا وسطا بين القتل و الاطلاق ، و الانكليز أمة قانونية ذكية .

فى يوم من الأيام جاء حاكم المدينة الانكليزى إلى السجن وتلا على الثلاثة المحكومين عليهم بالاعدام حكم محكمة الاستئناف .

" إنكم أيها الثوار تحبون الشنق وتعدونه شهادة فى سبيل الله ، ولا نريد أن نبلغكم أملكم وندخل عليكم السرور ، فننسخ حكم الاعدام ونحكم عليكم بالنفى المؤبد إلى جزائر سيلان .

وهنا قصت لحاهم وشعر رؤوسهم ، وكان مولانا يحيى على يرفع الشعر و يخاطب لحيته المقصوصة و يقول :

وفى سبيل الله ما لقيت

وشنق إنكليزى بحبل وعود قد أعدا لأولئك المسلمين فانعكست القضية .

وأمر المسجونون بالاشتغال بأعمال شاقة ، وأمر مولانا يحيى على بنزع الدلاء من بئر ، وكانت كبيرة وثقيلة لا ينزعها الشبان الأقوياء إلا بشق الأنفس ، والأستاذ شيخ ضعيف ، وكا ن اليوم صائفا شديد الحر فنزفه الدم فى بوله ، ولكنه استمر فى شغله صابرا محتسبا لا يشكو ولا يئن ، ثم نقل إلى عمل سهل ، فكان يقوم به بأمانة ونصيحة ، ويوصى المسجونين الآخرين بذلك أيضا ويقول لهم : إذا كنتم تتمتعون هنا بطعام ولباس فما بالكم لا تؤدون وظيفتكم بأمانة ونصيحة .

ولم يزل الشيخ فى السجن آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر داعيا إلى الله واعظا مرشدا ، فتاب كثير من المجرمين وأنابوا إلى الله .

ونقل الشيخ من أنباله إلى لاهور ، وأقام فى سجنه عاما كاملا ، وكان هنالك الجناة و اللصوص وقطاع الطريق و الفساق ، فكان يقبح لهم الجنايات و الفسوق

و العصيان ، و يزين لهم الدين و التقوى و العفاف ، و يحثهم على الطاعة والتوبة والانابة وإصلاح الحال ، ويدعوهم إلى التوحيد والمحافظة على الصلاة والصيام ، ويحذرهم من عذاب الله ونقمته ، فتاب كثير من اللصوص وقطاع الطريق ، وحسن حالهم ، وأخلصوا لله الدين ، و تابوا و أقاموا الصلاة .

وكان من هؤلاء رجل من بلوجستان ، وكان شديد البطش جبارا ، وقد سطا بخدم السجن مرارا وضربهم بسلاسله ، وكان لا يقوم بأعماله ووظائفه ، وقد عوقب عقابا شديداً فلم يتب ولم يلن ، وقد يئس منه زبانية السجن وقطعوا منه الرجاء ، و صادف مبيته مرة بالقرب من الشيخ ، وأثر كلامه فى قلبه فحسن حاله وصار يؤدى وظيفته و فكت سلاسله وأغلاله فصار يحافظ على الصلوات الخمس ، ويبكى خوفا من الله ، ومن رأه شهد بأنه ولى من أولياء الله .

ولم يزل الشيخ و رفقته ينتقلون من سجن إلى سجن ومن محبس إلى محبس ، حتى وصلوا الثامن من ديسمبر سنة ١٨٦٥م إلى بورت بلبر من جزائر إندمان

و مات الشيخ هنا بعد عامين قضاهما فى عبـادة و دين و دعوة الخلق إلى الله ، وكان ذلك لعشرين من فبراير سنة ١٨٦٨م .

أما الشيخ محمد جعفر فقد صدر الحكم بالعفو عنه وإطلاقه فى الثانى والعشرين من يناير سنة ١٨٨٣م بعد ما لبث فى السجن ثمانية عشر عاما .

(من ''إذا هبت ريح الايمان '' للمؤلف)

❖ الأسئلة :

١ - ماذا حدث للقاضي الإنكليزي والضابط الإنكليزي .

٢ - لماذا نسخ قاضي محكمة الاستئناف حكم الإعدام بالنفي المؤبد ؟

٣ - ماذا كان يصنع مولانا يحي عندما قصت لحيته .

٤ - بم كان يوصي المسجونين الآخرين مولانا يحي .

٥ - إملأ الفراغات في العبارة التالية :

لم يزل ...... في السجن ...... بالمعروف

ناهيا .... المنكر .... إلى الله ....

كثير .... المجرمين .... إلى ......

(٢٧)

الشيخ عبد العزيز الدهلوى

الشيخ الامام العالم الكبير العلامة المحدث عبد العزيز بن ولى الله بن عبدالرحيم العمرى الدهلوى ، سيد علمائنا فى زمانه وابن سيدهم ، لقبه بعضهم سراج الهند ، و بعضهم حجة الله .

ولد ليلة الخميس لخمس ليال بقين من رمضان سنة ١١٥٩هـ ، حفظ القرآن و أخذ العلم عن والده ، فقرأ عليه بعضا وسمع بعضا آخر بالتحقيق والدراية والفحص حتى حصلت له ملكة راسخة فى العلوم ، ولما توفى أبوه إلى جوار رحمة الله تعالى و رضوانه وله ست عشرة سنة ، أخذ عن الشيخ نورالله البُرهانوى و الشيخ محمد أمين الكشميرى ، وأجازه الشيخ محمد عاشق بن عبيدالله البهلتى ، وكانوا من أجلة أصحاب والده فاستفاد منهم ما فاته على أبيه .

كان رحمه الله أحد أفراد الدنيا بفضله وآدابه وعلمه و ذكائه ، و فهمه ، و سرعة حفظه ، اشتغل

بالدرس و الافادة و له خمس عشرة سنة ، فدرس وأفاد حتى صار فى الهند العلم المفرد ، وتخرج عليه الفضلاء وقصدته الطلبة من أغلب الأرجاء وتهافتوا عليه تهافت الظمآن على الماء ، هذا و قد اعترته الأمراض المؤلمة وهو ابن خمس وعشرين ، فأدت إلى المراق و الجذام والبرص والعمى ونحو ذلك حتى عد منها أربعة عشر مرضا مفجعا ، و من ذلك السبب فوض تولية التدريس فى مدرسته إلى صنويه رفيع الدين وعبد القادر ، و مع ذلك كان يـــدرس بنفســه النفيســة أيضا و يصنف و يفتى و يعظ ، و مواعظه كانت مقصورة على حقائق التنزيل فى كل أسبوع يوم الثلاثاء ، وكان فى آخر عمره لا يقدر أن يقعد فى مجلس ساعة فيمشى بين مدرستيه القديمة والجديدة ، و يشتغل عليه خلق كثير فى ذلك الوقت فيدرس ويفتى ويرشد الناس إلى طريق الحق ، وكذلك يمشى بين العصر و المغرب ويذهب إلى الشارع الذى بين المدرسة و بين الجامع الكبير فيتهادى بين الرجلين يمينا و شمالا ، ويترقب الناس قدومه فى الطريق ويستفيدون منه فى مشكلاتهم ، و من الأمراض

المؤلمة فقد الاشتهاء إلى حد يقضى أياما وليالى لا يذوق طعم الغذاء حتى صار الأكل غبا بطريق النوبة كالحمى .

و كان مع هذه الأمراض المؤلمة و الأسقام المفجعة لطيف الطبع حسن المحاضرة جميل المذاكرة فصيح المنطق مليح الكلام ذا تواضع و بشاشة وتودد لا يمكن الإحاطة بوصفه ، و مجالسته هي نزهة الأذهان و العقول مما لديه من الأخبار التي تنشف الأسماع و الأشعار المهذبة للطباع والحكايات عن الأقطار البعيدة وأهلها وعجائبها بحيث يظن السامع أنه قد عرفها بالشهادة ، و لم يكن الأمر كذلك فانه لم يعرف غير كلكته ، ولكنه كان باهر الذكاء قوى التصور كثير البحث عن الحقائق ، فاستفاد ذلك بوفود أهل الأقطار البعيدة إلى حضرة دهلى ، و لأنه قد صنف الناس فى الأخبار مصنفات يستفيد بها مما يقرب من المشاهدة .

وكان الناس يقصدونه ليستفيدوا من علمه والأدباء ليأخذوا من أدبه ويعرضوا عليه أشعارهم ، والمحاويج يأتونه ليشفع لهم عند أرباب الدنيا ويواسيهم

بما يمكنه ، وكرمه كلمة إجماع ، و المرضى يلوذون به لمداواتهم ، وأهل الجذب و السلوك يأتونه ليقتبسوا من أشعة أنواره ، و غُرباء الديار من أهل العلم والصلاح ينزلهم و يحسن مثواهم و يفضل عليهم بما يحتاجون إليه ، ويسعى فى قضاء أغراضهم ونيل مطالبهم ، وإذا جالسه منحرف الأخلاق أو من له فى المسائل الدينية بعض شقاق جاء من سحر بيانه بما يؤلف بين الماء والنار ويجمع بين الضب والنون فلا يفارقه إلا وهو عنه راض .

قال الشيخ محسن بن يحيى الترهتى فى " اليانع الجنى " إنه قد بلغ من الكمال والشهرة بحيث ترى الناس فى مدن أقطار الهند ، يفتخرون باعتزائهم إليه بل بانسلاكهم فى سمط من ينتمى إلى أصحابه .

قال: ومن سجاياه الفاضلة الجميلة التى لا يدانيه فيها عامة أهل زمانه قوة عارضته ، لم يناضل أحدا إلا أصاب غرضه وأصمى رميته وأحرز خصله ، و من ذلك براعته فى تحسين العبارة و تحبيرها و التأنق فيها وتحريرها حتى عده أقرانه مقدما من بين حلبة رهانه ،

وسلموا له قصبات السبق فى ميدانه ، ومنها فراسته التى أقدره الله بها على تأويل الرؤيا فكان لا يعبر شيئا منها إلا جاءت كما أخبر به كأنما قد رآها ، وهذا لا يكون إلا لأصحاب النفوس الزاكيات المطهرة عن أدناس الشهوات الردية و أرجاسها ، و كم له من خصال محمودة وفضائل مشهودة ، وجملة القول فيه أن الله تبارك و تعالى قد جمع فيه من صنوف الفضل و شتاته التى فرقها بين أبناء عصره فى أرضه ما لو رآه الشاعر الذى يقول :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتا

لدى المجد حتى عد ألف بواحد

استبان له مثل ضوء النهار أنه وإن كان عنده أنه قد بالغ فيه فانه قد قصر ، فكيف الظن بأمثالى أن يحسن عد مفاخره التى أكثر من حصى الحصباء و من نجوم السماء،انتهى .

وكان طويل القامة نحيف البدن أسمر اللون أنجل العينين كث اللحية ، و كان يكتب النسخ

و الرقاع بغاية الجودة ، و كانت له مهارة فى الرمى والفروسية و الموسيقى .

وللشيخ عبد العزيز مؤلفات كلها مقبولة عند العلماء محبوبة إليهم يتنافسون فيها ويحتجون بترجيحاته و هو حقيق بذلك ، وفى عبارته قوة وفصاحة وسلاسة تعشقها الأسماع و تلتذ بها القلوب ، ولكلامه وقع فى الأذهان قل أن يمعن فى مطالعته من له فهم فيبقى على التقليد بعد ذلك ، وإذا رأى كلاما متهافتا زيفه ومزقه بعبارات عذبة حلوة .

وأما مصنفاته فأشهرها تفسير القرآن المسمى بفتح العزيز صنفه فى شدة المرض ولحوق الضعف إملاءا، و هو فى مجلدات كبار، ولكنها ضاع معظمها فى ثورة الهند وما بقى منها إلا مجلدان من أول وآخر ، ومنها الفتاوى فى المسائل المشكلة ومنها " تحفة اثنا عشرية " فى الكلام على مذهب الشيعة كتاب لم يسبق مثله ، ومنها كتابه " بستان المحدثين " و هو فهرس كتب الحديث و تراجم أهلها ببسط وتفصيل ولكنه لم يتم ، و منها "العجالة النافعة " رسالة له بالفارسية فى أصول الحديث و له غير ذلك من الرسائل .

وأما مصنفاته فى المنطق و الحكمة فمنها حاشية على " مير زاهد رساله " وحاشية على "مير زاهد ملا جلال " و حاشية على "مير زاهد شرح المواقف " و حاشية على "حاشية ملا كوسج" المعروفة بالعزيزية ، و حاشية على "شرح هداية الحكمة " للصدر الشيرازى .

وله شرح على أرجوزة الأصمعى و له مراسلات إلى العلماء والأدباء و تخميس نفيس على قصيدتى والده البائية و الهمزية .

وكان نسيج وحده فى النظم والنثر و قوة التحرير وغزارة الاملاء و جزالة التعبير ، و كلامه عفو الساعة و فيض القريحة ، ومسارعة القلم و مسابقة اليد .

توفى بعد صلاة الفجر يوم الأحد لسبع خلون من شوال سنة ١٢٣٩هـ وله ثمانون سنة ، وقبره بدهلى عند قبر والده خارج البلدة .

(''نزهة الخواطر'' للشيخ عبد الحى الحسنى رحمه الله)

❖ الأسئلة :

١ ـ متى ولد الشيخ عبدالعزيز الدهلوي ومن أبوه ؟

٢ ـ ماذا قال فيه الشيخ محسن بن يحي الترهتي في اليانع الجني ؟

٣ - اذكر من سجايا ه ما تميزيه عن أهل زمانه .

٤ - أذكر ثلاثة من مؤلفاته .

٥ - استعمل الكلمات الآتية في الجمل الإسمية :

نسيج وحده - عفو الساعة - سبع خلون - يتنافسون.
- تلتذ - يُعبِّر .

(٢٨)

دار العلوم ديوبند ومدرسة مظاهر العلوم

(١)

انقرضت دولة المسلمين فى الهند و رسخت قدم الانكليز فى أرضها سنة ١٨٥٧م ، فانبث القسوس والأحبار فى القرى والمدن يدعون الناس إلى النصرانية ، ويناظرون علماء المسلمين بسلطان دولتهم ، ويغرسون فى قلوب العامة الشك والزيغ ، وقام بعض المسلمين الذين دخلهم الرعب يدعون إلى تعلم اللغة الانكليزية وآدابها على علاتها ، ويرون فى ذلك دواءا لكل داء ، وتدرجوا إلى دعوة تقليد الحضارة الغربية ومحاكاة سادة البلاد فى كثير من أخلاقهم و أساليب حياتهم ، فكان المسلمون بين خطرين خطر الارتداد و خطر الالحاد .

و كانت المدارس الدينية و حلقات التدريس التى تخرج منها أئمة و علماء كبار فى احتضار تلفظ نفسها الأخير لعدم حماية الدولة وقلة رغبة الناس فى العلوم الدينية ، وكان كلما تعطلت مدرسة لم تخلفها مدرسة ، وكلما مضى عالم أو أستاذ كبير لم يخلفه آخر ، والمدارس الرسمية تزداد كل يوم عددا وتتمتع بحماية الدولة ومساعدة الجمهور .



دارالعلوم ديوبند

هذا و قد نشط دعاة البدع و الخرافات والمحترفون الذين انتشروا فى القرى و المدن يدعون إلى رسوم الجاهلية و المحدثات ، ويأكلون أموال الناس بالباطل ،

و يصدون عن سبيل الله ، ويضللون العلماء الأخيار ويكفرونهم .

خاف علماء الحق على الدين و على علوم الدين و خافوا على مستقبل الاسلام فى بلاد الهند بعد زوال دولته و حلول دولة الكفار، و رأوا أنهم لا تنجدهم دولة ولا تحميهم قوة ، ولا يملكون أموالا ينفقونها و لا مناصب و وظائف يجذبون الناس إليها ، و إنما هم مستضعفون فى الأرض ."فقراء " ثروتهم العلم ، ورأس مالهم الدين ، و زادهم التوكل ، و سلاحهم الاخلاص ، فقاموا وقالوا ، نبنى معقلا للدين تأوى إليه الشريعة الاسلامية وتلجأ إليها العلوم الدينية .

فى قرية ديوبند من القرى التابعة لمدينة سهارن بور فى مسجد صغير اجتمعت عصابة من أهل الغيرة و الفراسة من العلماء الربانين أكثرهم من تلاميذ بيت الامام ولى الله الدهلوى و أصحاب الشيخ الكبير إمداد الله التهانوى المكى ، على رأسهم الشيخ الكبير مولانا محمد قاسم النانوتوى (م١٢٩٨م) وأسسوا تحت شجرة

رمان هنالك مدرسة دينية ، كان ذلك سنة ١٢٨٣ للهجرة النبوية .

افتتحت المدرسة بمعلم واحد هو الملا محمود الديوبندى وتلميذ واحد وهو الشيخ محمود حسن الديوبندى ، فكان يوما مشهودا محمودا فى تاريخ الهند الدينى .

بدأت المدرسة باعانة فقراء المسلمين و عامتهم و رزقت من أول يومها رجالا عاملين مخلصين وأساتذة خاشعين متقين ، قد تولى الاشراف على شؤونها أمثال العالم الربانى الشيخ الكبير مولانا رشيد أحمد الكنكوهى و الشيخ رفيع الدين الديوبندى ، و المصلح الجليل و المؤلف الكبير الشيخ أشرف على التهانوى ، و تولى رئاسة التدريس فيها أمثال الشيخ الصالح مولانا محمد يعقوب النانوتوى و العالم الربانى الشيخ محمود حسن الديوبندى والعالم الضليع الشيخ أنور شاه الكشميرى ، و المجاهد الشهير مولانا حسين أحمد المدنى ، فسرت روح التقوى و الاحتساب والتواضع

والخدمة فى هذه الدار ، فاذا زارها أحد فى دورها الأول حسب أنه فى زاوية عامرة من زوايا الصوفية .

و لم يزل نطاق المدرسة يتسع وصيتها يذيع و شهرة أساتذتها فى الصلاح و التقوى والتبحر فى علم الحديث والفقه تطير فى العالم حتى أمها الطلبة من أنحاء الهندومن الأقطار الاسلامية الأخرى ، حتى بلغ عددهم فى الزمن الأخير إلى خمس مأة و ألف و زيادة ، وبلغت ميزانيتها إلى ثلاث مأة ألف وخمسين ألف ربية سنويا .

ويقدر عدد الذين اشتغلوا فى هذه المدرسة بالعلم بأكثر من عشرة آلاف ، و الذين نالوا الشهادة منها بنحو خمسة آلاف ، و الذين ارتووا بمناهلها من أهل خارج الهند كياغستان و أفغانستان و خيوا و بخارا و قازان و روسيا و آذر بائيجان ، والمغرب الأقصى وآسيا الصغرى وتبت ، و الصين و جزائر بحر الهند ، والحجاز و العراق والبلاد الشامية واليمن نحو خمسمائة .

و كان للمتخرجين من دار العلوم تأثير كبير فى حياة المسلمين الدينية فى الهند وفضل كبير فى محو

البدع وإزالة المحدثات وإصلاح العقيدة والدعوة إلى الدين واتباع السنة ، ومناظرة أهل الضلال والرد عليهم ، وكانت لبعضهم مواقف محمودة فى السياسة والدفاع عن الوطن ، وكلمة حق عند سلطان جائر .

و لدارالعلوم مكتبة تحتوى على مأة ألف كتاب ، كثير منها مكرر للدرس وفيها عدد من الكتب الخطية .

وشعار دار العلوم التمسك بالدين و التصلب فى المذهب و عدم العدول عنه ، والمحافظة على القديم والدفاع عن السنة ، والانتصار لرهط الامام ولى الله الدهلوى .

وقد تمسكت بالدرس النظامي على علاته ، وعضت عليه بالنواجذ ، وقد بدأت أخيراً دعوة التغيير والإصلاح في منهاج التعليم ، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

❖ الأسئلة :

١ ـ كيف بدأ التعليم في ديوبند ؟

٢ ـ من هو أول معلم و أول تلميذ لدارالعلوم بديوبند ؟

٣ ـ بكم يقدر عدد المتخرجين الذين نالوا الشهادة منها ؟

٤ ـ أذكر شعار دارالعلوم بديوبند .

٥ ـ أعرب الجملة الآتية :

ولدارالعلوم مكتبة كبيرة تحتوي على مائة ألف كتاب .

(٢٩)

دارالعلوم ديوبند و مدرسة مظاهر العلوم

(٢)

و فى نفس سنة ١٢٨٣هـ بعد افتتاح دار العلوم ديوبند ببضعة أشهر افتتح رجال من أهل العلم و الدين (فى مقدمتهم مولانا سعادت على السهارنفورى الفقيه المشهور (م ١٢٨٦هـ) من بقية رهط السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد) مدرسة ثانية فى سهارن فور ، وكان مولانا سعادت على يدرس الطلبة فى بيته ، و كان يتمنى أن تتأسس مدرسة نظامية فى البلد وكثيرا ما كان يتحدث بذلك ، وفى شهر رجب من العام المذكور حقق الله أمنيته ، فقام رجال من أهل الصلاح و العلم من أصدقائه و معارفه فى المدينة وضواحيها ، و افتتحوا مدرسة فى حى من أحياء البلد فى مسجد ،

و ولوا الشيخ سخاوت على الأنبيتهوى التدريس فيهـا ، و بقى مولانا سعادت على يدرس بعض الدروس و يشرف على شؤون المدرسة ، وآل الاشراف على المدرسة بعد وفاته إلى الشيخ فضل الرحمن قاضى البلد .

وفى شوال في العام المذكور تولى رئاسة التدريس الأستاذ الكبير مولانا محمد مظهر النانوتوى ، و به تسمت المدرسة بمظهر العلوم ، و زيدت فيها ألف لتنم عن عام بناء بناية المدرسة الخاصة بها يعنى عام ١٢٩٣هـ على حساب الجمل ، و انتقلت المدرسة فى المسجد إلى هذه البناية فى شوال ، وفى اليوم الثامن من هذا الشهر عقد أصحاب المدرسة حفلة بمناسبة افتتاحها فى بنايتهـا الجديـدة ، خطب فيها الشيخ الكبير مولانا محمد قاسم النانوتوى خطبة رقيقة بليغة استغرقت ثلاث ساعات .

و فى سنة ١٢٩٣هـ أيضا بدأ المحدث الكبير الشيخ أحمـد علـى السهارنفورى صاحب حاشية البخارى الشهيرة يدرس كتب الحديث فى المدرسة و يشرف على

شؤونها ، و بعد وفاة الشيخين أحمد على و سخاوت على (عام ١٢٩٧هـ و ١٣٠٢هـ) تداول التدريس فيها مولانا عبد العلى الميرتهى و مولانا حبيب الرحمن بن الشيخ أحمد على حتى تبوأ رئاسة التدريس الشيخ صالح و الأستاذ الكبير مولانا خليل أحمد الأنبيتهوى صاحب بذل المجهود سنة ١٣١٤هـ فأخذت المدرسة زخرفها وبلغت أوجها فى كثرة الطلبة و انتشار الصيت و انتظام الدروس .



مدرسة مظاهر العلوم

و فى سنة ١٣٢٦هـ جاء الشيخ محمد يحيى الكاندهلوى من أنجب تلاميذ الشيخ الكبير مولانا رشيد أحمد الكنكوهى و المعروف بذكائه و إبداعه فكان

مساعدا للشيخ خليل أحمد رحمه الله .

و فى شوال سنة ١٣٤٤هـ لما رحل الشيخ خليل أحمد إلى الحجاز تولى رئاسة التدريس مولانا عبدالرحمن الكامل فورى والاشراف على المدرسة مولانا عبد اللطيف السهارنفورى ، وتولى تدريس الحديث فيها تلميذ الشيخ خليل أحمد البارع مولانا محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوى صاحب أوجز المسالك .

ولم تزل مدرسة مظاهر العلوم متمتعة من أول يومها بحماية أعلام الهند فى الدين والصلاح ، كالعالم الربانى الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى و الشيخ محمد الياس الكاندهلوى و الشيخ عبد القادر الرائي فورى ، وحازت ثقة المتدينين فكانت تلو معهد ديوبند فى كثرة الطلبة و نبوغ الأساتذة ، وقد خرجت عددا كبيرا من العلماء الصالحين و الرجال العاملين فى ميادين العلم و الدين .

ولعلماء مدرسة مظاهر العلوم آثار جليلة فى شرح كتب الحديث وخدمة هذا الفن الشريف ، من أجلها بذل المجهود فى شرح سنن أبى داؤد للشيخ خليل أحمد ،

وأوجز المسالك فى شرح المؤطا للامام مالك للشيخ محمد زكريا الكاندهلوى.

وتمتاز مدرسة مظاهر العلوم و أساتذتها و طلبتها ببساطة في المعيشة و القناعة بالكفاف و حسن السمت و التواضع و الاقبال الكلى على العلم و الدرس والاشتغال بخاصة النفس .

❖ الأسئلة :

١ ـ من افتتح المدرسة المسماة بمظاهر العلوم بسهارنفور؟

٢ ـ ومن تسمت المدرسة باسمه ؟

٣ ـ علام تدل الألف في " مظاهر" ؟

٤ ـ اذكر الميزات التي تمتاز بها مدرسة مظاهر العلوم ؟

٥ ـ ميّز أقسام الكلمة في العبارة الآتية :

وحازت المدرسة ثقة المتدينين ، فكانت تلو معهد ديوبند في كثرة الطلبة و نبوغ الأساتذة .

(٣٠)

من النجوم إلى الأرض

(١)

درست في المدرسة أمس أن النور يقطع مائة ألف وستة وثمانين ميلا في ثانية ، وأنه يمكن له أن يطوف حول خط الاستواء سبعة أشواط في أقل من ثانية .

وسمعت أن من النجوم ما لا يصل ضوؤه إلى الأرض إلا في ألفى عام ، و منها مالا يصل ضوؤه إلا في أكثر من ذلك ، وأن ضوء بعض النجوم منذ طلعت لا يزال في طريقه إلى الأرض و لما يصل إليها .

لي غرام شديد بالتاريخ ، لا أزال أطالعه برغبة عظيمة ، وأتمثله أمام عيني ، كأن الحوادث واقعة ، والأشخاص أحياء ، ولا أزال أتأسف على ما فاتني من مشاهدة الحوادث في ساعتها ، ومن زيارة رجال من عظماء التاريخ في زمانهم ، ولم أزل من صباي أقول لوالدي وأصدقائي : يا ليتني ولدت في الزمن الماضي ، فشاهدت كذا و كذا من الوقائع ، و زرت فلانا و فلانا من الرجال ، لقد غاب عني طوفان نوح ، و محنة

إبراهيم ، وخروج بني إسرائيل ، وسبقتني بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام بأكثر من ألف عام ، وفاتني عهد الخلافة الراشدة ، وفاتتني حضارة بغداد ، وعهد قرطبة و غرناطة ، و فاتني ، و فاتني ، و فاتني....

وكنت أعد الحوادث الكبيرة ، والرجال العظماء ، وأقول في حزن وأسف : لقد تأخرت كثيرًا ، فليت الزمان يعود ، وليت البشر يستأنفون السفر ، وليت العالم يرجع القهقرى ، وليت التاريخ يرد على أعقابه ، فأشاهد ما مضى ، و أعاشر من سبق .

وكنت أفكر لو كان أحد فوق نجم لا يصل ضوؤه إلى الأرض إلا في آلاف أو مئات من السنين لرأى العالم كما كان قبل آلاف أو مئات من السنين ، وكذلك يمكن أن يطالع أهل النجوم أدوار التاريخ الماضية ، ويشاهدوا الحوادث ، والأشخاص في زمنهم وفي محلهم .

سررت من ذلك جدا ، كأني وجدت ضالتي ، وعرضت هذه الفكرة البديعة على معلم الطبيعيات ، لأني لا آمن على نفسي الخطأ .

قال المعلم : نعم ، إذا فرضنا أن أحدا فوق الشمس ـ وهي تبعد من الأرض ثلاثة وتسعين مليون ميل ـ فإنه يرى في الأرض ما وقع قبل ثماني ثوان فقط ، فإن ضوء الشمس يصل إلى الأرض في ثماني ثوان .

وهكذا نتدرج ونقول : من كان فوق النجوم العالية التي يصل ضوؤها إلى الأرض في آلاف من السنين ، لكانوا يرون حوادث قبل التاريخ ، وما وقع قبل آلاف من السنين .

لم أزل أفكر في ارتفاع النجوم وبعدها عن الأرض ، و مطالعة أهلها لما وقع في الأرض ، حتى لم أشعر إلا و أني في مكان أطالع فيه الأرض بمكبرة كبيرة .

فإذا بي أرى الأرض غير الأرض التي كنت أعرفها ، والناس غير الذين عهدتهم ؛ أرى المساجد عامرة غاصة بالمصلين ، وأرى الحدود قائمة ، وأحكام الشرع نافذة ، وأجيل مكبرتي ، وأنظر من خلالها ، فلا أرى فجورا ، ولا دعارة ، ولا سكرا ، ولا قمارا .

واطلعت على بقعة فيها نخل كثير ، ومسجد بسيط ، قد غشيته سحابة من النور والبركة ، وعرفت

أنها مدينة الرسول ﷺ ، ورأيت بيوتا متواضعة ، قد بني أكثرها من اللبن ، ولكني رأيت هنالك سفراء الدول الكبيرة ، وأبناء ملوك قد أسلموا ، فعرفت أن هذه المدينة الصغيرة مع بساطتها تحكم العالم ، ويجيئ إليها خراج إيران و رومة .

وبحثت في هذه المدينة فلم أجد فيها محكمة ، ولا سجنا ، فقلت في نفسي : فأين يذهب المتخاصمون ؟ وأين يحبس المجرمون ؟ فإذا بي أرى رجلا جالسا في مسجد الرسول في ثياب مرقوعة ، ألقيت عليه مهابة وجلال ، قد حضر لديه خصمان ، ورفعا إليه القضية في بساطة الأعراب ، وقالا :خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط .

سمع الرجل القضية في هدوء و تأن ، وقال للمدعي "البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر" فهل عندك بينة أو أستحلف الرجل ؟ " وقدم الرجل شهودا عدولا ، فقضى له ، وانفصلت القضية في ساعة ،

وقام الفريقان ورضيا بحكم الشرع ، فقلت : ولا يحتاج هؤلاء إلى محكمة ومحامين .

ورأيت أبواب البيوت في الليل مفتوحة ، ورأيت بيت المال وقد أتى إليه خراج إيران في ذلك اليوم ، ليس له حارس ، ولا شرطة ، وقد جاء تاج كسرى وهو يساوي مئات آلاف من الدنانير ، وقد وقع إلى جندي حقير ، فأداه إلى أمير الجند ، وأرسله أمير الجند إلى الخليفة ، وجاء بعض السراق وسرقوا : فقطعت يدهم ، فقلت : لا يحتاج هؤلاء إلى سجن أو محبس .

وأشرفت على بيوتهم فوجدت معيشة صافية ، وحياة راضية لا يكدرها حسد ، ولا بغضاء ، ولا طمع ، ولا جشع ، يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ويهدي جار إلى جار فتدور الهدية على الحي ، وترجع إلى صاحبها الأول ، لا يأكل فيهم القوي الضعيف ، ولا يظلم الكبير منهم الصغير ، يحنو عليهم الخليفة والأمراء ، فهم لهم كالآباء ، ويطيعهم العامة ، ويوقرونهم ، وينصحون لهم ، فهم لهم كالأبناء ، ويتناصحون بينهم ، فهم إخوة .

واطلعت على ثكناتهم – وسمعت أن الجند أفسد الناس أخلاقا ، وأبعدهم عن الدين والفضيلة في كل زمان ـ فوجدتهم بالليل رهبانا ، لهم دوي كدوي النحل ، وأما بالنهار ففرسان يثقفون القنا ، ويريشون النبل ، يوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن ، ولا يدخلون إلا بسلام ، ويعفون عن المحارم ، ويغضون البصر ، فقلت : إذا كان الجند فيهم هكذا فكيف بالعباد الزهاد ؟!

قلت لعل هذا دور الخلافة الراشدة ، وصدقت ما قرأت في التاريخ ، وقلت : ذلك قليل من كثير ..

(٣١)

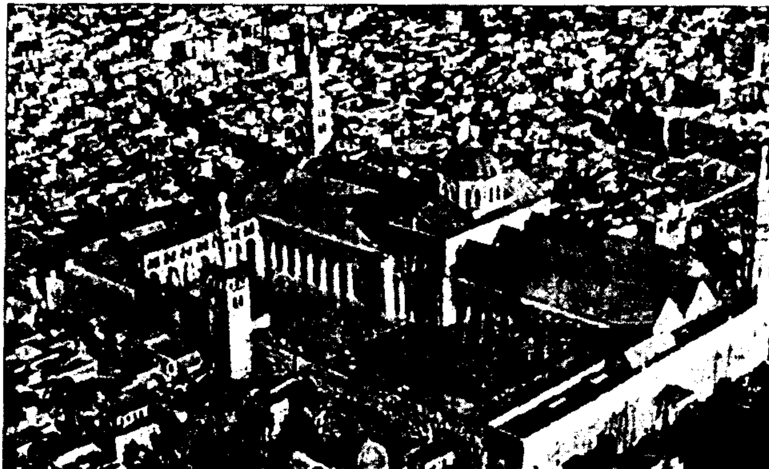
من النجوم إلى الأرض

(٢)

ونزلت أسفل من ذلك المكان فرأيت الأمور قد تغيرت ، وأن العاصمة قد تحولت من المدينة ـ على ساكنها ألف ألف سلام ـ إلى " دمشق الشام " ، فإذا قصور عالية قد علقت على أبوابها ستور جميلة ،

وكسيت جدرانها بثياب فاخرة ، وإذا مساجد شامخة تناطح مناراتها السماء، وهي عامرة بالمصلين ، ورأيت فيها حلقات الدرس ، ومجالس العلم ، وهي غاصة بطلبة علم الدين ، والشيوخ يحدثون عن النبي الكريم والناس يكتبون ويحفظون .

ورأيت الناس أنواعا ، منهم الزهاد ، والعباد ، وطلبة العلم ، ومنهم المترفون ، ورأيت آثار الحرية والترف ، ورأيت الناس طبقات في الغني والثروة والجاه والشرف ،



منظر عمومى لدمشق الشام

فهذا ابن الخليفة في زهوه وخيلائه ، وذلك عامل العراق في خدمه وحشمه ، وهذا سوقي ، وذلك شريف .

ورأيت بعض الحدود قائمة ، وبعض احكام الشرع نافذة ، ورأيت العلماء وأهل الدين يحتسبون على الناس متطوعين ، فيخضعون لهم ، ويستسلمون ، ورأيت الناس غير مجاهرين بالفسق ، غيرمصرين على المعصية ، يحتشمون أهل الدين والعلم .

ورأيت الخليفة والأمير مع ترفه يصلي بالناس ، ويخطب فيهم ، ويجلس لهم ، ورأيت المدينة عربية ، فالخلفاء يصلون الشعراء بجوائز كبيرة ، وينحرون جزورا ، ويطعمون الناس ، ورأيت دولة المسلمين قد اتسعت حتى امتدت إلى حدود " الهند" في جانب ، وإلى ساحل البحر الأطلانتيكي في جانب آخر ، لا تقطع في أقل من خمسة أشهر على أسرع جمل .

فقلت : لعل هذا عصر الأمويين ، ولعلي في نهاية القرن الأول .

ثم انحدرت إلى أسفل ، فرأيت مدينة حديثة على ضفتي دجلة ، ورأيت مدينة خليطا ، فيها صور عربية ، وفيها صور عجمية ، والناس أخلاط فيهم العرب ، وفيهم الفرس ، وفيهم أهل الهند ، وكثير منهم الترك ،

ورأيت قصر الخليفة مثل قصور ملوك العجم يحرسه الترك ، وكذلك قصور الوزراء والأمراء ، ورأيتهم يخرجون في مواكب ملوكية في أبهة عظيمة .



ناحية من نواحي جامع أندلس قرطبة

ورأيت بعض الناس يربون الحمام ، ويشترونه بأثمان غالية ، ويتهارشون بالديوك والكلاب ، ورأيت أنواع اللهو واللعب ، فقلت: جاء هذا من كثرة الأموال ، واختلاط الأعاجم .

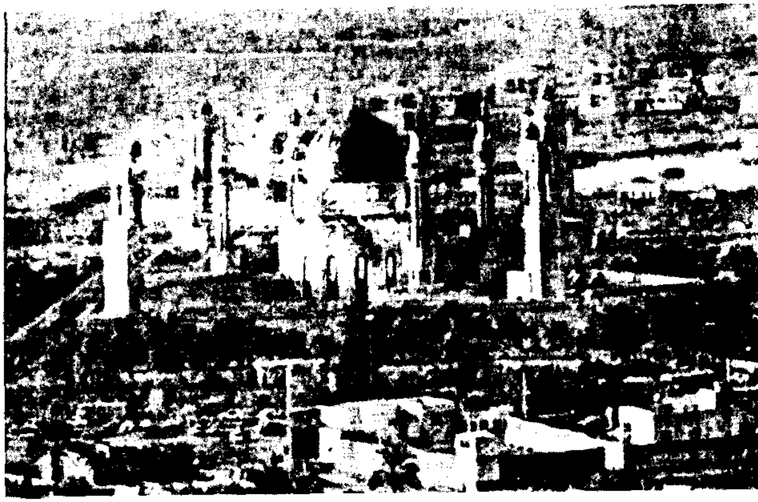
ورأيت القضاة وقاضي القضاة قد ازدحم عليه المتظلمون ، وهو يقضي بينهم ، وقد تأخذ قضية أياما .

ورأيت السجون قد غصت بالمجرمين ، واللصوص ، والشطار .

ورأيت كذلك مساجد مزدحمة بالمصلين ، ومدارس غاصة بطلبة علوم الدين ، ومجالس الوعظ عامرة بالمستمعين ، ورأيت الناس يجزون نواصيهم ويخرون مغشيا عليهم ، ويتوبون عن المنكرات ، ويسلم كثير من أهل الذمة كل جمعة ، فقلت : إن الناس لم يفقدوا قلوبهم ، وإن الدين لايزال له سلطان على القلب والروح .

ورأيت كذلك رجالا منقطعين عن الدنيا ، معرضين عن الملوك وجوائزهم وصلاتهم ، يأتي إليهم الناس من "خراسان" و "الهند" ويستفيدون ، وتأتيهم الدنيا راغمة ، ويأتيهم الملوك والأمراء صاغرين ، فرأيت دولة دينية تزاحم الدولة المادية ، وتفوقها في العزة والسلطان .

ورأيت أكبر دولة على وجه الأرض ينظر ملكها أو الخليفة – كما يقول الناس في تلك البلاد – إلى سحابة فيقول : " أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك " .



منظر عمومى لمدينة بغداد

فقلت : هذه بغداد عاصمة العباسية ، ولعلي في القرن الثالث .

وحانت مني التفاتة إلى خليج جبل الطارق ، فرأيت على ضفته مدينة زاخرة العمران ، شامخة البنيان ، ورأيت فيها قصورا متسقة ، وحدائق متناسبة ، وشوارع مرصوفة ، وعيونا متدفقة ، وجسورا منصوبة ، ومساجد مزخرفة ، ومدارس مشيدة ، فتذكرت ما قرأت في التاريخ عن مدينة قرطبة ، وعرفت أن مساحتها ستة عشر ميلا في الطول ، وستة أميال في العرض ، وأن فيها مئة ألف وثلاثة عشر ألفا من القصور والمنازل ، وثمانون

ألفا وأربعمئة من الدكاكين ، وسبعمئة من المساجد ، وتسعمئة حمام ، و أربعة آلاف و ثلاث مائة مخزن ، وإحصاء المدينة يربو على مليون .

ورأيت في المدينة متنزهات فسيحة ، وحدائق ذات بهجة ، وطرقا وشوارع بالحجر ، وسرادقات منصوبة يأوي إليها الغرباء ، و الباعة ، و السابلة في الحر والشمس ، ورأيت الأسواق مشحونة بالمتاجر والسلع الغالية ، التي جلبت من بلاد بعيدة ، ورأيت رباطات للجوابين والتجار .

ورأيت بجنب مدينة قرطبة مدينة صغيرة ما رأيت أجمل منها على وجه الأرض ، فقلت : لعلها مدينة الزهراء المعروفة في التاريخ ، وأنا في القرن الرابع ، وهذه أيام ملك الأندلس عبد الرحمن الناصر ، أو ابنه حكم الثاني .

(٣٢)

من النجوم إلى الأرض

(٣)

وصرفت نظري من الغرب إلى الشرق ، فرأيت دولة قوية واسعة ، قاعدتها " نيسابور " تحكم "خراسان " و "العراق " و"إيران " و يتحكم ملوكها في "بغداد " وينصبون ويعزلون ، ويغزو ملكها الب أرسلان الأفرنج في ديارهم ، ويأسر ملكهم النصراني ، ويضرب عليهم الجزية ، و قد بلغت هذه الدولة أوجها في عهد ملك شاه ، و وزيره الفاضل نظام الملك الطوسي ، فرأيت المدرسة النظامية في "بغداد " عامرة آهلة ، يدرس فيها مثل الإمام أبي حامد الغزالي ، وتنفق عليها الدولة السلجوقية ، و رأيت شقيقتها المدرسة النظامية في "نيسابور "يدرس فيها مثل إمام الحرمين الجويني ، فقرت بذلك عيناي ، ودعوت للدولة السلجوقية ، وملكها ، ووزيرها .

وما لبثت أن رأيت الأفرنج يحملون الصلبان ، ويغيرون على البلاد الإسلامية ، ورأيتهم من كل حدب

ينسلون ، وقد جن جنونهم ، حتى سافر الوف من الأطفال والغلمان من بلاد الأفرنج ليفتحوا القدس ، وقد غرق أكثرهم في الطريق ، وماتوا ، ورأيت ملوك أوربا قد أخذوا القدس ، ووضعوا في المسلمين السيف ، حتى سالت بدمائهم سكك مدينة القدس ، وزلقت فيها الخيل ، وأخذوا أكثر مدن " سورية " و "فلسطين " وهددوا مصر والعراق ، وطمعوا في الحجاز ، وبلغت بهم الجراءة والوقاحة أن حلف منهم أمير على إهانة الجسد الطاهر الدفين في المدينة ، عليه ألف ألف سلام .

رأيت كل ذلك . والتفت إلى االدولة السلجوقية في "نيسابور" وقلت : أين ملوكها الذين كانوا يغزون الأفرنج ، ويهزمونهم مرة بعد أخرى ، فإذا هي قد انقرضت سنة (٥٣٢) والتفت إلى المسلمين فرأيتهم في لهو ولعب ، وفي غزو ونهب ، بأسهم بينهم شديد .

و رأيت الناس والملوك والوزراء والعلماء في شغل عن الأفرنج ، فخفت على الإسلام ، وقلت:على الدين السلام .

وإذا بالسلطان نور الدين الزنكي ، والسلطان صلاح الدين الأيوبي وقد نزلا بالأفرنج ، وقارعاهم قراعا شديدا ، ولم يزل صلاح الدين يضرب الحديد بالحديد حتى هزم الأفرنج في طبرية شر هزيمة ، ودعا بالبرنس الذي حلف على إهانة جسد رسول الله ﷺ، وضرب رأسه بيده قائلا : اليوم أنتصر لمحمد .

وانتزع القدس والمدن الشامية من أيدي النصارى ، وبيض وجه المسلمين في العالم ، وكان فتحا تضاءلت أمامه الفتوح ، وأثنى عليه الملائكة والروح ، وقال قائل من المسلمين :

هذا الذي كانت الأيام تنتظر
فليوف لله أقوام بما نذروا

ثم انحدرت إلى أسفل ، فرأيت أن بغداد التي زرتها قبل دقائق ، قد زحف إليها جراد من التتر ، فخربها تخريبا ، وفجروا من دماء أهلها أنهارا ، ورفعوا من رؤوسهم منارا ، وقتلوا الخليفة المستعصم شر قتلة ، ورموا بالكتب النفيسة في ماء دجلة ، فاسود تارة بسوادها ، واحمر تارة بدماء اهلها ، ولولا أني أعرف

مكانها على شاطىء دجلة لأنكرت هيئتها ، ولم أعد أعرفها .

ورأيت التتر جراداً منتشرا في العالم الإسلامي ، وقد خربوا المدن الإسلامية الكبرى ، وعواصم الشرق ، نقضوا بناياتها ، وخربوا مساجدها ، وأحرقوا دورها ، وذبحوا أهلها ، ومزقوا دولة خوارزم شاه في خراسان ، وقضوا على الخلافة العباسية في العراق ، واستشعر المسلمون الخوف والجبن حتى صاروا لا يصدقون بهزيمة التتار ، واشتهر على ألسنتهم ، إذا قيل لك : إن التتر انهزموا فلا تصدق .

وخفت على الإسلام مرة ثانية ، وقلت: لعل هذه آخر ساعة من ساعاته ، وإذا بي أرى التتر يدخلون في الإسلام أفواجا ، وإذا بفاتح المسلمين يعود مفتوحا للإسلام ، فعرفت أن هذا الدين خالد ، وأنه يقهر كل قاهر .

ولكن ضعف أمر المسلمين ، وساد الجمود والخمود في أنحاء العالم الإسلامي ، ولم أر شيئا يقر العين ، ويشرح الصدر ، ويبعث الأمل في النفس ، إلا أني رأيت في

آسيا الصغرى جمرة من حياة ، وآية من نشاط ، فقد أسس الغازي عثمان خان دولة مستقلة ، وكان لهذه الدولة الفتاة مستقبل عظيم ، وقد فتح شبلها الغازي محمد الثاني القسطنطينية عاصمة العالم النصراني سنة (٨٥٨هـ) اتخذها قاعدة ملكه ، وخلفه ملوك عظام توغلوا في أوربا ، وقهروا الأمم النصرانية .

هنالك التفت إلى بلاد " الأندلس " مرة ثانية ، فرأيت قرطبة وما جاورها من البلدان الإسلامية قد خرجت من أيدي المسلمين ، وإذا المساجد قد عادت كنائس للنصارى ، يرن فيها الناقوس ، و إذا وجوه عربية ؛ ودين نصراني ، وحضارة شبه عربية ، وحياة جاهلية ، فاسترجعت ، وبكيت .

وسرحت طرفي في جزيرة الأندلس ، فرأيت غرناطة العربية الإسلامية كأنها جزيرة الإسلام في بحر الكفر والظلمات ، وما لبثت أن غمرها الماء أيضا ، واستولى عليها الملك النصراني " فردنند" وملكتها إزابلا ، ورأيت أبا عبد الله آخر ملوك بني الأحمر يسلمها مفاتيح ملكه ويلقي على غرناطة و قصر الحمراء نظرة الوداع ،

ويبكي، ويرحل إلى مراكش.

وما لبثت أن رأيت البلاد الأندلسية الإسلامية تحول نصرانية، والأمة العربية تجبر على الارتداد. رأيت مساجد تهدم، أو تحول كنائس، ومدارس تعطل، ومكاتب تحرق، وقبورا تنسف، وأجسادا تنبش، وأحياءا يحرقون، ويشنقون، وما لبثت البلاد التي حكم فيها الإسلام ثمانية قرون أن أصبحت نصرانية ليس فيها أحد يلفظ بكلمة الإسلام، ويؤمن بمحمد عليه السلام.

راعني هذا المنظر، وفزعت منه، فإذا أنا على فراشي، وقلت: لعل الله أراد بي خيرا، فقد أراني أطوار العالم الإسلامي، وألوان المسلمين، أراني عهد الخلافة الراشدة، ثم أراني انحطاط المسلمين، وأراني كيف يسلم الكافر، ويخضع القاهر، وكيف يرتد المسلم، وتتنصر البلاد الإسلامية بغفلة المسلمين، وسوء سيرتهم.

وقمت وقد آليت على نفسي أن أكون جنديا للإسلام، مرابطا على ثغوره، وألا تعود حادثة الأندلس في العالم الإسلامي.

❖الأسئلة :

(١) لِمَ لَمْ يحتج المجتمع الإسلامي الأول إلى سجن يوضع فيه السارقون ؟

(٢)كيف كانت العلاقات الاجتماعية بين الناس عند السلف الصالح ؟

(٣)ما صفات الجند في الإسلام ؟

(٤) اذكر أسماء بعض الأعداء الذين حاربوا المسلمين ، وعادَوا الحضارة العربية ؟

(٥)من حررالقدس من سيطرة الصليبيين ؟

❖اكتب أمام كل كلمة مما يلي كلمة واحدة تفيد عكس معناها :

- نام	عكسها	استيقظ
- الشقاء	عكسها	. . . .
- الذكاء	عكسها	. . . .
- الضحك	عكسها	. . . .

(٣٣)

رثاء الاندلس

لكل شيئ إذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان
هى الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لاتبقى على أحد
ولايدوم على حال لها شان
فجائع الدهر أنواع منوعة
وللزمان مسرات و أحزان
وللحوادث سلوان يسهلها
وما لما حل بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لاعزاء لها
أهوى له أحد والنهد ثهلان
أصابها العين فى الاسلام فارتزأت
حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ما شأن مرسية
وأين شاطبة أم أين جيان

وأيـــن قرطبـة دارالـعلـوم فـكـم
من عالـم قد نما فيها له شـأن
وأين حـمص ومـا تـحويـه من نـزه
ونهـرها العـذب فياض وملآن
نبكى الحنيفية البيضاءمن أسف
كما بكى لفراق الإلف هيمان
علـــى ديار مـن الاســلام خالـيـة
قد أقفرت ولها بالكفـر عمـران
حيث المساجد قدصارت كنائس ما
فيهـن إلا نواقيس وصلبـــان
حتى المحاريب تبكى وهى جامدة
حتى المنابـر ترثى وهـى عيدان
مـاشيـا مــرحـا يلـهيه موطنــه
أبعد حمص تغر المرء أوطـان
تلك المصيبـة أنـست ما تقـدمهـا
ومـا لها مع طول الدهر نسيان
أعنـدكـم نبـأ مــن أهـل أنـدلـس
فقدسرى بحديث القوم ركبان

كم يستغيث بنا المستضفون وهم
قتلى و أسرى فما يهتز إنسان
ما ذا التقاطع فى الاسلام بينكم
وأنتـــم يـا عبـاد الله إخـوان
ألا نفــوس أبيـــات لهـا هــمم
أما على الخير أنصار و أعوان
يـامـن لذلـة قـوم بعـد عزهـم
أحال حـولهـم جـور وطغيـان
بالأمس كانوا ملوكا فى منازلهم
واليوم هم فى بلادالكفر عبدان
فلو تراهـم حيـارى لا دليل لهـم
عليهـم فى ثيـاب الذل ألـوان
ولو رأيت بكـاهـم عنـد بيعتهـم
لهالك الأمرواستهوتك أحزان
يارب أم و طفـل حيـل بينهمـا
كمـا تفـرق أرواح وأبـدان
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت
كأنما هـى ياقـوت ومـرجـان

يقودها العلج للمكـروه مـكرهــة

والعين باكية و القلب حيران

لمثل هذا يذوب القـلب مـن كمـد

إن كان فى القلب إسلام وإيمان

(صالح بن شريف الرندى)

الأسئلة :

١ ـ ما المراد من الجزيرة و ما دهاها ؟

٢ ـ ما هي الحنيفية البيضاء و ما بكاؤها ؟

٣ ـ ماذا يقصد الشاعر بقوله : بالأمس واليوم ؟

٤ ـ هل يكون للذل أثواب و لها ألوان ؟

٥ ـ شكّل جزء البيت الأول من آخر القصيدة :

لمثل هذا يذوب القلب من كمد

إن كان في القلب إسلام و إيمان

(٣٤)

ندوة العلماء

صارت قيادة المسلمين فى القرون المتأخرة إلى أناس لم يكونوا جامعين بين الدين و الدنيا ، فحدث فى الاسلام بدعة فصل الدين و الدنيا ، فاستبد الملوك بدنياهم وانقطع العلماء بدينهم ، ويقى العامة لا قائد لهم و لا رائد ، و صار الاسلام كالنصرانية ، عرش و كنيسة ولكل رجال، و قيصر و الاله و لكل نصيب ، ولكن عرش بدون قوائم ، وكنيسة بغير حراس .



دارالعلوم ندوة العلماء

ولما طال بعد العلماء عن الحياة صاروا أجانب عن الحياة و عن الدين و عن السياسة ، حتى إذا تدخلوا فى شأن من شئونها كان ذلك حجة لأهل الدنيا على أهل الدين ، لعدم خبرة العلماء و قلة مهارتهم فى شئون الحياة و علوم العصر .

وتشاغل العلماء بعلوم ليس لها دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ، و بمسائل لا تجدى نفعا ، تشاغلوا فى الزمن الأخير بالجدل والشقاق و التكفير و التضليل ، وصاروا يجاهدون فى غير جهاد ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، فكم سالت دماء، وكم جرت محاكمات لأجل مسائل فقهية فى محاكم الكفار ، وكم وقع من إهانات ذلت لها رقبة المسلمين فى الهند .

استولت أوربا على الأرض ، و كانت كما وصف الله سبحانه وتعالى "من كل حدب ينسلون " فهجمت على الاسلام من طريق العقل و النقل و الفلسفة و الحكمة والتاريخ و الأدب ، ومن طريق السياسة و باسم الحضارة و الثقافة ، وعجزت الآلات التى حارب بها

أسلافنا علوم اليونان عن مقاومة العلوم الغربية ، فاقتضى الحال أن يجدد علماء الاسلام آلات الدفاع عن الاسلام ويحدثون آلات أخرى للهجوم على العدو .

هذا والمسلمون فى الهند بين طائفتين ، طائفة قد آمنت بالعلوم الغربية بالغيب و آمنت بعصمة الغربيين فى علومهم و بسيادتهم و إمامتهم فى كل شيئ ، و دعت إلى قبول نظامهم فى التعليم على علاته ، و طائفة قد آمنت بعصمة العلماء المتأخرين فى منهاج درسهم وترتيبهم للكتب ، لا يرون عنه بدلا ولا يجدون عنه محيصا ، و يرون العدول عنه فى شيئ ضربا من التحريف و نوعا من البدع ، فكاد الدين و كاد العلم يضيع بين جاحد و جامد .

أدرك هذا الخطر رجال من أهل الدين المتين و العلم الراسخ و النظر الثاقب ، في مقدمتهم العالم الكبير و الشيخ الصالح مولانا السيد محمد على المونكيرى رحمة الله عليه ، وكثير من أصحاب الشيخ الكبير مولانا فضل الرحمن الكنج مرادآبادى قدس الله

سره ، وتلاميذ الأستاذ الكبير مولانا لطف الله العليغرهى ، ينتهى نسبهم العلى إلى بيت الشيخ ولى الله الدهلوى ، و اجتمعوا وشاوروا فى الأمر ، وكانوا قد اجتمعوا فى حفلة مدرسة " فيض عام " فى كانفور التى أسسها المفتى عنايت أحمد (م١٢٧٩هـ) أستاذ الشيخ لطف الله .

اجتمعوا فى هذه الحفلة سنة ١٣١٠هـ وبحثوا فى مسائل التعليم الدينى و مستقبل المدارس العربية و شئون المسلمين الاجتماعبة و الخلقية ، و صحت عزيمتهم على تأسيس جميعة دينية علمية تعنى بمسألة التعليم الدينى و إصلاح المسلمين الاجتماعى الخلقي ، و الجمع بين طبقات المسلمين عامة و طبقات العلماء و أحزابهم خاصة .

أسس هؤلاء العلماء ـ وهم نخبة علماء الهند ـ جميعة باسم " ندوة العلماء " و عقدوا حفلتها الأولى فى كانفور سنة ١٣١١هـ تحت رئاسة الأستاذ الأكبر الشيخ لطف الله العليغرى ، وأرسلوا دعوتهم إلى جمع كلمة العلماء و رفع الشقاق و النزاع من بينهم ،

و إصلاح المدارس القديمة و التغيير اللائق فى منهاج المدارس .

اجتهد أعضاء الندوة فى ذلك واجتمعوا و تشاوروا و كاتبوا و أرسلوا و خطبوا و كتبوا فى هذا الموضوع ، و لكن علموا بعد الاختبار أن ذلك لا يتم إلا إذا أسسوا مدرسة خاصة تكون مثلا عمليا للمدارس الأخرى .

فأسسوا فى لكهنؤ عاصمة الولاية الشمالية فى الهند ـ على دعوة السرى المخلص الشيخ أطهر على الكاكوروى (م١٣٢٦هـ) دفين البقيع ـ مدرسة دينية عربية هى دارالعلوم التابعة لندوة العلماء ، و كان ذلك سنة ١٣١٢هـ ، تولى إدارتها و الإشراف على شئون مدرستها رجال يمتازون بمتانة فى الدين مع تسامح فى الخلافيات و الفروع ، و رسوخ فى علوم الدين مع اطلاع واسع على شئون العصر ، و محافظة على الشرع و التقوى مع حب الجمع بين طبقات الأمة ، و هم من بيوتات علم و دين ، فكان مولانا السيد محمد على المونغيرى (م١٣٤٦هـ) خليفة الشيخ الكبير مولانا فضل الرحمن الكنج مرادآبادى أول مدير لندوة العلماء ،

وخلفه مولانامسيح الزمان الشاهجهانفورى (م١٣٣١هـ) أستاذ سمو نظام حيدر آباد السابق ، و خلفه مولانا خليل الرحمن السهارنفورى (م١٣٥٥هـ) ابن المحدث الكبير مولانا أحمد على السهارنفورى صاحب حاشية البخارى ، وخلفه مولانا السيد عبدالحى الحسنى (م١٣٤٢هـ) صاحب نزهة الخواطر و المؤلفات العربية الجليلة من بيت السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد ، و خلفه مولانا السيد على حسن خان (م١٣٥٥هـ) نجل الأمير المؤلف الكبير السيد صديق حسن خان ملك بهوفال ، وخلفه الأستاذ الدكتور السيد عبد العلى الحسنى نجل مولانا السيد عبد الحى مدير ندوة العلماء الأسبق .

وكان الاشراف على شئونها التعليمية إلى الاستاذ الكبير و المؤرخ الشهير الشيخ شبلى النعمانى (م١٣٣٢هـ) ثم إلى تلميذه النابغ الأستاذ السيد سليمان الندوى .

تمتعت الندوه بحماية كبار الصالحين و رجال العلم والدين من أول يومها ، كمولانا ظهور الاسلام الفتح فورى ، و مولانا نور محمد الفنجابى ، و مولانا

تجمل حسين البهارى من كبار أصحاب الشيخ سليمان الفلواروى ، والسرى الفاضل مولانا حبيب الرحمن الشروانى رئيس الشئون الدينية في إمارة حيدر آباد سابقا من اقدم أعضاء الندوة و من كبار حملتها ، و الشيخ رحيم بخش وصي إمارة بهاول فور سابقا ، و العلامة عبد الحق الحقانى صاحب التفسير المشهور ، و الشيخ سليمان المنصور فورى ، و المنشى احتشام على الكاكوروى وغيرهم .

وتولى التدريس فى دارالعلوم علماء كبار من مشاهير علماء الهند و خارجها ، كالشيخ محمد فاروق الجرياكوتى و الشيخ عبد الله آلتونكى و الشيخ محمد طيب المكي والشيخ شير علي الحيدرآبادي والشيخ محمد بن الحسين اليمانى و الشيخ أمير على اللكهنوى ، و الشيخ حفيظ الله البندولى ، و الشيخ شبلى الأعظمي ، والشيخ حيدر حسين خان التونكى ، و الشيخ تقى الدين الهلالى المراكشى .

تأسست ندوة العلماء على مبدأ التغيير والاصلاح فى نظام التعليم الدينى و فى منهاج الدرس العربى ،

فحذفت و زادت و غيرت وأصلحت فى منهاج التعليم .

حذفت المقدار الزائد من كتب المنطق و الفلسفة اليونانيـــة التي ضعفت الحاجـــة إليها في هذا العصر ، و أعطت القرآن حقه من العناية فقررت درس متنه الشريف حرفاً حرفاً لغة و نحواً و أدباً و اجتماعاً وفقهاً و كلاماً ، هذا ماعدا التفاسير المقررة في الصفوف العالية ، و ألزمت تدريس القرآن والحديث بالتدريج في سنيها التعليمية.

زادت مقدار دراسة اللغة العربية و آدابها ، لأن اللغة العربية و الأدب العربي مفتاح كنوز الكتاب والسنة والرابطة الأدبية في الشعوب الإسلامية ، ووجهت عنايتها إلى تعليم اللغة العربية كلغة من لغات البشر و كلغة حية يكتب بها و يخطب ، لا كلغة أثرية عتيقة ميتة ، و ألفت لذلك كتباً تساعد على ذلك ، و قد أقر الناس بفضل الندوة في هذه الناحية .

قررت تدريس اللغة و بعض العلوم العصرية كالجغرافية و التاريخ و العلـوم الرياضية و السياسـة وعلم الاقتصاد ، ليطلع العلماء على مقتضيات العصر ،

و يتسلحوا بالأسلحة الجديدة للدفاع عن الدين .

أنست ما كان بين أهل المذاهب و الطوائف الفقهية كالحنفية والشافعية و أهل الحديث من المشاجرات و دواعي العصبية و نجحت في ذلك نجاحاً تاماً فلا تشم في دارها رائحة الخلاف و الحقد المذهبي وترى الطلبة من كل مذهب إخواناً متقابلين في قاعة درسهم و دار إقامتهم جنباً بجنب .

مبدء الندوة وشعارها أن تخرج من مدرستها رجالا مبشرين بالدين القديم لأهل العصر الجديد ، شارحين الشريعة الإسلامية بلغة يفهموا أهل العصر و بأسلوب يستهوي القلوب أمة وسطاً بين الجامدين والجاحدين .

و قد أنجبت في مدة قليلة رجالا هم خير مثل للعالم المسلم العصري الذين قد قامت بهم حجة العلوم الإسلامية على أهل العصر الجديد ، و رفعوا رأس علماء الدين عالياً بين طبقات المتعلمين ، و لهم آثار جميلة خالدة في الأدب الإسلامي و علم التوحيد لأهل العصر الجديد ، و السيرة النبوية والتاريخ ككتاب " سيرة النبي " في ستة مجلدات كبار و هي موسوعة إسلامية

و أكبر كتاب ألف في السيرة النبوية و مهمات الدين في هذا العصر للشيخ سليمان الندوي ، و كتب في تراجم الصحابة و سيرهم للمتخرجين من دارالعلوم ، و رسالة قيمة في الدين و العلوم العقلية للأستاذ عبد الباري الندوي ، إلى غير ذلك من الكتب والرسائل .

و قد أنشأ المتخرجون من الندوة جمعية دارالمصنفين في أعظم جراه ، وهي من المؤسسات العلمية الكبيرة في الهند تصدر مجلة علمية راقية شهرية باسم " معارف " .

و لدارالعلوم بناية عظيمة على شاطئ نهر كومتي في مدينة لكهنؤ ، و مكتبة كبيرة تحتوي على ٥٠ ألف كتاب أكثرها غير مكرر و ١٨٠٠ من الكتب الخطية النادرة و دار لإقامة الطلبة و مسجد جميل .

❖ الأسئلة :

١ ـ اين تأسست دارالعلوم ندوة العلماء ؟

٢ ـ اذكر أسماء طليعة المؤسسين لها ؟

٣ ـ في اي عام و في أي مدينة عقدت الحفلة الأولى لجمعية ندوة العلماء ؟

٤ - اذكر أسماء أوائل رؤسائها والمشرفين على شئونها التعليمية ؟

٥ - ما هو المبدأ الذي قامت عليه دارالعلوم ندوة العلماء ؟

٦ - أين يقع مقر دارالعلوم ندوة العلماء من مدينة لكناؤ؟

٧ - كم كتابا تحتوي مكتبة ندوالعلماء ؟

٨ - من كتب هذا المقال؟ وماذا تعرف عنه ؟ صفه في سطور .

(٣٥)

علي لسان الندوة

عفـي ديار علـوم الـدين قـاطبـة

نسج الدبور وأرياح جرت نقما

يـاللمـدارس أضحـت وهـي دارسة

ياللمكاتب تبكي العلم والعلما

أمـا سمعتـم بكـياها وهـي صارخة

صراخ ثكلي على مولودها اخترما

وارحـمتـاه لأرض الـديـن ينقصهـا

ريـب المنون ممدا سيلها العرما

وارحـمتـاه لـديـن قـل عصبتـه

من كل حام حماه راسخ قدما

وارحـــمتــــاه لـــديـــن قـــــل نادبــــه

وللـرجــال و واسيفـاه وا قلمـا

ياللبقيةصونوا الـديـن تنتصروا

يصونكـم ويردالمجد والحشمـا

إنـــي محـــذركم من وقـع واقعـة

يمسي الوليد لديها هيبة هرما

الا خذوا حـذركم في كل آونة

فما اتقى النار إلا كيس حزما

ووثقوا عروة الاسلام أوهنها

تفرق فيكـم قد حـل مخترما

هـذى اختلافاتكم كم شخصت بكم

وسفهت عرب الاسلام والعجما

الـــيس أكمـل هـذا الدين ربكـم

أمـاأتـم عليكم فضلـه النعمـا

ياليت شعرى ففيما ذا اختصامكـم

وما الذى بعده ترضونه حكما

كم ذى الفتاوى وكم تكفيرإخوتكم

كم ذاالتشـاتم واذلاه واندما

هــذا الـذى فتـر الأسـلام نهضتــه

هذا الذى قصرالأعزام والهمما

الله الله كونـوا أصـدقـاء، كمـا

كانت معاشرة الاسلاف والقدما

الله الله إن كنتـــم لهــم خلفــاً

فتابعوهم مع الاحسان لا جرما

وثقفــوا أود الأحــداث تـــربيـــة

وعلموهم علوم الدين والحكمـا

ضيعتموهم إذا الأقـوام غيـركـم

حازوا الفنون وفاقوا في النهي أمما

غـدا سُئـل كــل عــن رعيتـــه

فما جوابكم يا معشر العلما ؟ !

(احمد بن عبدالقادر الكوكنى م ١٣٢٠م)

❖الأسئلة :

١ ـ كيـف كـان وضـع المدارس عنـدما أسـست دارالعلـوم نـدوة العلماء؟

٢ ـ من أي شيئ حذر الشاعر ؟

٣ ـ من يتقي النار ؟

٤ ـ كيـف كانـت الأقـوام الكـافرة إزاء العلـوم والفنـون عنـد مـا أسست ندوة العلماء ؟

٥ ـ إقرا البيـت الآتـي و بـين إعـراب المصرع الأول منـه و اجعـل لكل جزء عمودا :

غـدا سئل كـل عــن رعيتــه فما جوابكم يا معشـر العلمـاء

غـدا سئـل كـل عـن رعيـة ﻫ

الموضوعات بحسب الأغراض

ـ الدروس الدينية والخلقية

ـ دروس من التاريخ الإسلامي

ـ تلخيص التاريخ الإسلامي

ـ تلخيص التاريخ الهندي الإسلامي

ـ رجال التاريخ الإسلامي

الشيخ نظام الدين اللكهنوي

الشيخ عبد العزيز الدهلوي

ـ المعاهد الدينية

الجامع الأزهر

دارالعلوم ديوبند و مدرسة مظاهر العلوم

ندوة العلماء

ـ دروس الأشياء

حديث القمر

ـ شعر ـ حكمة و ملح

فاكهة الهند

وصف قلم

رثاء الأندلس

على لسان الندوة

شرح الكلمات المستحدثة

الكلمة	شرح الكلمة
المسمعة	آلة يسمع بها صوت النفس و حركة القلب
البذلة	حلة فيها قميص و سراويلات
المعرض	مكان يعرض فيه المصنوعات و الطرف و المخترعات
المتحف	دار الآثار القديمة
مليون	عشر مائة ألف
المنظرة	آلة يستعملها ضعاف النظر لمساعدة العين و تقوية النظر
الوسامة	النشان الذى يمنح الطالب السابق أو الجندى المستحق
المصلحة	إدارة من إدارات الحكومة
الرشاش	الرشاش الصغير الذى يصاد به الطيور
المدفع	آلة من حديد تدفع القنابل وتستعمل فى الحروب
الأسطول	مجموع سفن حربية
القاطرة	العربة البخارية التى تجر القطار
القطار السبّاق	أسرع القُطُر الذى يسمى فى الهند قطار البريد
القطار السريع	قطار بين السبّاق و الوقّاف
القطار الوقاف	قطار الركاب الذى يقف على كل محطة
الموقد	المكان الذى يلقى فيه الفحم و تشعل فيه النار
الوقاد	خادم القطار الذى وظيفته مراقبة النار و الماء
أمين القطار	مراقب القطار الذى يسافر فى مؤخر القطار و يهز البيرق
المصد	الآلة التى توقف بها السيارة و القطار
الباخرة	السفينة البخارية

الموضوعات بحسب الاغراض